AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الثَّورةُ الفلسطينيّة قامت لتحقيق المُستحيل لا المُمكن

الحكيم جورج حبش

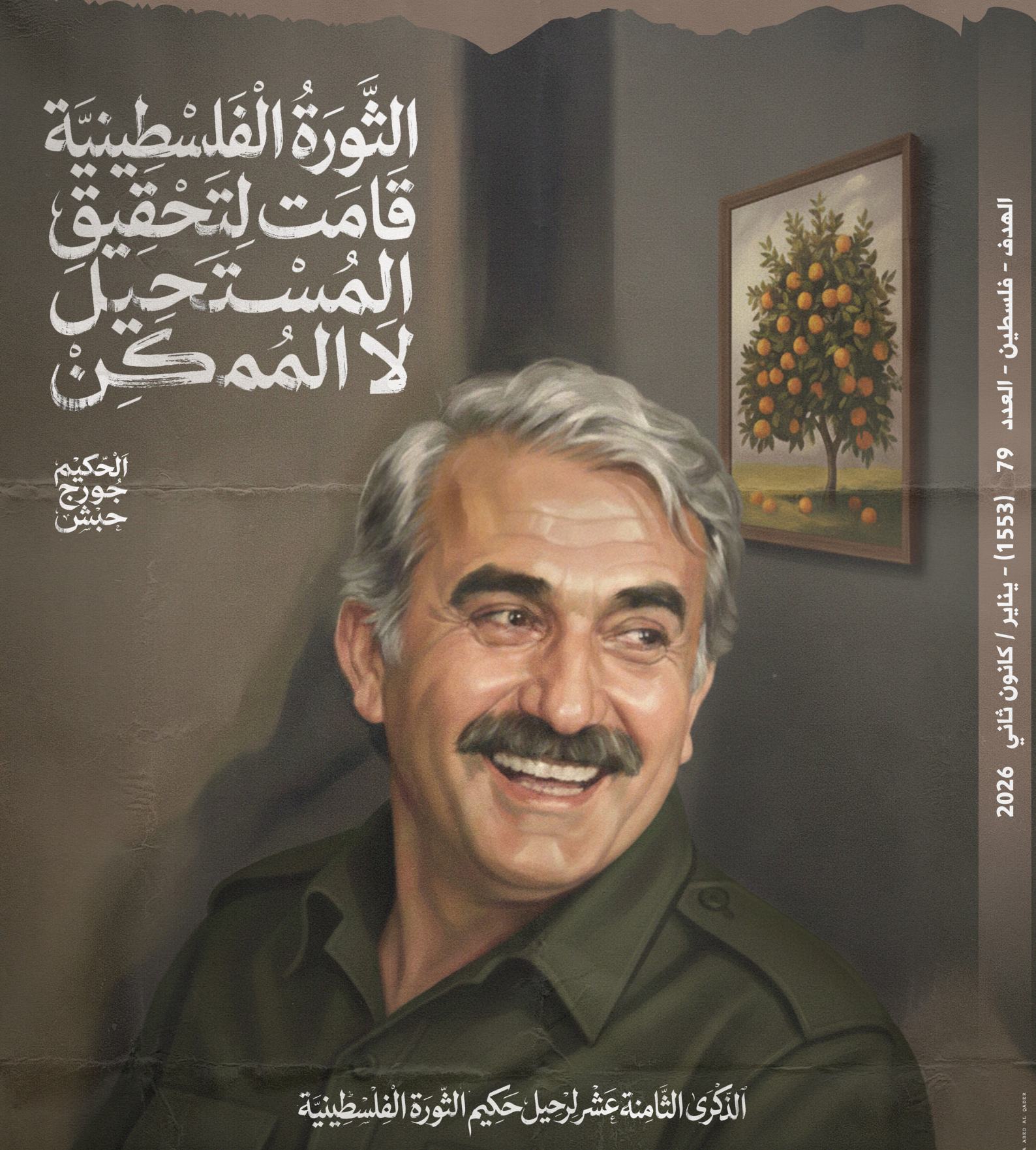

الهدف - فلسطين - العدد 79 (1553) - يناير / كانون ثاني 2026

الذكرى الثامنة عشر لرحيل حكيم الثورة الفلسطينية

ABED AL QADER

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (79) - (1553) - كانون الثاني (يناير) 2026

الافتتاحية

• قطاع غزة وأرض فلسطين بين فكي الاستثمار الأمريكي والتوحش الصهيوني — 2

حوار العدد

• مع الأديب الروائي الدكتور حسن حميد — أجرى الحوار محمد حسين — 4

شؤون فلسطينية

• بيان سياسي صادر عن الجبهة الشعبية في الذكرى 18 لرحيل المؤسس د. جورج حبش — 8
• الجبهة الشعبية في عيدها 58 مشروع رد عربي على هزيمة حزيران تصدت له الأنظمة — عدنان بدر — 9
• اللاجئون الفلسطينيون في لبنان بين مطرقة الأزمة المعيشية وسندان تقليص خدمات أونروا — د. انتصار الدنان — 10
• ترياق الحكيم في زمن التفتيت: قراءة في ارث جورج حبش لمواجهة المشروع الصهيوني — د. وائل الزريعي — 11
• في ذكرى رحيل جورج حبش — محمد العبد الله — 13
• سياسة الحسم الديمغرافي في الضفة الغربية: الجغرافيا أداة اقتلاع — حمزة البشتاوي — 15
• مكتب إعلام الأسرى: — 16
• في الهدف: المعبر — أحمد علي هلال — 16
• غزة تعود إلى الحياة — أحمد عويدات — 17

ملف العدد: عام على رحيل المناضل أبو أحمد فؤاد

• في ذكرى الرحيل الأولى — حمة الهمامي — 21
• شهادة اعتزاز وفخر واعتراف في ذكرى القائد أبو أحمد فؤاد — د. محمد رقيي — 23
• أبو أحمد فؤاد... نموذج المناضل الملتزم — مسعود أحمد — 24
• في وداع الرفيق اللواء داوود مراغة، ابو أحمد فؤاد — كاظم الموسوي — 25
• صفحات من التاريخ ترسمها الصور — موسى مراغة — 26

شؤون عربية

• إشكاليّات النّهوض العربي الرّاهن (3-2) — د. سامي الشيخ محمد — 28
• لبنان إلى أين؟ ما بين العدوان الصهيوني والتدهور الاقتصادي — د. ماري ناصيف – الدبس — 30
• من التعايش القلق إلى إعادة تعريف السيادة: دمشق وقسد في ميزان الدولة — عزيز موسى — 32

شؤون دولية

• منتدى دافوس 2026: انشطار المحور الأطلسي وولادة « الفوضى المنظمة».. — د. سعيد سلّام — 34
• غرينلاند... التوتاليتارية الأمريكية الجديدة خارج الحدود! — د. محمد عياش — 38
• العقيدة الترامبية بين انعدام اليقين والخطاب الاستعلائي — محمد صوان — 40
• ترامب يعلن الحرب على الجامعات الأمريكية — د. محمد عبد القادر — 42
• تعددت الأسماء والبلاء واحد — د. علي زيدان — 44
• الحرب على إيران وتداعياتها على منطقة الخليج العربي — رضي الموسوي — 46
• «مجلس سلام ترامب» يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني ويجعل الأمم المتحدة في ذمة التاريخ — نعيم إبراهيم — 47

شؤون العدو

• الإبادة والتطهير العرقي في فلسطين والنازيون الجدد — إبراهيم أبو ليل — 49
• أزمة موازنة حكومة نتنياهو: ابتزاز داخلي وعدوان دائم على الفلسطيني — موسى جرادات — 51
• نتنياهو والشرق الأوسط الجديد — حسين موسى — 52

• **دراسات الهدف:** ورقة بحثية: د. حبش: مدرسة ثورية طليعية وتجربة كفاحية تستدعي البناء عليها — عليان عليان — 53
• **ترجمات الهدف:** بين حديث التهدئة وواقع الخيام: شتاء قاسٍ يطحن نازحي غزة — ترجمة: نور نوارة — 56

شؤون ثقافية

• حوار الهدف الثقافي: د. عصام الكوسى — حوار: وفاء حميد — 57
• في ذكرى رحيل خالد أبو خالد — أمينة عباس — 58
• تحديات الإبداع في عصر الذكاء الاصطناعي — باسمة حامد — 60
• شهداء الروح الأكاديمية في حرب الإبادة — د. ثائر يوسف عودة — 61
• بناء السرد الإعلامي لليسار الفلسطيني: من « الطوفان» إلى الهدنة — رامي الحاج سعيد — 62
• رواية» ماء العروس» لخليل صويلح: شخصيات وأمكنة وأحداث — بسام سفر — 64
• «سأعود إلى قتالكم»: مسرحية سورية قاربت القضية الفلسطينية — جوان جان — 67
• الحضور الفاعل والمتفاعل للمبدع الفلسطيني — أحمد طنيش — 69
• وطنٌ الصغيرةُ تحبو على شاطئ غزّة — كميل أبو حنيش — 71
• تجليات الداخل والخارج في الكينونة البشرية — محمود علي السعيد — 73
• أخبار ثقافية: نشاطات أكاديمية دار الثقافة — 76

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منير الرفاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المدقق اللغوي
أيمن الحسن

الإدارة
حسن شتيوي

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الذكرى السنوية الأولى لرحيل القائد الوطني الكبير نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أبو أحمد فؤاد

الافتتاحية

قطاع غزة وأرض فلسطين

بين فكي الاستثمار الأمريكي والتوحش الصهيوني

على مدى عامين ونصف العام تعرض الفلسطينيون إلى حرب إبادة جماعية ومحاولات اقتلاع وتهجير عرقي عبر آلاف المجازر وكل أشكال القتل والتدمير اليومي، والحصار المحكم الذي وصل إلى حد التجويع، ترافق ذلك مع النزوح المتكرر، وبات الفلسطينيون محرومين من كل مقومات الحياة «قتل ونزوح ومجاعة» وبلا ماء أو دواء أو مأوى، إنها الفاشية الصهيونية وإيديولوجيا العنصرية والتطرف الديني التوراتي التي تستبيح كل القيم وكل الأبرياء وكل الأرض وكل شيء حي.

مما اضطرهم للقبول بما جاء في خطة الرئيس الأمريكي ترامب الرامية إلى وقف إطلاق النار، رغم ما فيها من ألغام ومحاذير وأخطار فقط لأنها تقدم متنفساً ومجالاً محدوداً لالتقاط الأنفاس، وتضع حداً للموت جوعاً أو برداً أو قصفاً وقتلاً، وربما تُبعد خطر التهجير، وذلك بعد موافقة الوسطاء وضمانة الدول العربية والإسلامية الثمانية.

إذ لم يكن أمام الفلسطيني خيارات واسعة فكلفة إطالة أمدّ المقاومة والقتال باتت عالية جداً يقدمها أهل غزة ضحايا وشهداء، عذاب ونزوح، ألماً ودماء بلغت مئات الألوف من الأرواح والجراح.

حيث التزم الفلسطينيون بوقف إطلاق النار وبتسليم الأسرى الصهاينة أحياءً وجثثاً، ولم يتوقف الكيان عن القصف والقتل والاغتيالات، ولم يلتزم بإدخال المساعدات بالكميات والنوعيات المتفق عليها، وتعدّت الخروقات العشرة آلاف خرقاً.

فقد انتهت المرحلة الأولى من الاتفاق وصبر الفلسطينيون على أوجاعهم ومعاناتهم متأملين ما هو أفضل مع الشروع بتنفيذ المرحلة الثانية التي تنص على الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل من قطاع غزة ورفع الحصار وفتح المعابر وإدخال المساعدات بكل أنواعها بما فيها مقومات الإيواء التي تحمي الناس من البرد والعواصف (كرفانات، أو مساكن مسبقة الصنع)، وتوفير مقومات تأهيل البنية التحتية وإعادة الإعمار.

وبدأت أمريكا بتشكيل الهياكل المشرفة على المرحلة الثانية «مجلس السلام العالمي» واللجنة التنفيذية، وما يسمى بلجنة التكنوقراط الفلسطينية لإدارة غزة التي تم تشكيلها بالتشاور مع الوسطاء. بدعوة من جمهورية مصر العربية اجتمعت الفصائل الفلسطينية الثمانية بعد تشاور الشقيقة مصر مع القيادة الرسمية الفلسطينية، وعرضت الأسماء «المقترحة» للجنة التكنو قراط على اجتماع الفصائل مع شرح مفصل لذاتية أو (c.v) لكل واحد منهم، وتم الاتفاق على القائمة بتحفظ الجميع على اسمين فقط لأسباب مختلفة قد تتعلق بالنزاهة أو السوابق، ولاحقاً تم إبعاد أحدهم.

• الأسئلة والمخاوف والمستقبل المجهول:

- ماهي وظائف الهياكل مجلس السلام واللجنة التنفيذية والمندوب السامي ملادينوف وقوة الاستقرار، هل هذا انتداب أو وصاية؟

- هل ستتحول غزة إلى محمية أمريكية استجابة للشروط الإسرائيلية؟

- أي قوانين ستسري في غزة، هل القانون الفلسطيني أم قوانين مختلفة، وعلى أي قوانين ستسير لجنة التكنوقراط بإدارة غزة؟

- من هي مرجعية لجنة التكنوقراط، هل السلطة الفلسطينية، أم الفصائل الفلسطينية الفاعلة في غزة، أم لا يوجد مرجعية فلسطينية لها، أم هي تلك الهياكل المشار لها أعلاه؟

- كيف سيتم التعامل مع غزة؟ هل كجزء من الكيانية الفلسطينية؟ أم ستكون منفصلة عن الضفة الغربية، أو عن الكيانية الفلسطينية الموحدة؟

- ما علاقة الإدارات الفلسطينية المختصة مع الوزارات الفلسطينية المناظرة في الحكومة الفلسطينية؟

- الموازنات، وتأمين الأموال، اتجاهات الصرف والإنفاق، ومن سيعمل على توفيرها؟ ومن صاحب القرار فيها؟

- ما دور الأمم المتحدة والأونروا والمؤسسات الدولية؟

- الأمن الداخلي في غزة، هل هو مسؤولية فلسطينية أم سيخضع لقوة الاستقرار المتعددة الجنسية؟

- ما هو مصير الموظفين الحاليين القائمين في الوزارات وأجهزة الشرطة والأمن؟

- ما يزيد المخاوف هو غياب الأفق السياسي للتعامل مع القضية الفلسطينية، وتجاهل كل القرارات الدولية التي تنصف الفلسطينيين بالحد الأدنى من الحقوق الوطنية والكيانية، وتجاهل ما يجري من سياسات عنصرية اقتلاعية في الضفة العربية، وتغيير في بنى المخيمات الفلسطينية وتهجير ما يزيد عن سبعين ألف فلسطيني، واستقطاع أكثر من 60% من مساحة الضفة وضمها إلى الكيان الصهيوني، وبناء المستوطنات فيها، وتقطيع أوصالها بما يقارب 950 حاجزا عسكريا، ومشروع (E1) الذي يفصلها عن القدس التي تتهددها الهجمات والاعتداءات العنصرية وعمليات التهويد المتواصلة.

- وما يؤكد هذه المخاوف ما ورد في تقرير الأمن القومي الاستراتيجي الأمريكي الذي يتجاهل الأمم المتحدة والقانون الدولي وأي ذكر لكلمة فلسطين أو الدولة الفلسطينية أو حتى «حل الدولتين»، ويعني صراحة أن أمن «إسرائيل» فوق كل شيء ومصالح أمريكا الحيوية في المنطقة والعالم هي كل شيء، ومنع أي تدخل دولي أو إقليمي يسعى لبسط نفوذه فيها.. وها هي الأساطيل البوارج والمدمرات الأمريكية تجوب محيطات وبحار المنطقة، والهدف هيكلة الجغرافيا بما يلبي الهيمنة الأمريكية والأمن الإسرائيلي.

- لن يقبل الفلسطينيون أن تُبتلع قضيتهم الوطنية من بوابة وقف إطلاق النار، وأن تتحول إلى كيانات محلية منفصلة ومناطق اقتصادية للاستثمار.

- المرحلة خطيرة وخطيرة جداً وما على الفلسطينيين إلا أن يثبتوا في أوطانهم، وأن يتحدوا على أرضية مواجهة الأخطار والتحديات، وعلى المتوهمين بخيارات السلام والتسوية أن يتنبهوا ويستفيقوا ويعودوا إلى رشدهم ووعيهم وإلى الرهان الرابح «الشعب وخياره في الوحدة والصمود والمقاومة».

> لولا الثقافة الفلسطينية وقوتها الأبدية، لما بقيت الجغرافية الفلسطينية، ولا التاريخ الفلسطيني، ولا التراث الفلسطيني، ولا السمة الواسعة لخصوصية الشعب الفلسطيني .

حوار مع

الأديب الروائي الدكتور
حسن حميد

أجرى الحوار: محمد حسين

كاتب وأديب فلسطيني ـ سورية

عندما تجلس مع الأديب الدكتور حسن حميد، ينبعث في فضاء المكان حكايات وجع المخيمات، وأدخنة المنافي والتشرد التي تلازم كلماته، يسرد في أحاديث الجدات اللواتي لم يدرسن في الجامعات لكنهن غرسن في عقول وقلوب الأجيال معنى الوطن، يستحضر والدته أم حسن التي رافقته في أول ظهور أدبي له على المنبر في مخيم جرمانا، لم تعرف ماذا يقول لكنها كانت تعي أن ابنها يقدم شيئاً ما عن الوطن، وقفت معه وشجعته ليطوف باسم فلسطين إلى بقاع الأرض، فلسطين التي ما زالت أم حسن تحلم بشربة ماء أو حبة زيتون أو رغيف خبز التنور، من كرادة البقارة.

■ الثقافة هي الجدار الصلب الذي يتكىء عليه أي شعب، في الحالة الفلسطينية كانت الثقافة هي أهم الأسلحة في مواجهة الاحتلال، وتثبيت الهوية الوطنية، هل مازالت الثقافة الفلسطينية تحتل هذا الحيز في الصراع أم أنها تراجعت؟

نعم، لولا الثقافة الفلسطينية لضاع كل شيء. لقد منينا بآفة الخذلان طوال قرن وأزيد من السنين، كنا نخرج من هزيمة لندخل في فضاءات هزيمة جديدة، وكل هزيمة كانت تأكل من الأرض، والبشر، والعمران. ولولا الثقافة الفلسطينية وقوتها الأبدية، لما بقيت الجغرافية الفلسطينية، ولا التاريخ الفلسطيني، ولا التراث الفلسطيني، ولا السمة الواسعة لخصوصية الشعب الفلسطيني .

الفلسطينيون يعيشون جغرافياً بين أهم الحضارات التي عرفها العلم، منذ بدأ التدوين لعالم القوة وشروطها، في غربهم تقع الحضارة الفرعونية، وفي شمالهم تقع الحضارة الإغريقية والرومانية، وفي الشمال الشرقي تقع حضارة وادي الرافدين، وبلاد الشام، وفي الشرق الغربي تقع الحضارة الإسلامية ، ولكل هذه الحضارات قوتها، وعمرانها، وأساطيرها، وثقافاتها، وسطوتها، وآدابها، وفنونها، وتراثها، ومع ذلك ظلت الجغرافية الفلسطينية متميزة بخصوصيتها، وظلت الأساطير الفلسطينية حاضرة بقوة، وظل التاريخ الفلسطيني بادياً جلياً، وكذلك ظل التراث الفلسطيني مرتكزاً يشير إلى طبقات الحياة التي يعلو بعضها بعضها الآخر مثل طبقات الأرض الجيولوجية، وظلت خصوصية الشعب الفلسطيني التي لم تذب طي الحضارة الإنسانية الهائلة التي عرفتها البشرية .

الثقافة الفلسطينية كانت، وستبقى، الملح الحافظ للهوية الفلسطينية .

وفلسطين، وبسبب مكانها الجغرافي العبقري، حفظت حدودها الصحارى، والبحار، والأنهار، ومجدت موقعها هذا مدنها العظيمة: القدس، وطبريا، والناصرة، وحيفا، وعكا، ويافا، والخليل، وغزة، وصفد، وأريحا.. إلخ، بالمناسبة لا توجد في فلسطين، بلدة أو قرية، أو مدينة غير مهمة بالمعنى الثقافي، فبلدة مثل (قانا) ليس فيها سوى عشرين بيتاً.. هي أهم ثقافياً من بوسطن، أو مانشستر سيتي.

صحيح، أن الثقافة قارة في الوجدان (وهذه الكلمة العربية لا مرادف لها في لغات الدنيا كلها)، ولكنها بادية في حراثة الأرض، وزراعة الزيتون والبرتقال، والورد، والخروب، وصناعة الزجاج والخزف، الأدوية، والثياب، والتطريز (الذي هو أبعد من رفاهية)، وبناء العمارات العجائب ببواباتها، وقناطرها، نوافذها، وشرفاتها المذهلة، وجسور أنهارها، ومغتسلاتها الشريفة العلوق بالطهرانية.

لكل هذا، ولم أذكر سوى شواهد، كانت الثقافة الفلسطينية حارس الصحو إن عم النعاس، والنورانية إن عمت العتمة، وهي النهار الذي نمشي في ظلاله.

■ في قصصك ورواياتك كتبت عن أمكنة لا تعرفها وأزمنة لم تعشها، كيف تمكنت من تحويلها إلى واقع من خلال السرد؟

فلسطين كجغرافية، محكومة بالأبعاد، وقد عرفتها من ألف مصدر ومصدر، من التاريخ المكتوب، ومن قصص القديسين، إلى كتب الرحالة الغرباء، عرفتها من اللوحات التي رسمها الفنانون، أهل المواهب الذين رسموا البيوت، والأشجار، والأنهار، والأسواق، والقرى، والناس الذين يبيعون الكعك المقدسي، والشموع، والقناديل، والكتب القديمة، وعرفتها من اللوحات التي رسمت لحارات القدس، ونابلس، والخليل، ويافا، وعكا، وحيفا، وشفا عمرو، وغزة، وأريحا، وغابات نهر الأردن التي فيها أشجار الله كلها، والتي فيها الحيوانات البرية والبحرية

> **أنا أفتخر، بأنني كتبت الحياة التي عشناها في عش (للدبابير) اسمه المخيم، مكان أسطوري حقاً، لا شجرة، لا طير، لا راديو، لا تلفزيون، لا صابون، لا ثياب مختارة، الحفاة في الشوارع، والعمل، والمدرسة.. طبعاً، ولا شوكولاتة، في الوقت الذي كان الغرب يقفون فوق ظهر القمر .**

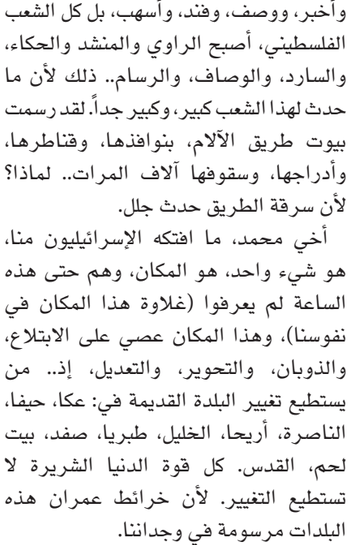

التي خلقها الله كلها، وفيها يصير اجتماع الطيور قرى للفرجة العامرة بالمسرة.

من الكتب، على اختلاف أنواعها عرفت فلسطين المكان والتاريخ والتراث والأساطير والأحداث والحادثات، والأعلام أهل الحضور والبأس، ومن الناس عرفت ما رووه، بالتفاصيل، والحذافير، والنوافل، وما سهت عن ذكره الكتب.

وهنا، اسمح لي بالقول، ما كانت الجدات، ولا الأجداد فقط، هم من قص، وروى، وأخبر، ووصف، وفند، وأسهب، بل كل الشعب الفلسطيني، أصبح الراوي والمنشد والحكاء، والسارد، والوصاف، والرسام.. ذلك لأن ما حدث لهذا الشعب كبير، وكبير جداً. لقد رسمت بيوت طريق الآلام، بنوافذها، وقناطرها، وأدراجها، وسقوفها آلاف المرات.. لماذا؟ لأن سرقة الطريق حدث جلل.

أخي محمد، ما افتكه الإسرائيليون منا، هو شيء واحد، هو المكان، وهم حتى هذه الساعة لم يعرفوا (غلاوة هذا المكان في نفوسنا)، وهذا المكان عصي على الابتلاع، والذوبان، والتحوير، والتعديل، إذ.. من يستطيع تغيير البلدة القديمة في: عكا، حيفا، الناصرة، أريحا، الخليل، طبريا، صفد، بيت لحم، القدس. كل قوة الدنيا الشريرة لا تستطيع التغيير. لأن خرائط عمران هذه البلدات مرسومة في وجداننا.

لكل هذا كتبت رواياتي وقصصي عن المكان الفلسطيني، وبدقة، وقلق، وحذر، وبعد أن أحاطت بي الأسئلة وأسبابها.

■ **بلاحظ حضور المخيم في كتاباتك كمكان وشخصيات، ماذا أضاف لك وجودك في المخيم على المستوى الأدبي؟**

عشت وتربيت، وقرأت وكتبت، وعرفت الدنيا بخيرها وشرها.. في المخيم.

في عقد الأربعينيات، هجر أهلي من قريتنا (كراد البقارة)، فسكن جدي في أول قرية سورية (نعران) لاقته بالترحيب، فعاش فيها قرابة سنة، بعيداً عن قريتنا (كراد البقارة) لأنها عدت أرضاً حراماً، أي خالية السلاح، ثم خرج جدي بالأسرة مرة أخرى رغماً عنه إلى قرية (شعب) التي تبعد عن مدينة عكا 8 كيلو متر، لأن تحويل مياه نهر الأردن كان سيمر من وسط قريتنا، بقيت أسرة الجد سنة أو أزيد في قرية شعب، ثم عاد جدي بالأسرة إلى قريتنا (كراد البقارة) لأن مشروع تحويل مياه نهر الأردن أخفق.

بعد سنتين، وفي إثر العدوان الثلاثي على مصر، خرج الجد بالأسرة مطروداً إلى جسر بنات يعقوب، فعدنا للعيش في قرية (نعران) السورية، ثم خرجت الأسرة إلى الشام في عام1967بعد حرب حزيران، فعرفت الأسرة، لأول مرة، العيش في المخيمات .

ذقت طعوم الفقد، والجوع، والبرد، وعرفت هول الرياح والأمطار، وسطوة الثلج، وعرفت كيف تصير اليدان والقدمان قطعاً خشبية فاقدة لكل إحساس. دخلت المدرسة، وكانت خيمة كبيرة، بلا مقاعد، بلا كراسي، دخلتها حافياً، وجلست، مع رفاقي، طي البرد لأتعلم وأنشد: يا سوزان قولي عاش بابا، يوم ذهب أبي إلى الفدائية، ولم أعرف لماذا بكت أمي كثيراً، يا للأمهات، أكانت تعرف بأنه سيعود بالتابوت العسلي الصقيل؟

كتبت عن المخيمات، والحياة فيها صعبة جداً، لأنني رأيت فيها المطار الذي سنقلع منه باتجاه قريتنا (كراد البقارة) حين أبصرت قدرة المخيم (الذي لعناه كثيراً) على تخريج حملة الشهادات من أطباء، ومهندسين، وصيادلة، وفنانين، وقادة، وشعراء، وكتاب رواية، وقصة، ومسرح، وشهداء.

أنا أفتخر، بأنني كتبت الحياة التي عشناها في عش (للدبابير) اسمه المخيم، مكان أسطوري حقاً، لا شجرة، لا طير، لا راديو، لا تلفزيون، لا صابون، لا ثياب مختارة، الحفاة في الشوارع، والعمل، والمدرسة.. طبعاً، ولا شوكولاتة، في الوقت الذي كان الغرب يقفون فوق ظهر القمر .

■ **رواية جسر بنات يعقوب الحائزة على جائزة نجيب محفوظ عام ١٩٩٩، وصنفت ضمن أفضل مئة رواية، هي تعد قصة تاريخية تتحدث عن رجل يهودي هاجر في القرن الثالث عشر الميلادي من شمال فلسطين، وأقام قريباً من بحيرة طبريا.**

ماذا أردت أن تقول من خلال هذه الرواية غير التمسك بالأرض وعدم التفريط فيها؟ هل لها دلالة تاريخية؟ أو إسقاط تاريخي من خلال عنوانها جسر بنات يعقوب؟

نحن على خلاف مع عدونا الإسرائيلي على كل شيء، حتى على التركيب الكيميائي للهواء. لذلك شغلت بالي تسمية/ جسر بنات يعقوب/ أي لماذا سمي الجسر بهذه التسمية. الإسرائيليون، من الطبيعي والمناسب لرؤاهم أن يربطوا اسم الجسر بنبي الله يعقوب، من أجل الحديث عن جذر لهم في المكان، علماً بأن من يبحث عن هذا الجذر هو من جاء من ألمانيا، وبولونيا، ونيويورك، والهند، وإيران.

> ❝ كتبت عن غزة، كي أوقف بكائي، وبكاء زوجتي، وبكاء أولادي ❞

حين قرأت عرفت أن الجسر لا علاقة له بنبي الله يعقوب، ولا ببناته، لأنه لم ينجب سوى بنت واحدة هي (دينا) ولها قصة طويلة دموية وعنصرية ولا أخلاقية. وأن التسمية لم يطلها التصحيف، كأن نقول/ جسر بناه يعقوب/ فهذه ليست تسمية تاريخية لجسر، نقول: جسر المدينة، الجسر المعلق... إلخ.

وافترضت افتراضات كثيرة، وسألت أسئلة كثيرة.. ولم أصل إلى نتيجة، لذلك قررت، بعد تعب لجب، أن أكتب رواية، لها هيبة أسطورية، تقول لنا لماذا سمي ذلك الجسر، الواقع على نهر الأردن، باسم جسر بنات يعقوب.

■ **رواية بلاد اسمها جباليا والتي فازت بالمركز الثاني في جائزة محمد عبد الولي للرواية العربية. ماذا أردت أن تقول من خلالها، الصمود.. الأسطورة.. العنق الذي ينتصر على المشنقة؟**

كتبت عن غزة، كي أوقف بكائي، وبكاء زوجتي، وبكاء أولادي.

لقد دمرتنا الصورة، ودمرنا الخبر .

أنا. آخيت كتب التاريخ التي تتحدث عن ظلموت أهل القوة، وعسفهم، وعنصريتهم، منذ أن كانوا يبنون القلاع والعروش بالجماجم، أي قبل تشيخوف، وبيتهوفن، وجسر على نهر دربنا، فلم أجد ظلموتاً يشبه ظلموت الإسرائيليين تجاه الفلسطينيين في غزة، إنهم يقتلون الأطفال كما لو أنهم يقتلون الصراصير أو الذباب، لا أخلاق حرب، ولا أخلاق سلم، ولا أخلاق حياة أو كتب أو فنون. قتلوا الناس في غزة ذبحاً، كما تذبح الآلات الحادة الدجاج في المسالخ، وأهل القوة، في بلاد الغرب، يتفرجون، كما لو أن الذبح يحدث في سيرك.

لو لم أكتب هذه الرواية لعشت اليوم في تقريع طويل لكل ما حزت عليه من تربية وثقافة.

كان الإسرائيليون يقتلون كما لو أنهم آلات ذابحة، فلا يتوقفون إلا عند رقم حدده (سوقهم العنصري، وما هو مطلوب منهم غربياً).

نعم، قناعتي مطلقة بأن الدم ينتصر دوماً على السيف.

■ **في كتابك الأدب العبري (المرجعيات.. المصطلحات.. الرؤى) قلت هناك أربعة أصناف للأدب -1 الأدب اليهودي -2 الأدب الصهيوني -3 الأدب العبري -4 الأدب الإسرائيلي.**

سؤالي لماذا استخدمت هذه التصنيفات في هذه الدراسة؟ هذا أولاً،

ثانياً- ما هو القاسم المشترك بينهم؟

ثالثاً- ما هي أوجه الخلاف بينهم؟

كتبت هذا الكتاب الصغير، لأنني رأيت تداخلات بين هذه المسميات، وبحثت عن جذورها، كي لا يبقى الغلط شائعاً، ونسبت كل تسمية للزمن الذي ظهرت فيه.

أما القاسم المشترك بين هذه الآداب، فهو الكذب، والسرقة، والتلفيق، والعنجهية، والتفاخر الكذوب، والأخطر هو العنصرية .

ووجوه الاختلاف بينها عائدة إلى مرجعياتها، الأدب اليهودي هو ما يكتبه الفرد المنتسب للدين اليهودي، وهكذا.

والأدب العبري هو الأدب المكتوب باللغة العبرية.

■ **ترجم لك العديد من الأعمال الأدبية إلى لغات عدة، سؤال هل تعتقد أن المؤسسات الفلسطينية ساهمت بالقدر الكافي لإيصال الصوت الفلسطيني إلى العالم؟**

إطلاقاً.

المؤسسات الفلسطينية مقصرة لأسباب ليست نابعة من عنديات هي، إنها نابعة من الظروف الصعبة التي كانت مضطرة للتعايش معها.

الكتاب الفلسطيني المطبوع في غزة قد لا يصل إلى رام الله، والكتاب المطبوع في دمشق أو القاهرة أو بيروت.. هو أيضا لا يصل، والكتاب المطبوع في أم الفحم، أو عكا، أو حيفا، قد لا يصل إلى رام الله بسبب سياسات الإسرائيليين. معظم ما ترجم لنا من أدب فلسطيني إلى اللغات العالمية كان بجهود فردية. وقد قلت مرة، لو كنت وزيراً لخارجية فلسطين لطلبت من السفراء الفلسطينيين أن يقوموا، وبقوة، على ترجمة الأدب الفلسطيني في البلد الذي يعيشون فيه، وأي سفير يقصر في هذا المجال يعزل.

■ **انتخبت أمين فرع اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين في سورية مؤخراً بعد انعقاد مؤتمره.**

سؤالي على ضوء الواقع الفلسطيني والهجمة الشرسة التي يشنها الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني وقضيته في مختلف الساحات، والتي تتطلب استنفار الجبهة الثقافية للمواجهة، برأيك ما هو الدور المنوط بالاتحاد في هذه المرحلة؟ وهل يمتلك الإمكانيات للقيام بواجبه؟

لقد شرفني إخوتي الكتاب، بأن تنقاد هذه المسؤولية إلي، وهذا شرف أعتز به.

مشكلات الاتحاد العام للأدباء والكتاب الفلسطينيين متراكمة منذ خمسة وأربعين عاماً بالتمام والكمال، وقد أعطى الأمين العام للاتحاد الشاعر مراد السوداني الكثير من وقته وتفكيره وطموحه ليجتمع كتاب المنافي والهجيج، وكتاب الوطن في اتحاد واحد، رؤاه، وسيره، ومساره، وأهدافه.. لا شوائب، ولا ضباب، ولا غبش، ولا (لغوصة) فيها.

الإرادة موجودة لبناء الاتحاد، والأهداف واضحة، وما نريده هو توافر الإمكانات، وهي قادمة بإذن الله تعالى.

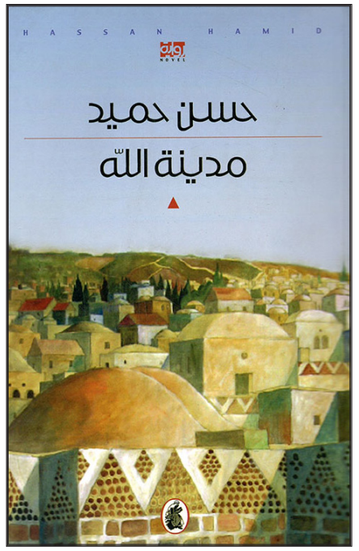

■ النتاج الروائي:

السواد أو الخروج من البقارة، 1988 - تعالي نطيّر أوراق الخريف، -1992 جسر بنات يعقوب، -1996 النهر بقمصان الشتاء، 2005 - مدينة الله، -2009 الموعد المالح في الزمن المالح، -2009 نبات شوكي، -2017 كنت هناك، 2018 - الكراكي، 2019 - شارع خاتون خانم، 2020 -الجرجماني، 2021 - ناغوغي الصغير، 2021 - بلاد اسمها جباليا، 2025 - اثنا عشر برجاً لبرج البراجنة (قصص)، 1983 - ممارسات زيد الغائي المحروم (قصص)، 1985 -عفران والمداسات المعتمة (قصص)، 1986 أحزان شاغال الساخنة (قصص)، 1989 - قرنفل أحمر لأجلها (قصص)، 1990 - مطر وأحزان وفراش ملون" (قصص)، 1992 هنالك.. قرب شجر الصفصاف (قصص)، -1995 البقع الأرجوانية" (دراسة)، 1999

الأدب العبري: المرجعيات – المصطلحات – الرؤى، 2001 ألف ليلة وليلة غيبوبة القص.. غيبوبة الاستماع، 2006 - عن الدهشة والألم (مجموعة قصصية، تأليف مشترك)، -2007 كي لا يفسد الملح (نصوص)، 2008 - في شرفتها، 2008 - العودة إلى البيت (قصص)، 2009 - الذهنية العربية الثوابت والمتغيرات، 2009 - ظل إدغار آلان بو.. الطويل، 2018 - أقمار.. حاضرة البحر!، 2018 - أفيال الغابة، 2020 - عشاق الحياة، 2020 -كائنات الوحشة (قصص)

-حصلت روايته "تعالي نطيّر أوراق الخريف" على جائزة سعاد الصباح، 1990

-فازت روايته "جسر بنات يعقوب" بجائزة نجيب محفوظ، 1999

-صنفت روايته "جسر بنات يعقوب" ضمن أفضل 100 رواية عربية حسب اتحاد الكتاب العرب، 2001

-فازت روايته "نبات شوكي" بجائزة حنّا مينة للرواية، 2017

-فازت مجموعته "المرمريتي" بالمركز الثاني في جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، 2018

-فازت روايته "مدينة الله" بجائزة أفضل رواية عن القدس من ملتقى المثقفين المقدسي بالتعاون مع اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطيني، 2020

-حصل على جائزة فلسطين التقديرية عن مجمل أعماله، 2021

-فازت روايته "ناغوغي الصغير" بجائزة نجيب محفوظ لأفضل رواية عربية، 2022

-فازت روايته "بلاد اسمها جباليا" بالمركز الثاني في جائزة محمد عبد الولي للرواية، 2024.

بيان سياسي صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في الذكرى الثامنة عشرة لرحيل المؤسس د. جورج حبش:

بالوحدة والمقاومة نحمي الوجود ونُجذِّر العودة

يا جماهير شعبنا الفلسطيني الصامد
يا أحرار أمتنا العربية والعالم

تحلّ علينا اليوم الذكرى الثامنة عشرة لرحيل حكيم الثورة، القائد الوطني والقومي والأممي الكبير الرفيق الدكتور جورج حبش، مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة القوميين العرب، في لحظةٍ تاريخية فارقة تتكشّف فيها طبيعة الصراع في أنصع صورها؛ ففلسطين تخوض اليوم معركة وجود مفتوحة، من غزة الملحمية، إلى الضفة الثائرة؛ فالقدس والداخل المحتل والشتات، وفي داخل باستيلات العدو الصهيوني. إنها حرب إبادة شاملة تمثّل رأس الحربة في مشروع إمبريالي عالمي يستهدف تصفية الوجود الفلسطيني، واقتلاع الإنسان من أرضه وأمله.

في هذه المناسبة، نستذكر الحكيم ورؤيته بوصفها مشروعاً فكرياً وكفاحياً متقدّماً ومتقداً؛ فقد قدّم قراءةً مبكرةً لطبيعة الإمبريالية كنظام عالمي للتوحش والنهب، ورأى في الكيان الصهيوني قاعدةً متقدمة لهذا النظام الإجرامي. وما الشراكة العسكرية والسياسية الكاملة بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني في حرب الإبادة المستمرة إلا برهاناً حياً على نفاذ بصيرته، كما نؤكد أن الهجمة التي تستهدف شعبنا اليوم هي ذاتها التي تستهدف قوى التحرر في العالم، عبر الحصار والقرصنة والبلطجة، في فنزويلا وكوبا وسواهما، كما وتسعى الإمبريالية، عبر وكلائها وأدواتها، إلى الانقضاض على خيار المقاومة وعزله عن عمقه الشعبي؛ غير أن التجربة التاريخية التي صاغها الحكيم تؤكد أن المقاومة ضرورة وجودية، وأن الشعوب التي ترفض التكيف مع الظلم قد تدفع أثماناً باهظة؛ لكنها لا تُهزم.

لقد جسّد الرفيق الحكيم المبدئية الثورية في أسمى تجلياتها، مؤمناً بأن الإرادة الشعبية المنظمة قادرة على قلب موازين القوى، وربط تحرر فلسطين عضوياً بالتحرر القومي العربي وبالنضال الأممي، كما اعتبر حق العودة جوهر الهوية الوطنية، ومبتدأ نضالنا التحرري ومنتهاه. وفي هذه الذكرى، نؤكد وفاءنا لنهجه، ونُجدّد العهد بأن حق العودة سيظل جوهر الصراع ومسألة وجودية لا تقبل المساومة، وإن ما يجري اليوم من محاولات تهجير لشعبنا في غزة والضفة، والانقضاض على وكالة الأونروا كشاهد حيّ على جريمة النكبة، وتدمير مقومات الحياة، محاولة بائسة لدفن حق العودة؛ لكننا نعلنها بوضوح: العودة التي ناضل من أجلها الحكيم هي العودة إلى كامل التراب الوطني، وهي حق يتعمّد اليوم بدماء الشهداء، وبصمود النازحين والمهجّرين فوق ركام بيوتهم ومخيماتهم، في رفض قاطع لكل مشاريع التهجير القسري أو التوطين.

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي هذه الذكرى، وفي هذه المرحلة الحساسة من تاريخ شعبنا، نؤكد أن المسؤولية الوطنية تفرض بناء وحدة وطنية حقيقية قائمة على برنامج المقاومة والثوابت، وإسقاط كل مراهنات التسوية التي ثبت عقمها ودمارها، وتصعيد الاشتباك الشامل في كافة الساحات رداً على حرب الإبادة، ودفاعاً عن الأرض والكرامة والوجود، وفي مواجهة مشاريع الوصاية والتهجير والانتداب، كما نؤكد ضرورة تعميق التحالف الأممي مع كل أحرار العالم الذين ينتفضون اليوم ضد الإجرام الصهيوني والإمبريالي، لترسيخ عزلة هذا الكيان ومن يدعمه، والاستمرار في دعم وإسناد الأسيرات والأسرى في سجون الاحتلال، الذين كان الحكيم يخصّهم دائماً بوصفهم رأس حربة في مقاومة شعبنا.

يا جماهيرنا الأبية،

كان الحكيم يقول: "تستطيع طائرات العدو أن تقصف مخيماتنا، وأن تقتل شيوخنا وأطفالنا، وأن تهدم بيوتنا، لكنها لن تستطيع أن تقتل روح النضال فينا". واليوم نؤكد أن الفكرة التي حملها الحكيم لا تموت، وأن البوصلة ستبقى تشير إلى فلسطين كاملة، من نهرها إلى بحرها، وأن حلم العودة أقرب من أي وقت مضى، بفضل تضحيات شعبنا، وصمود مقاومينا، وإرادة شعب لا ينكسر.

المجد لروح الحكيم والشهداء الأبطال
النصر للمقاومة
الحرية لفلسطين... كل فلسطين

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
دائرة الإعلام المركزي
26 كانون الثاني (يناير) 2026

الجبهة الشعبية في عيدها الثامن والخمسين

مشروع رد عربي على هزيمة حزيران تصدت له الأنظمة

عدنان بدر ـ كاتب سياسي سوري

في الوقوف أمام هذا العيد، الذي يشكل حدثاً تاريخياً بالنسبة لشعبنا وقضيتنا، تجد نفسك أمام مسؤولية كبيرة في اختيار الجانب أو الجوانب التي تحاول أن تلقي عليها الضوء بهدف نقل رسالة مفيدة من هذا التاريخ إلى أجيالنا الجديدة.. فتاريخ الجبهة غني بالنضالات والتضحيات التي خطها رفاق وقادة مناضلون بالزكي من الدماء والجليل من التضحيات. وأرجو ألا أكون مخطئاً في اختيار زاوية قل أن جرى التوقف عندها في الكثير والغزير من الكتابات التي تعاملت مع تاريخ هذه الجبهة وحتى أدبياتها! ألا وهي كونها قد ولدت كمشروع رد عربي على هزيمة حزيران 1967!

مشروع سارعت الأنظمة العربية (وفي مقدمتها النظام السوري) لوأدها في المهد!

بدأ الأمر مع محاولة الأنظمة المهزومة رمي مسؤولية تلك النكبة الكبيرة عن كاهلها! ووجدت ملاذاً لها في اختراع (ظاهره إيجابي) هو دعم أن يتولى الشعب الفلسطيني زمام قضيته بيده!

ما من شك في أن ذلك حق، إنما الأنظمة المهزومة والمسؤولة عن النكبة الثانية، أرادت به باطلاً. فبدا وكأن الشعب الفلسطيني الذي كان «غائباً» هو المسؤول عن تلك الهزيمة وليست الأنظمة التي كانت تغيبه وراء آلف حاجز من الأسلاك الشائكة والمخيمات (المعتقلات) والسجون والسلطات الاستبدادية المتنوعة بين بلد عربي وآخر!

وراحت تطوي مسؤوليتها عن الهزيمة خلف أناشيد الاحتفال بـ الثورة الفلسطينية «المستقلة» بقضيتها، بل أكثر من ذلك راحت تنشئ لنفسها (كنوع من الدريئة) منظمات «فلسطينية مستقلة»!

في تلك الأثناء كان لحركة القوميين العرب وقوى شعبية عربية رأي آخر.

كان لها رأي صريح في أن هذه الأنظمة المهزومة تتحمل مسؤولية هزيمتها. وأن قضية فلسطين قضية عربية بمقدار ما هي قضية فلسطينية وأن العدو الصهيوني خطر محدق بالأمة كلها. وأن المرحلة التي تتيح الفرصة لتولي الشعب الفلسطيني مسؤوليته في الصراع مع إسرائيل لا تسقط هذه المسؤولية عن كاهل الأمة العربية أنظمة وشعوباً. وأنه بمقدار ما كان تأسيس منظمات مقاومة فلسطينية أمراً ملحاً وضرورياً كان ربط هذا البناء النضالي مع القوى الشعبية العربية ملحاً وضرورياً بالمقدار نفسه.

وفي الوقت الذي كانت فيه الأنظمة العربية تلقي بكل ثقلها على منظمة التحرير لجعلها نظاماً عربياً آخر يحتوي النضال الفلسطيني ضمن إطاره الرسمي كما تحتوي هي شعوبها، كانت «الجبهة» تنأى بنفسها عن هذه المعادلة وكانت تبذل كل جهد لربط النضال الشعبي الفلسطيني بالنضال الشعبي العربي، سواء باستقبال موجات كبيرة جداً من المناضلين العرب من جميع الأقطار الذين تدفقوا للانضمام إلى صفوف العمل الفدائي أو نسج التحالفات مع الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية في أكثر من قطر عربي.

ويستوقفنا تحديداً في هذا المجال ما جرى على الساحة الأردنية من ربط عضوي بين الساحتين الأردنية والفلسطينية، وما جرى على الساحة السورية حيث تم التوصل إلى إقامة «جبهة وطنية» تضم حركة القوميين العرب والاتحاد الاشتراكي العربي وحركة الاشتراكيين العرب.

وفي الساحتين المذكورتين كان هذا الأمر هو الطبيعي لتأسيس «هانوي» عربية تشكل قاعدة أو أجزاء من قواعد عربية للتحرير والانتقال بالثورة من ثورة فلسطينية مطوقة بالأنظمة العربية إلى ثورة قومية ذات عمق عربي هو العمق الحقيقي للصراع العربي-الصهيوني.

وفي الساحتين تولى النظامان مسؤولية التصدي لهذا المشروع.. ففي الأردن كانت مجازر أيلول المعروفة، أما في سورية فكانت حملة الاعتقالات الواسعة التي تعرض لها أعضاء تلك الجبهة ومناصروها وعلى رأسهم الدكتور جورج حبش (الذي تم تحريره بعملية بطولية خاصة خطط لها وأشرف على تنفيذها الدكتور وديع حداد) وعدد كبير من قادة وعناصر الحركات الثلاث التي تشكلت منها تلك الجبهة. كما تم إغلاق حدود القطرين المذكورين في وجه العمل الفدائي الفلسطيني.

من خلال هذا المنظور القومي الذي جرى وأده طور غسان كنفاني ومجموعة «الهدف» موضوعة الحل العربي الديمقراطي للمسألة الفلسطينية الذي يقوم على القواعد الآتية:

-1 الصراع عربي- صهيوني، وليس مجرد فلسطيني -صهيوني، وعليه فإن التحرير يحتاج لانخراط عربي في الثورة بحيث يتحول المحيط العربي بفلسطين إلى هانوي فلسطينية -عربية موحدة.

-2 هذا المحيط الذي تقوده الثورة هو الذي سيصل بالقضية إلى مرحلة التحرير. ومن نافل القول: إن هذا المحيط الموحد بواسطة النضال الثوري الفلسطيني والعربي لا يمكن السماح بعودته إلى التجزئة الكيانية السابقة.

-3 وفي خضم هذا النضال التحرري الديمقراطي التقدمي ستجد شرائح شعبية يهودية في فلسطين أن مصلحتها مع هذه الثورة وليس مع الكيان الصهيوني، فتنسلخ عنه وتنضم وتشارك في النضال التحرري الذي يقود في النهاية إلى دولة محررة وديمقراطية على امتداد الساحة المحررة في فلسطين والمحيط العربي. وفي مثل هذه الدولة يتوفر الحل الديمقراطي للمسألتين الفلسطينية واليهودية.

مع الأسف، جرى تبديد هذا النضال وقد شاركت كل الأنظمة العربية في وأده. وهذا ما كان مؤداه أن يقطف نتنياهو في النهاية نتائج هذا الشمول الاستبدادي الذي نكبت به هذه الأمة من المحيط إلى الخليج.

اللاجئون الفلسطينيون في لبنان
بين مطرقة الأزمة المعيشية وسندان تقليص خدمات أونروا

د. انتصار الدنان ـ كاتبة سياسية واعلامية فلسطينية - لبنان

تتفاقم حالة القلق في أوساط اللاجئين الفلسطينيين في لبنان مع تصاعد الاحتجاجات الشعبية والنقابية اعتراضًا على إجراءات اتخذتها وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا)، اعتُبرت مساسًا بشكل مباشر بالخدمات الأساسية التي تشكّل شريان الحياة لآلاف اللاجئين، ويأتي هذا التصعيد في ظلّ أزمة مالية غير مسبوقة تمرّ بها الوكالة، بالتوازي مع أوضاع اجتماعية واقتصادية خانقة يعيشها الفلسطينيون في لبنان، حيث تتقاطع القيود القانونية على العمل مع نسب مرتفعة من الفقر والبطالة، ما يهدّد بمزيد من التدهور الإنساني في المخيمات.

جرّاء القرارات التي تتخذها الأونروا بشكل متواتر وسريع، عبّر فلسطينيون في لبنان عن استيائهم من قرارات الوكالة، معتبرين أنّها ستؤدي إلى تعميق أزماتهم الإنسانية ورفع معدلات الفقر والبطالة، في وقت يعاني فيه اللاجئون بالأساس من صعوبة الوصول إلى الخدمات الأساسية، ومن شبه انعدام الفرص البديلة للعمل بسبب العوائق القانونية والإدارية التي تفرضها عليهم الدولة اللبنانية وفي هذا الإطار، رفعت مؤسسات فلسطينية هي: الهيئة 302 للدفاع عن حقوق اللاجئين، ومؤسسة العودة الفلسطينية، ومنظمة ثابت لحق العودة، مذكّرة احتجاجية إلى إدارة أونروا في لبنان، أعربت فيها عن قلق واسع يسود أوساط المجتمع الفلسطيني، نتيجة السياسات التي تمسّ حياة اللاجئين وكرامتهم، وطالبت المؤسسات الوكالة بالاضطلاع بمسؤولياتها الكاملة تجاه اللاجئين، لا سيما في ظلّ تفاقم الأزمات المعيشية. كما أعلن المؤتمر العام لاتحادات العاملين المحليين في وكالة أونروا في الأقاليم الخمسة (الأردن، الضفة الغربية، قطاع غزة، لبنان وسورية)، إضافة إلى رئاستَي عمّان وغزة، الدخول في نزاع عمل رسمي مع إدارة الوكالة، احتجاجًا على قرار المفوض العام تخفيض ساعات العمل، وما يترتب عليه من اقتطاع مباشر من الرواتب بنسبة تقارب 20%. وأوضح المؤتمر، في بيان، أنّ نزاع العمل يبدأ صباح الأحد 18 يناير/ كانون الثاني الجاري، ويستمر حتى مساء السبت 7 فبراير/ شباط المقبل، على أن يتبعه إضراب مفتوح وشامل في جميع منشآت الوكالة، بدءًا من يوم الأحد 8 فبراير\ شباط، في حال لم تتراجع الإدارة عن القرار، بدوره، أعلن اتحاد المعلمين في أونروا – لبنان تبنّيه الكامل لخيار التصعيد النقابي، محذّرًا من التداعيات الخطيرة لهذه القرارات على العملية التعليمية وعلى مستوى الخدمات المقدّمة للاجئين الفلسطينيين، وأكد الاتحاد التزامه بنزاع العمل وصولاً إلى الإضراب الشامل، ما لم يتم سحب القرار بشكل فوري وكامل، وكشف الاتحاد عن برنامج تحرّكات للأسبوع الأول، يشمل تعليق الدروس في آخر ساعتين من الدوام المدرسي يوميًا، وتنفيذ وقفات احتجاجية، على أن تُختتم التحركات باعتصام مركزي يوم الخميس المقبل أمام مكاتب أونروا في المناطق.

وعن قرار تقليص الدخل، قال أحد الأساتذة، الذي رفض ذكر اسمه:» قرار تخفيض ساعات العمل لا يعني بالنسبة لنا مجرد تعديل إداري، بل اقتطاع مباشر من لقمة عيشنا. نحن المعلمون نعيش أساسًا تحت ضغط اقتصادي هائل، ومعظمنا يعتمد بشكل كامل على هذا الراتب لتأمين أبسط متطلبات الحياة، وتقليص الدخل بنسبة تقارب 20% سيضع الكثير من العائلات في مواجهة الفقر المباشر، وسيؤثر حتمًا على استقرار العملية التعليمية وعلى قدرتنا النفسية والمهنية على أداء رسالتنا تجاه طلابنا الذين هم من أكثر الفئات هشاشة.»

تقول معلمة في إحدى مدارس وكالة أونروا في لبنان:»هذا القرار أصابنا بالصدمة. نحن المعلمات نعمل في ظروف صعبة، ونتحمّل أعباء نفسية ومهنية كبيرة في ظلّ أوضاع معيشية خانقة، وتخفيض ساعات

العمل يعني عمليًا تخفيض رواتبنا، وهذا سيؤثر مباشرة على قدرتنا على إعالة أسرنا وتأمين احتياجات أطفالنا الأساسية. الأخطر من ذلك أنّ انعكاساته لن تطاولنا فقط، بل طلابنا أيضًا، لأن الاستقرار النفسي للمعلم جزء أساسي من جودة التعليم. نشعر اليوم بأننا تُركنا لمواجهة الأزمة وحدنا، في وقت كان يُفترض فيه حماية التعليم لا المساس به.»

من جهتها، قالت وكالة أونروا، في تصريح إنّها ما زالت تواجه أزمة مالية خانقة مع مطلع عام 2026، نتيجة تعليق التمويل من مانحين رئيسيين وعدم كفاية مساهمات بقية الشركاء، ما أدّى إلى عجز مالي متوقّع بنحو 220 مليون دولار في مختلف الأقاليم، وأوضحت الوكالة أنّ قرار تخفيض ساعات العمل بنسبة 20% اعتباراً من الأول من فبراير\ شباط المقبل، يهدف إلى ضمان استمرارية الخدمات وتفادي تسريح الموظفين، واعتبرته خيارًا أقل ضررًا مقارنة بالبدائل الأخرى، وأضاف مكتب أونروا في بيروت أنّ الوكالة تعمل، بالتنسيق مع الموظفين وممثليهم، على تنظيم آليات العمل المخفّض، مع السعي إلى الحدّ من تأثير ذلك على الخدمات الأساسية، ولا سيما التعليم، والرعاية الصحية الأولية، والاستشفاء، والإغاثة، والصحة البيئية.

يعيش اللاجئون الفلسطينيون في لبنان أوضاعًا اجتماعية واقتصادية صعبة للغاية، إذ يحرمهم قانون الدولة اللبنانية من حق العمل، ما ساهم في انتشار الفقر بنسبة تتراوح بين 70% و80%، الأمر الذي يجعلهم يعتمدون بشكل شبه كامل على خدمات أونروا، كالتعليم، والرعاية الصحية، إضافة إلى دعم الاستشفاء وخدمات الإغاثة والصحة البيئية في المخيمات الفلسطينية الـ12.

ترياق الحكيم في زمن التفتيت
قراءة في ارث جورج حبش لمواجهة المشروع الصهيوني

د. وائل الزريعي ـ مركز دراسات ارض فلسطين للتنمية والانتماء

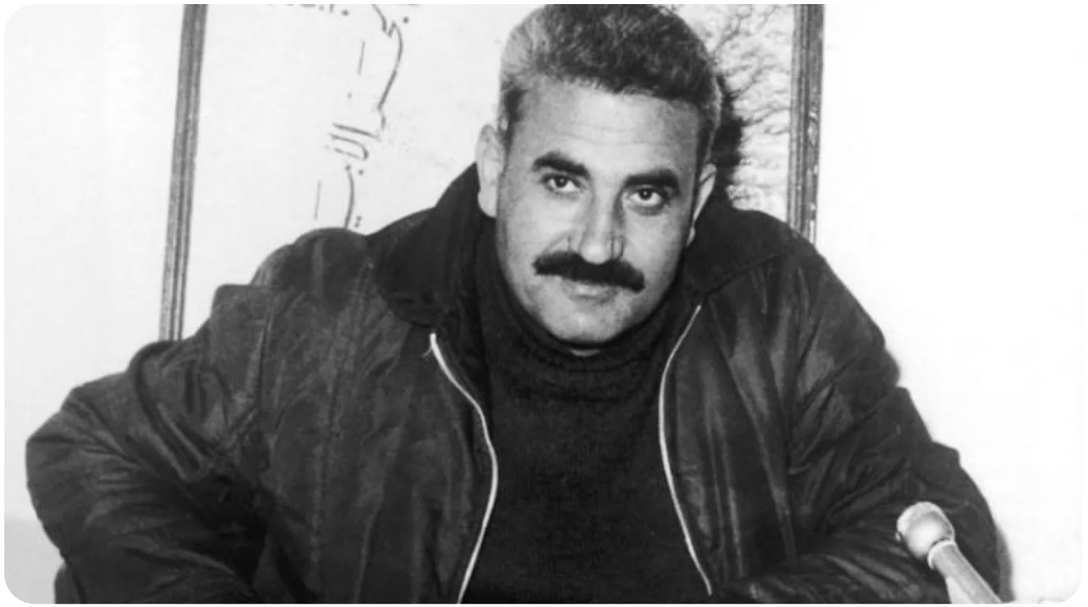

شكلت نكبة فلسطين عام 1948 ذروة المشروع الاستعماري الغربي في المنطقة العربية ، الذي رسمت ملامحه اتفاقية سايكس بيكو الرامية للهيمنة على المنطقة ومقدراتها، لتصبح أرض فلسطين ساحة المواجهة المركزية بين العرب والإمبريالية العالمية والكيان الصهيوني. ضمن السياق التاريخي الطويل لمقاومة الشعب الفلسطيني، لم تكن الثورة الكبرى في فلسطين عام 1936 ضد الإدارة البريطانية والعصابات الصهيونية مجرد محطة مواجهة تاريخية مع المركز الإمبريالي، أو محاولة لدرء النكبة فحسب، بل كانت محطة تأسيسية للنضال الوطني الفلسطيني في مواجهة المشاريع التي تستهدفه.، وقد وصفها المفكر الشهيد غسان كنفاني، بانها شكلت مدرسة ثورية لتطور النضال الوطني من رد الفعل إلى العمل المنظم، حيث تجسدت وحدة طبقات الشعب الفلسطيني في مواجهة المؤامرة الاستعمارية. منذ مخططات سايكس بيكو للهيمنة على أرض العرب مثل الشعب الفلسطيني خط الدفاع الأول الذي أخر تغلغل المشروع الصهيوني في المنطقة العربية، ووضع قوى الاستعمار في مواجهة دائمة معه، ومن هنا تفهم الإستراتيجية الإمبريالية الصهيونية، والتي ترى أن الهيمنة على المنطقة لن تتم دون تفتيت وإسقاط خط الدفاع الاول المتمثل في الشعب الفلسطيني ومقاومته. وفق هذه الرؤية اعتمد المشروع الصهيوني إستراتيجية لتفكيك وحدة الشعب الفلسطيني سياسياً وجغرافياً واجتماعياً واقتصادياً، و بدعم من المركز الإمبريالي استخدمت كافة الأدوات السياسية، والعسكرية والاقتصادية، والاجتماعية بشكل ممنهج لمنع ظهور حركة وطنية فلسطينية موحدة، و التي يعتبرها الاحتلال تهديداً وجودياً، لما قد تشكله من وحدة للأدوات في مواجهة المشروع الصهيوني، فبروز حركة وطنية موحدة تتبنى الأساليب النضالية المختلفة يعني تفويت فرصة اللعب على التباينات الفلسطينية، لذلك فتفتيت النسيج الوطني الفلسطيني ضرورة إستراتيجية من منظور الكيان الصهيوني، وهو ما ينفذه الكيان وحلفاؤه عبر التفتيت الجغرافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولعل التفتيت الجغرافي هو الركن الأساسي لهذه الإستراتيجية، لكونه الأساس المادي لكافة أشكال التفتيت الأخرى. فمنذ النكبة يتم تطبيق هذه الإستراتيجية وفقاً للمتغيرات الجيوسياسية بالاعتماد على الركائز الأربع التالية:

1. التفتيت الجغرافي وهو الركيزة المادية لتحويل أرض فلسطين إلى جزر معزولة، ففي الضفة الغربية تحولت المدن والقرى إلى كانتونات محاصرة بالمستوطنات والجدار الفاصل، مع السيطرة الكاملة للاحتلال على الحدود والتحكم في حركة السكان عبر الحواجز المختلفة ، أما القدس وسكانها فمنذ النكسة وهي في حالة مواجهة دائمة مع عمليات التهويد و القوانين التي تحاول محو هويتها العربية، وتوزيع منازلها و املاكها على المستوطنين، فيما فرض على قطاع غزة حصار خانق وحروب متكررة، وصلت إلى الابادة الجماعية بعد السابع من أكتوبر، ليطرح مؤخراً تصور جديد من المركز الإمبريالي وهو العودة لما يشبه الانتداب البريطاني على فلسطين، عبر الإدارة المباشرة للقطاع، مع القيام بحملة غسل دماغ جماعية، في محاولة لمحو ثقافة المقاومة. وفي جنوب فلسطين يختلف الأسلوب لكن تبقى السياسة واحدة، وهي مطاردة التجمعات الفلسطينية وهدم القرى البدوية.

2. التفتيت السياسي كأداة لتفكيك الإرادة الوطنية، حيث يعمل الاحتلال وحلفاؤه على إضعاف المؤسسات الوطنية الجامعة كمنظمة التحرير، وتحويلها من أطر تحررية إلى هياكل إدارية مقيدة ومعزولة عن الجماهير، مع تعزيز الانقسامات الداخلية باستمرار، فكلما تحركت الفصائل الفلسطينية نحو تفاهمات حقيقية، يتخذ الكيان الصهيوني والولايات المتحدة إجراءات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية لتقويضها.

3. التفتيت الاقتصادي بهندسة التبعية، وذلك عبر ربط الاقتصاد الفلسطيني الهش باقتصاد المحتل، والتحكم بمقدراته وحدوده، وتدمير بنيته التحتية عبر الحروب المتكررة، مما يخلق اقتصاد بقاء وتبعية كاملة.

4. التفتيت الاجتماعي من خلال تمزيق النسيج المجتمعي، فقد استهدفت الروابط الاجتماعية من خلال تمزيق أوصال العائلات الفلسطينية، من خلال نظام التصاريح والعزل، وفرض القيود على حركة الفلسطينيين بين الأراضي المحتلة عام 1948 والضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، وفرض واقع البقاء على قيد الحياة من خلال التدمير والحصار والمضايقات اليومية، لإجبار الفلسطيني على التركيز على لقمة العيش والبقاء، وصرفه عن قضاياه الوطنية.

فنحن إزاء بنية استعمارية متعمدة لتحويل الصراع مع الكيان الصهيوني من صراع تناحري وجودي إلى إدارة أزمات ومفاوضات تدور في دائرة مفرغة لتفريغ القضية الفلسطينية من مضمونها الوطني.

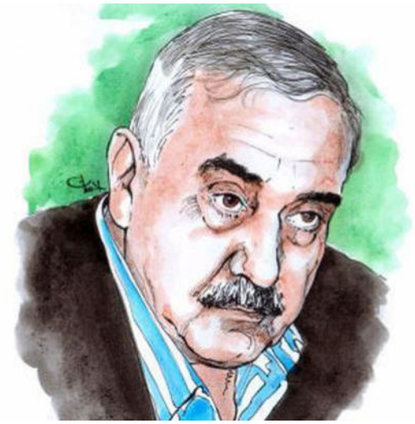

ترياق الحكيم

في مواجهة هذه البنية الاستعمارية المعقدة، يبرز إرث الحكيم جورج حبش كأداة تشخيص ومواجهة حية مع الإستراتيجية الصهيونية. لقد أدرك الحكيم مبكراً أن تفتيت فلسطين سياسياً وجغرافياً واجتماعياً، هو هدف أساسي للمشروع السياسي الاستيطاني والذي لا يهدف فقط لاحتلال الأرض، ولكن يستهدف النسيج الوطني الفلسطيني لتحويله من كتلة تاريخية متماسكة إلى مجموعات متفرقة يسهل السيطرة عليها وتذويبها. فنظر للتجزئة الجغرافية كأداة لإفشال أي مشروع سيادي، والتجزئة الاجتماعية كأداة تستهدف إضعاف أواصر التضامن الاجتماعي، من خلال خلق فئات مرتبطة بالوضع القائم الذي يهيمن عليه الاحتلال. وفق هذه الرؤية ينبع رفض الحكيم جورج حبش لاتفاق أوسلو كنموذج لهندسة التقسيم، وبيع وهم يحول منظمة التحرير الفلسطينية من إطار تحرري جامع، إلى إدارة محلية تابعة منقسمة على نفسها ومعزولة عن طموحات الشعب الفلسطيني، وهو ما عبر عنه في مذكراته مشيراً لأن التنازلات المجانية التي قدمت للاحتلال ليس لها تبرير، و أن اتفاق التسوية لم يلبِ الحد الأدنى من الطموحات الوطنية للشعب الفلسطيني.

كما وصف الحكيم الداء، وصف الترياق والذي لا يكون إلا بالوحدة الثورية الحقيقية، وحدة ميدانية بعيدة عن ديكورات المصالحة، وحدة تتفق على هدف إستراتيجي واضح وهو التحرير الكامل للتراب الوطني الفلسطيني، وحق العودة، وتفكيك المشروع الاستيطاني، وحدة تنبع من إرادة شعبية وتجمع كافة أشكال المقاومة لتحقيق الهدف الإستراتيجي، لكن هذه الوحدة تتطلب حالة من الوعي العام فيجب أن تتجذر الوحدة الحقيقية ليس فقط في الاتفاقيات السياسية بين الفصائل، بل في القوة المنظمة لجماهير الشعب الفلسطيني من العمال والفلاحين والطلاب والمثقفين، متجاوزة الانقسامات الحزبية والطبقية. فالوحدة بكافة أشكالها هي المضاد الحيوي للتفتيت والتجزئة، وذلك من خلال مشروع وطني متكامل سياسياً واجتماعياً وثقافياً. فبالمقاومة الشاملة نستطيع التغلب على إستراتيجية التفتيت ويعاد لملمة أوصال الوطن الممزق. كما كان الحكيم يرى في النضال الوطني الفلسطيني جزءاً لا يتجزأ من نضال الشعوب عبر العالم في مواجهة الإمبريالية العالمية، فردد دائماً أن القضية الفلسطينية هي قضية كل أحرار العالم لذلك هناك ضرورة لبناء تحالفات إستراتيجية مع حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، واعتبر أن حركات التضامن العالمية تمثل سلاحاً مادياً ومعنوياً يمكن الارتكاز عليه في المواجهة مع الكيان والقوى الداعمة له. الآن في زمن التفتيت وتمادي المشروع الصهيوني، يبقى فكر الحكيم ينير الطريق نحو التحرير الكامل، فلا بديل عن الوحدة الثورية والمقاومة الشاملة للوصول لتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، والرد الحقيقي ليس في الانكفاء أو المساومة، بل في إعادة بناء مشروع تحرري جامع يلتف حوله الجميع لتحقيق الهدف الإستراتيجي. غادر الحكيم هذا العالم، وهو على ثقة كاملة في الشعب الفلسطيني وإرادة المقاومة التي يمتلكها، وأن خط الدفاع الأول عن الأمة العربية لن يسقط، لأن الشعب الفلسطيني سيبقى يضحي إلى ان تنتصر قضية الحرية على أرض فلسطين والأرض العربية.

في ذكرى رحيل
جورج حبش

محمد العبد الله - كاتب وسياسي فلسطيني - سورية

«كان الوجه الأنصع لفلسطين والرمز البارز لشعبها كان ثوريا « كاملاً»
«لم يضع يوما حياته الخاصة أو علاقاته الشخصية في ميزان نضاله السياسي»

من شهادة الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلة
جورج حبش ضمير القضية الفلسطينية

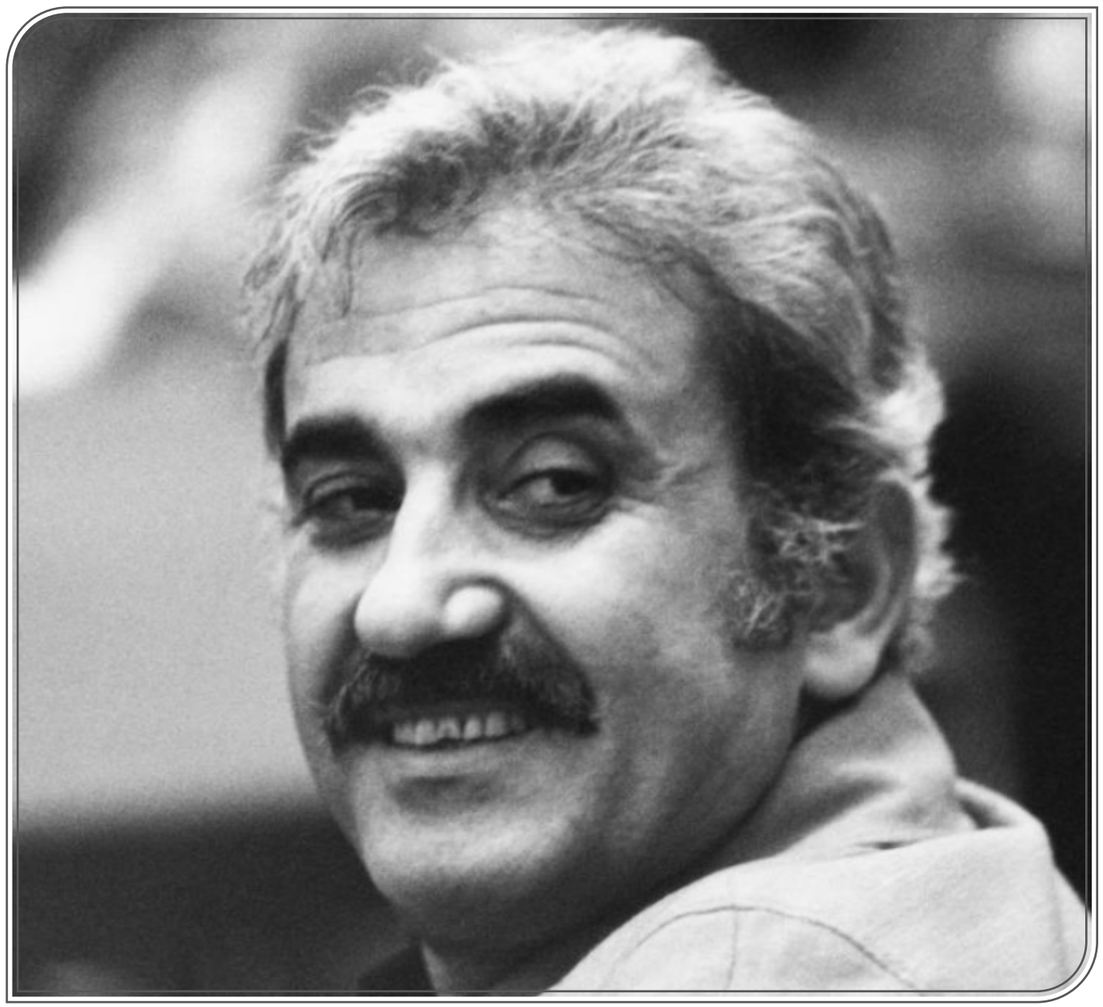

رحل الحكيم جسداً وبقيت روحه وأفكاره منغرسة في وجدان وضمير كل وطني وعروبي، خاصة وأن المبادئ العظيمة التي حملها ونقلها للأجيال التي تربت في مدرسته السياسية والأخلاقية مازالت متوهجة. طوال سنوات عمره المديدة، أعطى الحكيم لأمته وشعبه كل ما لديه، وغادر الحياة وهو لا يملك _بالمعنى المادي الذاتي_ شيئاً. عاش راحلنا الكبير عفيف اليد واللسان، زاهدا في حياته، وكان نموذجاً لعدد كبير من القيادات والكوادر، كما عرفناها في حياة القادة الكبار «أبو ماهر اليماني، وديع حداد، أبو علي مصطفى، وأبو أحمد فؤاد».

جورج حبش، ذلك الإنسان العظيم، الذي

تتجلى في إرثه النضالي، وسلوكه الأخلاقي، وصلابته الكفاحية، كل المزايا والصفات التي تليق بالقادة التاريخيين، لأنه لم يكن المؤسس والقائد لتيار جماهيري، سياسي وكفاحي على مستوى الوطن الكبير والأمة « حركة القوميين العرب «، ولا لأنه القائد والمؤسس لتنظيم فلسطيني أساسي وفي القلب من الحركة الوطنية الفلسطينية « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « فقط، لكنه كان أكثر من كل ذلك، لأنه مَثَّل على مدى أكثر من نصف قرن، القدوة لأجيال من الشرفاء في الوطن العربي، التي كانت تبحث عن القائد / الإنسان، الذي يحمل منظومة القيم الفكرية والأخلاقية والمسلكية لقائد من نسيجها وطينتها.

في الخطاب التاريخي للحكيم في المؤتمر الوطني السادس للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي انعقد في شهر تموز / يوليو عام 2000، وفيه قدم استقالته من قيادة الجبهة، تحدث عن أسباب تنحيه عن المواقع القيادية؛ « هناك سببان رئيسيان يقفان وراء قراري التاريخي هذا:

أولاً: رغبة صادقة لدي تبلورت في أواخر الثمانينات بتقديم مثل ونموذج للآخرين، بأن الإنسان المناضل والقائد يستطيع أن يستمر في العمل والعطاء حتى بدون مواقع قيادية رسمية، هذا من جانب ومن جانبٍ آخر إعطاء مثل نقيض للحالة العربية والفلسطينية، والتي تتجسد في تشبث المسؤولين في مواقعهم مهما طال بهم العمر، حيث لا مجال لتداول السلطة إلا تحت وقع الموت أو الانقلابات. قد يبدو للبعض أن هذا الكلام جاء متأخراً، ومع ذلك فهذا سبب حقيقي، كان ينضج في فكري ويتبلور باستمرار، ولم يكن استمراري في منصبي كل هذه السنين بأي حال من الأحوال تحت ضغط الامتيازات، أو الحفاظ على المركز، أو تلبية نداء التمسك بالكراسي، بل كان نابعاً من نداء الضمير وواقع الجبهة وتطورها أولاً وعاشراً.

ثانياً: في ضوء الوضع العام والإجمالي، أشعر وأدرك أنه من الأفضل لي في السنوات المتبقية من عمري، التركيز في عملي على مهمات وطنية وقومية، أعتقد أنها تحظى بمكانة محورية ومركزية في العمل الوطني والقومي أكثر من مهمة استمراري في الأمانة العامة، دون أن يعني هذا الكلام أي انتقاص أو مساس بهذا المنصب الذي يتطلب كل الجهد والطاقة والعطاء. ولكنني كجورج حبش وفي ظل الوضع المحيط والخاص أصبحت على قناعة بأنني سأفيد أكثر بإحداث هذه النقلة الجديدة في حياتي... دون أن يعني ذلك بأي حال من الأحوال الابتعاد عن الجبهة التي أعطيتها عمري، أو عن العمل السياسي والمهمات النضالية الأشمل وطنياً وقومياً كما ذكرت «. لكنه يضيف "رغم كارثية اللحظة وقساوة التحديات، إلا أنني لا زلت أمسك بخيط الأمل، ليس من منطلق عاطفي، وإنما لأنني أدرك طبيعة الصراع، وأدرك أصالة هذا الشعب وهذه الأمة، كما أعرف دروس التاريخ، وبأن الهزائم والإحباط ومهما امتدت زمنياً فإنها تبقى مؤقتة وعابرة، فالشعوب في نهاية المطاف هي صاحبة الكلمة والفصل، وهي قادرة على أن تطلق أحلامها وآمالها مقاومةً وصموداً ودفاعاً عن أهلها ومصالحها «.

تميز الحكيم بثقافته الواسعة، وقناعته بأهمية الديمقراطية، المتلازمة مع العقلية النقدية التي تعيد قراءة التجربة / التجارب لتبني وتؤسس لمرحلة جديدة بعيدا عن أخطاء الماضي.

في مقابلة صحفية نشرتها جريدة السفير 23 / 1 / 1989 يقول: أكبر موضوع أندم عليه عدم الإعلان عن انطلاقنا كحركة قوميين عرب عن نهج الكفاح المسلح يوم استشهد لنا الرفيق خالد أبو عيشة في منطقة الجليل عام 1964 أي قبل أي حديث عن كفاح مسلح «.

عندما تقرأ كلمات هذا الثوري، أو تسمع خطاباته، رغم كل الانتكاسات، تنتقل إليك شحنات كبيرة من الأمل، وعندما تلتقيه، يفاجئك بتلك الروح المقدامة، المسكونة بالإصرار على الانتصار رغم كل الصعاب، مؤكدا على الدوام « لا وجود لليأس في قاموسي، ولا أستطيع التسليم بانتصار دائم للظلم «.

في الذكرى الثامنة عشر لغياب الجسد، نقف مجددا أمام إنسان، قائد استثنائي، تحدى المستحيل عندما بدأ في النصف الثاني من القرن الفائت، مع عدد محدود من الشباب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت، مواجهة الفكر الصهيوني الاستعماري الذي تجسد في المستعمرة اليهودية / الصهيونية في فلسطين. ستون عاما من عمر هذا القائد / النموذج، قضاها في ساحات الاشتباك والمواجهة مع الاستعمار بكل أشكاله؛ العسكرية والثقافية والاقتصادية، وواجه بعزيمة فولاذية لا تلين، المستعمرين لوطنه، الذي اقتلعوا وهَجَّرَوا، بالمذابح والقتل، وبدعم مباشر من بريطانيا الاستعمارية، أصحاب الأرض الأصليين خارج بلادهم « فلسطين «، وقد عاش سنوات عمره، صلباً، قابضا على جمر القضية في أصعب وأقسى الظروف، لا تهتز بوصلته، ولا تتزعزع قناعته، بحتمية الانتصار.

إن سنوات النضال الطويلة للحكيم، نقلته من قائد ثوري على صعيد الوطن العربي والإقليمي، إلى قائد أممي، عرفته حركات التحرر الثورية في العالم، كما زار العديد من عواصم العالم التقدمية، المؤيدة للشعب الفلسطيني في نضاله، ضيفا على حكوماتها، نظرا لمكانته الكبيرة داخل حركة التحرر الوطنية الفلسطينية / العربية. كانت هافانا قد جمعت فيديل والحكيم عدة مرات الى درجة ان الرئيس الكوبي فاجأ الحكيم في زيارة بعد منتصف الليل في مكان اقامته، كما أخبر الكاتب، القائد الراحل « أبو أحمد فؤاد «، عضو الوفد، الذي تحرك باتجاه باب السكن الذي ينزلون فيه، ليجد أمامه الرئيس فيديل كاسترو، ويبادره قائلا «جئت لأطمئن على الرفيق حبش».

في السنوات الأخيرة من عمره المليء بالتضحية والعطاء، انصب جهده على أهمية القراءة النقدية لتجربة العمل القومي العربي، والبحث في أسباب / عوامل التخلف التي تعيق في وطننا مسيرة التحرر والنهضة والوحدة، من أجل التوصل إلى رؤية جديدة تعمل على قيام شكل جديد لحركة سياسية عربية، كفاحية، تنطلق أهدافها وشعاراتها من قلب المعاناة الشعبية، وطنيا، اقتصاديا، واجتماعيا، وعلى أسس مقاومة المشروع الإمبريالي الصهيوني لتحقيق حرية الوطن وكرامة الإنسان.

سياسة الحسم الديمغرافي في الضفة الغربية

الجغرافيا أداة اقتلاع

حمزة البشتاوي ـ كاتب وإعلامي فلسطيني ـ لبنان

إنطلاقاً من الرؤية الإسرائيلية التي ترى في الديمغرافيا التهديد الوجودي الأخطر على كيان الإحتلال، تتعرض الضفة الغربية التي تمثل قلب الصراع بكافة عناوينه وأشكاله، إلى تصعيد إسرائيلي متدرج ومركب، يجمع ما بين الإقتحامات العسكرية واعتداءات عصابات المستوطنين، وهدم المنازل، والتهجير القسري، والتوسع الإستيطاني، في محاولة لفرض واقع ديمغرافي جديد في الضفة الغربية حيث يتبنى الإحتلال سياسة الحسم الديمغرافي إستناداً إلى المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، الذي يريد أرض أكثر بسكان أقل لتغيير الميزان السكاني بأدوات أمنية وعسكرية واستيطانية، بهدف تقليص الوجود الفلسطيني وتحويله إلى حالة هامشية قابلة للسيطرة لتحقيق التهجير القسري الصامت في هذه المرحلة من العدوان.

وعبر الإستيطان المكثف والمتدرج والضم الزاحف، وخنق الحياة الإقتصادية، إضافة لتفكيك عناصر تواصل المجتمع الفلسطيني عبر الحواجز والجدران، والإقتحامات والإعتقالات اليومية، يجري العمل على تطبيق مشروع الحسم الديمغرافي طويل الأمد وفق رؤية اليمين الصهيوني المتطرف الذي يريد تحويل المسألة الفلسطينية من قضية شعب تحت الإحتلال، إلى مشكلة سكانية وإنسانية، يمكن إدارتها بالمساعدات والحلول المؤقتة حيث ينظر إلى العامل الديمغرافي بأنه لا يقل أهمية عن الخطر العسكري إذ ينظر إليه كعامل حاسم في الصراع.

في معركة البقاء ومواجهة سياسة الإقتلاع والتهجير يرفع الفلسطينيون في الضفة الغربية راية المقاومة بما يعيد المعنى للصمود البطولي بمواجهة الإحتلال الذي يعتبر البقاء تهمة والذاكرة خطر أمني في الصراع المفتوح على الإنسان والمكان المستهدف ليس فقط من خلال السيطرة العسكرية بل من خلال محاولة تحويل الفلسطينيين في أرضهم إلى أقلية محاصرة ومتآكلة وموزعة على أكثر من محطة وكارثة لجوء ونزوح.

تعتمد مخططات السيطرة على الضفة الغربية على توزيع مدروس للسكان والمستوطنات، يوازي ما بين الكثافة السكانية والأهمية الإستراتيجية لتعزيز الإستيطان في الضفة الغربية، حيث تعتبر المعركة الديمغرافية جزءاً من المعركة الجغرافية والتاريخية والثقافية المتعلقة بالمستقبل وتقرير المصير، وهذا ما يجعل البعد الديمغرافي يأخذ طابعاً استراتيجياً في المخططات الصهيونية وسط أرقام ومعدلات الهجرة المعاكسة التي تدعو للقلق والخوف بالنسبة لقادة الإحتلال الذين يعتبرون المشكلة الديمغرافية الخطر الأكبر الذي يهدد استمرار بقاء الكيان.

في وثيقة صدرت عن مؤتمر هرتسيليا ورد بأن هناك حاجة لإيجاد حل للمأزق الديمغرافي في غير (إسرائيل) ربما الأردن أو سوريا أو لبنان لتوطين الفلسطينيين بحال لم يكبح الفلسطينيون من وتيرة تكاثرهم، ولمواجهة هذه الرغبة الإسرائيلية اصبح سكان الضفة الغربية اليوم أكثر من من ثلاثة ملايين و أربعمة مائة ألف نسمة يشكل اللاجئون بسبب نكبة عام 1948 نحو 36% موزعين على مساحتها التي تبلغ نحو 5640 كلم2، كما يوجد فيها حوالي 650 ألف مستوطن، وتتعرض الضفة وسط هذا الواقع الديمغرافي إلى إعادة هندسة أمنية وجيوسياسية من قبل الإحتلال الذي يقوم بعمليات عسكرية ضد مدن الضفة ومخيماتها للإنتقال من مرحلة هندسة الجغرافيا إلى هندسة الديمغرافيا، وإيجاد بيئة طاردة للسكان عبر القتل والعنف والتضييق الممنهج وعمليات (تهجير ناعم) وتحويل المنطقة (ج) التي تشكل نحو 60% من مساحة الضفة الغربية إلى منطقة عمليات ونفوذ لجيش الإحتلال بما يخلق واقع على الأرض يمهد لمشروع ضم الضفة الغربية.

مع إقتراب موعد الإنتخابات الإسرائيلية في شهر تشرين أول القادم، يتوقع أن تتكثف عمليات الهدم والقتل والإستيطان وزيادة عنف وارهاب المستوطنين الذين يعملون كقوة ضغط إضافة للتهجير والمقصود من ذلك رفع نسبة التصويت للأحزاب اليمينية الأكثر تطرفاً والتي تقود سياسة إستيطانية تهدف إلى إحداث تغيير ديمغرافي مستدام، كخطوة متقدمة نحو الضم الكامل أو الجزئي للضفة الغربية وسط إدراك الإسرائيليين بأن المعطيات الديمغرافية لا تعمل في صالحهم الآن وفي المستقبل من الضفة إلى النقب والجليل وسط حالة تهويد فلسطين طالما كان شعبها حاضراً ثقافياً وعسكرياً وسياسياً في معركة الوجود والثبات والتمسك بالهوية المتجذرة في الزمان والمكان الذي تتحول في أعداد الفلسطينيين إلى قوة وقدرة على التغيير الجذري للواقع رغم حرب الإبادة والتهجير والقوانين العنصرية لتحقيق ما يسمى الحسم الديمغرافي لصالح اليهود في الضفة الغربية وعموم فلسطين.

مكتب إعلام الأسرى
Asra Media Office

مكتب إعلام الأسرى

- ستة أسرى من قيادات وكوادر الجبهة الشعبية معتقلون منذ عام 2002 بأحكام مؤبدة على خلفية اغتيال الوزير الإسرائيلي رحبعام زئيفي عام 2001، ويواصل الاحتلال استثنائهم من جميع صفقات التبادل حتى اليوم.
- الأسرى هم: أحمد سعادات، عاهد أبو غلمة، حمدي قرعان، مجدي الريماوي، محمد الريماوي، وباسل الأسمر، وقد تعرّضوا للتفريق بين السجون، والعزل، والتنقلات العقابية، والتجويع، والإهمال الطبي.
- أوضاعهم الصحية تدهورت بشكل خطير، مع فقدان عشرات الكيلوغرامات من أوزانهم، وانتشار أمراض مزمنة وجلدية، وحرمان متعمد من العلاج، خاصة بعد السابع من أكتوبر.
- الاحتلال يستخدم استمرار اعتقالهم خارج الصفقات كأداة انتقام وكسر رمزية سياسية، في ظل تصعيد غير مسبوق داخل السجون وتشريعات عنصرية أبرزها الدفع نحو قانون إعدام الأسرى.

في الهدف
المعبر

أحمد علي هلال ـ أديب وناقد فلسطيني ـ سورية

سيكون من التبسيط بمكان ان يظل السؤال من سيعبر سواء باتجاه واحد ام باتجاهين؟

ففي الخلف مقتلة مازالت آثارها شاخصة، والحرب لم تضع اوزارها بل تعددت مستوياتها وصورها وأشكالها، فمن الابادة الممنهجة إلى حرب الجوع والتعطيش، وصولا إلى ما ينسف أسباب الحياة _ لكأن قدر الفلسطيني أن يجترح أسباب الحياة _ هي الحكاية ذاتها التي لا تحتمل التأويل، ومازال مغزلها يدور هناك لينسج وقائع أخرى، ومازال التاريخ ينصت ليكتب فصولها فلا بدايات تنتهي، ولا نهايات تبدأ ... إنها الحكاية الفلسطينية في أسفارها المتعددة، والتي تكتب الذاكرة الجمعية سرديتها، من رشفة الماء الملوثة التي تصل ولا تصل، إلى جموع تقرأ سفر الخروج من الحرب، عين على المعبر وأخرى تبحث عن بقايا من ذهبوا ولم يعثر عليهم أحد داخل كتل الإسمنت الصماء، فهل تكتمل سردية البقاء رغم ألف فجيعة وفجيعة، ليعود الزمن الفلسطيني هامسا في أذن التاريخ: قم واكتب حكايتنا الأثيرة، هامسا في أذن الجغرافيا الممزقة، صارت البلاد لحمنا والدم المراق في الصباحات الوليدة، هي عين ترى ذلك الصياد الغزي الذي يجمع شباكه في رحلة صيد قد لا يعود منها... وعند شباكه تعود الحكاية لأولى الكلمات، قدر الفلسطيني أن ينهض تماما مثل أشجاره التي زرعها أجداده على هذه الأرض.

غـزة
تعود إلى الحياة

أحمد عويدات ـ كاتب فلسطيني السويد

ظلام الليل لا يدوم طويلاً، وخيوط الفجر تنسج قدومه من جديد، وأشباح الموت ترحل رويداً رويداً عن غزة الجريحة. تستفيق غزة من موتها الوشيك، وتبدأ بتنفس الصعداء، مع توقف الحرب المعلنة، وسريان أثر لا يُرى لوقف إطلاق النار الترامبي الهش، وبدء الاعتداءات المتكررة، بل دفقات الحرب غير المعلنة في كافة أنحاء القطاع، واستمرار عمليات نسف الأبنية داخل وخارج الخط الأصفر التقسيمي، وشن الغارات على المدنيين المتلحفين بأغطية مُغرقةٍ بمياه الأمطار، واستمرار القصف للخيام المتهالكة والممزقة وكأنها حصون منيعة، وتواصل عمليات الاغتيالات حتى للأطفال. برغم ذلك، تبدأ غزة يومها التالي وتعود إلى الحياة من جديد، ولم تَكِلّ ولم تَمِلْ، ولم تَثْنِها آلة الدمار والإبادة والتجويع والتعطيش، ولا قسوة الطبيعة ببردها القارص الذي تسبب بموت الأطفال الرّضع، وأمطارها المتصببة أنهاراً على فراش الأطفال، ورياحها العاتية التي تمزق ما تبقى من خيامٍ متداعية. عاد الأطفال، الذين نجوا من هلوكوست نتنياهو، إلى ساحات لعبهم المشوَّهة والمدمرة ،عادوا إلى مقاعد الدراسة التي هشمتها مسيّرات كواد كبتر وطائرات اف ١٦، وقذائف الميركافا ،عادوا يتلقون العلم جلوساً على الأرض التي أحبوها في خيمةٍ أو بين أنقاض غرفةٍ، كانت ذات يوم صفاً، وأمام سبورةٍ محطمةٍ ومعلمةٍ لا تملك إلا صوتها و لغة الجسد، وعاد المصلّون إلى ما تبقى من دور العبادة التي دنسها وقصفها جيش الاحتلال، وبدأ اليسير من الآليات الثقيلة بالعمل لإزالة الأنقاض وركام الأبنية المدمرة بحثا عن جثامين أو ربما رفات الشهداء المفقودين، برغم صعوبة ومشقة المهمة.هناك على أطلال الأحبة تنتظر، البقية الباقية من ذوي الشهداء، بارقة أمل بالعثور على جثامين أو رفات الأحبة صغاراً وكباراً ونساءً وكهولاً. عادت غزة إلى يومها التالي بشكل مختلف، لا كما تمنى بن غفير وسموتريتش وزعيمهم نتنياهو، عادت أسواقها المتواضعة «وبسطاتها» وصوت البائعين يملأ المكان صخباً وضجيجاً غير آبهين لقذائف أو صواريخ ستسقط عليهم

بعد قليل. عاد الغزاويون المُكلَمون، لكن تعلو جباههم إمارات الفخر والكبرياء، عادوا إلى حارات وشوارع غزة، التي باتت لا تُعرفْ ملامحها إلا القليل منها، بين أكوام الأنقاض وتلال الركام هنا وهناك. عاد الغزاويون ذوو الإرادة الصلبة والعزيمة التي لا تهن، لقد ألفوا الحروب والحصارات ونتائجها وألفوا النزوح والتهجير، وعرفوا معنا الحياة والثبات في الأرض التي أحبتهم وتجذّروا بها.. عادوا ولم يهزمهم سوى القدر وهو مُحتّمٌ عليهم، هزموا كل أنواع القتل والتدمير والإبادة وصنعوا من اللاشيء أشياءً، إنهم يموتون، ولكن يولدون؛ وكأن جيناتهم تختلف عن جينات البشر الآخرين بصمودهم وإصرارهم وثباتهم وشجاعتهم. عادوا وهم ينشدون بصمت لا تسمعه آذانهم « إني عدت من الموت لأحيا وأغني، علمتني ضربة الجلاد أن أمشي على جرحي وأقاوم». عاد الغزاويون ونصبوا مجدداً خيماً مهترئة تتلاعب فيها الرياح العاتية وتسقطها الأمطار الغزيرة. عادوا فنصبوها على أنقاض منازلهم، ولم ينسوا أن يرفعوا علم الوطن السليب خفاقاً يغيظ العدى، والصامتين، والمتخاذلين والمأجورين. تراهم هناك في زاوية ما قريبةٍ من المشفى، يصلّون على أرواح الشهداء، ويواروهم الثرى وسط حزنٍ وألمٍ شديدين على فراقهم، وأملٍ أنْ يستمروا بالحياة التي بدأوها. حتى قسوة الطبيعة واعتداءات الاحتلال لم تثنهم عن مزاولة نشاطهم وفعالياتهم. لقد بدأت غزة إعادة الإعمار، ولم تنتظر أحداً، ولم تستأذن أحداً لا أممياً ولا إقليمياً، ولا محلياً، لم يأبهوا لتهديدات وأطماع المستثمر العقاري بتحويلها إلى «ريفيرا الشرق» للاستجمام، بل صمموا أن يعيدوا لها ألقها وجمالها واسمها الحقيقي «غزة هاشم» وصاحبها الحصري والوحيد الشعب الفلسطيني. ولم تنتظر ما سمي «مجلس السلام» الترامبي

الذي ضم في عضويته مجرم الحرب والإبادة نتنياهو المطلوب للعدالة الدولية، ولم يضم أي تمثيل فلسطيني بوصفه صاحب الشأن الأول «بالحل المنتظر». لم ينتظر الغزاويون هذا المجلس الذي رفضه الأوروبيون، ووافقت عليه أنظمة الضعف والهوان والتخاذل والتماهي مع مصالح الإمبريالية الجديدة، التي تحرص على إنجاح المشروع الصهيوني في المنطقة.

الغزاويون لم ينتظروا أيضا لجنة التكنوقراط لإدارة غزة، لأنها ستكون مكبلة بقيود الممثل السامي ميلادينوف البلغاري الجنسية. لم تنتظر الفتح الموعود، منذ أمدٍ طويل، لمعبر رفح، لم تنتظر غزة العزة والإباء أحداً، بل أخذت المبادرة صونا لوصية الشهداء، وبدأت عمليات الترميم وأدارت عجلة الإنتاج والخدمات والحياة بكل تلاوينها. وقال لسان حالهم «بإذن الله حنعمرها، وتبقى أحلى من أول». وهناك لُوحظتْ علامةٌ فارقةٌ إذ لم يغب مشهد الفرح برغم الدمار ورائحة الموت؛ عندما أقام الغزاويون عرساً جماعياً لأبنائهم وبناتهم وسط أغانٍ وأهازيج وطنية تراثية؛ ما يعني إحياء الأسرة والمجتمع وتأكيد إرادة الحياة. وهناك أيضا أقلقت قادة الاحتلال وإعلامهم العبري مشاهد عودة مئات الطلاب إلى الجامعة الإسلامية، التي أعيد افتتاحها. ويا لعظمة هذا الشعب! إذ تخرج 230 طالب وطالبة، طبيب وطبيبة وسط الحصار والدمار والمعاناة من كل أشكال الإبادة على مدى سنتين، ليلتحقوا بمراكز عملهم لتقديم خدماتهم للجرحى والمرضى. لقد آلم ذلك قادة الاحتلال ؛ لأنهم يرون العودة إلى التحصيل العلمي والأكاديمي عاملاً مخيفاً للاحتلال ؛ لأنه جعل من غزة ذات يوم منارة للعلم والمعرفة والتكنولوجيا و للقيم الإنسانية والحضارية، لقد أوجسهم رعباً هذا الصرح ؛ لأنه ساهم في قهرهم يوم العبور في السابع من أكتوبر، وأزعجهم كثيرا بل أخافهم الترميم في أقسام مشفى الشفاء التي شهدت حفل تخريج هؤلاء الأطباء. ؛ لأنهم اعتبروا ذلك عودة «لحماس» وعودة «للإرهاب»، كما ذكرت صحافتهم العبرية، وكأن في تقديم الخدمات الطبية في قسم الطوارئ والولادات مصنعاً للسلاح والعبوات. وهناك من عبر عن قلقه وامتعاضه من بدء ترميم بعض المؤسسات؛ إذ وجدوا في ذلك عودة لسلطة «حماس» وإعادة بناء قدراتها العسكرية. وبناءً على رأي الإعلامي وائل عواد قوله : «ما صلة ذلك بالإرهاب؟ وأين حماس في هذا الموضوع؟ أين ستلد الأمهات؟». ولماذا يضيرهم إعادة تأهيل ووجود أربعة مراكز صحية جديدة، إنهم لا يريدون حتى تقديم العلاج للأطفال والنساء لا زمن الحرب، ولا زمن اللا حرب، انهم لا يرون ولا يريدون إلا موتنا، وحرمان شعبنا من أبسط الحقوق. لقد عبروا عن خيبة أملهم والإحباط لمشاهدة عمليات إعادة البناء التي جرت بهذه السرعة وبهذه الإمكانات، وبهذا الإصرار. لقد راعهم حتى قيام صيادوا الأسماك بإصلاح وترميم قوارب صيدهم، ووصفوا ذلك بأنه خطوة من خطوات «حماس» لإعادة قدراتها وقوتها، وكأن صيد السمك عمل إرهابي، وله علاقة «بحماس». ووصلت مخاوفهم وخيبة أملهم لوجود مطاعم تقدم أطباق الحمص؛ فأصبح لديهم «حمص فوبيا» وربطوه أيضا بالإرهاب، واعتبروا كلمة « حمص « شقيقةً «لحماس» وتتناغم معها لفظاً. حتى أن الإسرائيليون رأوا في ترميم المسجد العمري التاريخي تهديداً أمنياً جديداً لهم؛ وكأنه قاعدة عسكرية للمقاومة.

لأن غزة وأهلها يمتلكون إرادة الحياة، كان إصرار قادة الكيان على تدمير غزة وعدم وصولها إلى اليوم التالي. ومن هنا أيضا، تأتي أسباب عرقلة نتنياهو وقادة حربه للانتقال إلى المرحلة الثانية من خطة ترامب باختلاق الذرائع، وإصراره على ربط ذلك بتسليم جثة آخر أسير لدى المقاومة. إن إطالة أمد الحرب، حتى تطال آخر طفلٍ وآخر بيتٍ فلسطيني، تهدف إلى اجتثاث الوجود الفلسطيني، ويعبر عن العقلية الثأرية الانتقامية القائمة على الإبادة والتهجير والتوسع. لكن شعبنا بصموده ومقاومته وصبره، وبدعم أحرار العرب والعالم عزف سيمفونية الحياة من جديد، وأرسل رسالة إلى العالم، مفادها أنه مهما اشتدت حلكة الظلام وضاقت فسحة الأمل وتعاظم جبروت الطغاة والمحتلين، وتفاقم حجم الألم والمعاناة؛ فإن الفجر آتٍ، وقد أتى فجر غزة، وابتدأ العرس الفلسطيني من جديد، «زغردي يما وزغردوا».

ملف العدد

الذكرى الأولى لرحيل المناضل
أبو أحمد فؤاد {داود أحمد مراغة}

في المرايا ثمة حضورات أخرى متعددة، تلك هي حضورات القائد الإنسان والمناضل الاستثناء أبو أحمد فؤاد، وإنها السنوية الأولى لاستشهاده الذي سيستدعي إرثا متصلا بالذاكرة الوطنية الفلسطينية، ذاكرة مقاومة مديدة انتزعت شرطها التاريخي ورسخته في الوجدان الفلسطيني والعربي والإنساني، في سيرورة ومسار القضية الفلسطينية.

أبو أحمد فؤاد هو قوة المثال بأدواره الكفاحية بما امتلكت شخصيته من قدرة على التوحيد والتصويب، بالتزامه الفكري وصلابته السياسية، وبوعي عال ليدشن تاريخا فذا إلى جانب رفاقه المؤسسين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ليعبر إلى الخلود شهيدا وبأرفع الأوسمة الوطنية، ففي ذكرى استشهاده يرد الوفاء بالوفاء، بشهادات وكلمات من رفاق دربه ومن مناضلين قوميين ومثقفين ومحبين تجاوزوا اختبار الفقد إلى مقاربة نضالاته المديدة ومواقفه العالية، واستثنائيته الفذة.

أبو أحمد فؤاد فكرة ومشروعا هو الأبقى في الوعي الفلسطيني الوطني والقومي.

تفرد الهدف ملفاً خاصا بسنويته الأولى واحتفاءاً بإرثه و كفاحه المديد أقامت أكاديمية دار الثقافة في دمشق حفلا تأبينيا للراحل القائد أبو أحمد فؤاد يوم السبت (2026/1/17) وفاء له ولذكراه.

فقد أكد صديق الراحل الكاتب محمد العبد الله في كلمته على أن الراحل أبو أحمد فؤاد هو أحد الأساسات التي بُنيت عليها المقاومة الفلسطينية المسلحة في الثلاثة عقود الأخيرة من القرن الفائت، فضلاً عن كونه أحد أبرز القادة العسكريين الذين عرفتهم المقاومة الفلسطينية المعاصرة في مراحل تواجدها في الأردن ولبنان، لافتاً إلى أن غياب الإنسان الاستثنائي كأبي أحمد، رفيق الفكر والروح، لا يكون حقيقياً لأن أثره في الحياة واليوميات، ناهيك عن شريط الذكريات، يجدد حضوره المستمر في الواقع السياسي والكفاح لشعبنا، وأكد العبدالله أن القائد العسكري للجبهة « أبو أحمد فؤاد « لعب دورا أساسيا في قيادة التشكيلات العسكرية في لبنان أثناء التصدي لغزو جيش المستعمرة / الثكنة في عامي 1978 و1982، وهنا أقتبس شهادة أحد المناضلين اللبنانيين التاريخيين في حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ابن مدينة بعلبك « حسن كسر / أبو عبادة « (... وقد نقل وقائعَ الصمود المشرِّف الرفيقُ الأمينُ العامّ للجبهة الشعبيّة، الدكتور جورج حبش، وذلك أثناء زيارته بعلبكَّ بعد نهاية العدوان. وقال حرفيًّا إنّ الرفيق قائدَ قطاع الجنوب، أبا أحمد فؤاد، ونائبَه الحبيبَ ماهر « – اليماني – إضافة من الكاتب «، كان لهما الدورُ الأبرزُ في ذلك التصدّي، خصوصًا بعد أن تخلّت بعضُ «القيادات» عن مواقعها « - غزو عام 1982 –وكذلك أخبرنا أنّ أبا عمّار، عندما زار الجنوب، التقى الرفيقيْن المذكوريْن، وقبّل رأسيْهما، وقال: «بوركتما، حفظتما الكرامةَ ورفعتما رأسَنا «). المصدر، مجلة الآداب اللبنانية - الموقع الالكتروني – من ملف « القائد ماهر اليماني» – عنوان المقالة « زمن العز «.

وأضاف العبدالله بعد الخروج من لبنان، تبوأ أبو أحمد مسؤولية عدد من دوائر العمل السياسي والتنظيمي، إلى أن تم انتخابه في المؤتمر السابع للجبهة الشعبية عام 2013 « نائبا للأمين العام أحمد سعدات « القائد الأسير في سجون المستعمرين الصهاينة. ومن خلال موقعه، تابع النائب مع رفاقه القياديين المهام الملقاة على عاتقه في تلك السنوات الاستثنائية من عمر المقاومة والشعب، بروح كفاحية عالية، لأن فقيدنا عاش حياته كلها وهو

المسلحة، رغم أهميتها ودورها الأساسي، بل هو في صيرورته، مشروع استراتيجي، تتعدد مساراته، لكن بوصلته تبقى ثابتة باتجاه هدف واحد ؛ تحرير فلسطين، وحدة الأمة ونهضتها، وكرامة الإنسان في « وطن لا يرجف فيه الأمل « كما قال رفيق دربه الطويل ، وصديقه الأقرب في حركة التحرر العربية ، القائد الراحل من البحرين « عبد الرحمن النعيمي»، المعروف باسم «سعيد سيف».

وأن سُقِطَ الجسد، لكن الفكرة التي حملها، تتجذر وتتمدد، كما نعيشها في غَزَّةِ العزة، وفي مخيمات الضفة المقاتلة، أما القدس زهرة المدائن التي سكنت عقله وشغاف قلبه ستبقى حاضرة دائماً في وجداننا وبرنامج عمل كل المناضلين، وختم بالقول: «سلام لك وأنت تعيد للفكرة وضوحها وتوهجها، لأنك نقلتها من الفضاء النظري إلى ميدان الواقع فدائيين، بنادقاً ورصاصاً في صدور الغزاة.»

وجاء في كلمة الكاتب عليان عليان: «نتوقف أمام سيرة فارس عز نظيره على الصعد العسكرية والسياسية والإنسانية، سيرة قائد مناضل لعب دوراً أساسياً في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتطوير تجربتها في السياق العام لتصبح فصيلاً رئيساً مركزياً في منظمة التحرير الفلسطينية». وأضاف: «نعم، نتوقف أمام هذا القائد الفارس وتجربته الغنية لنتعلم منها، لأن أبا أحمد فؤاد ليس مجرد قائد وطني في إطار وضع تنظيمي متقدم، بل مدرسة نضالية وطنية وقومية متعددة الأبعاد، مدرسة في النضال العسكري والسياسي، وملتزماً أبها التزام، باستراتيجية الجبهة في تحديد معسكر الأعداء وفي مواجهة هذا المعسكر، وترك إرثاً نضالياً يمكن استثماره والبناء عليه من قبل الأجيال القادمة».

فيما أشار الرفيق طارق ناصر من براغ إلى أن القائد الراحل أبو أحمد فؤاد، بقي طوال حياته أميناً على دماء الشهداء والجرحى، ومقاتلاً من أجل إطلاق سراح الأسرى، بقي حاملاً راية المقاومة ولم ينحَنِ أو يتراجع، وبقيت بوصلته تؤشر إلى فلسطين، إلى القدس، إلى غزة. وقال: «نعم، غادرنا الرفيق أبو أحمد للعالم الآخر وهو يحمل رسالة إلى رفاق دربه والقيادات الفلسطينية وقيادات المقاومة اللبنانية والعربية.

وأقول إن الجبهة الشعبية التي أنجبت كبار القادة: الحكيم، وأبو علي مصطفى، ووديع حداد، وغسان كنفاني، وأبو ماهر اليماني، وغيرهم من كبار القادة، قادرة على أن تنجب من هو قادر على تحمل المسؤولية ومواصلة المسيرة حتى تحرير كل فلسطين».

فيما رأى الكاتب والباحث إبراهيم أبو ليل أن أبا أحمد فؤاد، شهيد فلسطين، قضى من أجل شعب عظيم يعشق الحرية والكرامة، أبو أحمد فؤاد شهيد الأرض والوطن قضى شهيداً على تخوم وطن عزيز دفاعاً عن الأرض التي نهضت فيها ذكريات الشرفاء وعشاقها الذاهبين إلى أحلامهم... هكذا هم الشهداء الذين رووا بدمائهم تراب فلسطين وقدوا من أجله نهضة الأمة وعزتها، ومن أجل حريتها وكرامتها.

وبدوره قال الناقد الأدبي غرز الدين جازي: « كانَ لهُ حضوره الوطني ممثلاً للجبهة الشعبية في حواراتِ المصالحة تحتَ مبدأ «الوحدةُ على قاعدةِ المقاومة المسلّحة هي السبيلُ الأنسبُ لتحقيقِ تطلّعاتِ الشعب الفلسطيني».

وأضاف الجازي أنه رغمَ معاناته المرضَ، لم تَفترْ همّته الوطنية حتى رمقِهِ الأخير .. تواكبُ التصدّي لآلةِ الإبادةِ الإسرائيلية في غزّة بكلّ ما أُوتي من عزيمةٍ وثباتٍ ومقاومةٍ نشأَ وترعرعَ في ظلّ مبادئها الوطنية. غادرنا شهيداً وسط خضم الإبادة والقتل الجماعي المنهجي من قبل آلة الحرب الإسرائيلية على شعبنا الفلسطيني، غادرنا وسط زغاريد أمهات وبنات الشهداء، رمزاً للصمود والعزة والرفعة والسمو النضالي، غادرنا قائداً صلباً مجاهداً يسطع نور فجر النصر المرتقب من سيرة حياته النضالية، ومجداً لفلسطين وحريّة لشعبها».

وجاء في رسالة د. نزار العاني «لفلسطين، للسادة شرفاء الضمير، تحية من العقل والقلب مؤطرة بالتقدير والاحترام. أبو أحمد وأنا صار الوشم وشمين: وشم قضية ووشم شخص. الشخص هو هذا المناضل والقائد الفلسطيني الذي أجالسه كل أسبوع ليعمق ارتباطي بقضيته، ليدوزن أوتار النقاش فيما يخص فلسطين على مقام الوطنية العالي، ولا تسكن ولا تثبت إلا عند قطبَيَة السماء الفلسطينية، وأعني القدس».

وشدد الأسير المحرر الذي قضى 26 عاماً في سجون الاحتلال، وهو شقيق الشهيد عمر النايف، في شهادته على أن الشهيد وإن غاب جسده فإن روحه باقية فينا ونبضه يسري في قلوب أطفالنا، وقال: «نحن الذين تربينا على سيرتك العطرة ونهجك المقاوم، وصلابة مواقفك التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ قضيتنا، نعم، لقد كانت مواقفك الثابتة مرشداً لجبهتنا ولكل أحرار العالم، أن نسير وفق خط ثابت لا يقبل المساومة ولا التنازل عن الحقوق والمبادئ».

ومما جاء في رسالة الرفيق رشيد أبو شاشية: «رحلت شامخاً نظيف اليد والقلب واللسان، رحلت ولكن الأوطان التي غرست فيها من يشبهك لن ترحل، سلام عليك يوم ولدت حراً ويوم عشت مناضلاً ويوم رحلت وبقيت في قلوبنا وأرواحنا راية لن تنكس».

وأرسل الرفيق أبو كميل الخالدي من عمان برسالة إلى عائلة الرفيق الشهيد القائد الكبير أبو أحمد فؤاد قال فيها: «لقد ترك هذا الرفيق بصمات ستبقى لم ولن تنسى أبداً، لقد علمنا أن القائد يجب أن يكون في مقدمة الخط الأمامي للمعركة، وقد اتضح هذا جلياً سواء في الستينات أو في معركة الاجتياح عام 1978 أو الاجتياح عام 1982، وطوال فترة قيادته، أفتخر جداً أنني عملت عنصراً وكادراً تحت قيادته... إلى أبنائه الأعزاء الأكارم: عليكم أن تفتخروا بهذا الوالد القائد الشهيد المميز على مدى السنين».

وألقت الرفيقة هيا ابنة الراحل كلمة عائلة الفقيد ، أكدت فيها على الأبعاد الإنسانية التي حملتها شخصية الراحل الكبير وتفانيه في خدمة شعبه وقضيته الوطنية التي قضى من أجلها على درب فلسطين وتضحياتها الكبرى.

وفي ختام حفل التأبين قدم الرفيق أبو جلال لوحة تذكارية تحمل صورة القائد الوطني الكبير أبو أحمد فؤاد لعائلته، وفاءً لمسيرته التاريخية وعطاءاته الكثيرة، وتقديراً لدوره الريادي في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

في ذكرى الرحيل الأولى...

"الحياة تطول أو تقصر، تلك أمور نسبيّة... المهمّ الفعل وما يتركه الإنسان من أثر»

الشهيد نبيل بركاتي

حَمَّه الهَمَّامي - أمين عام حزب العمال التونسي

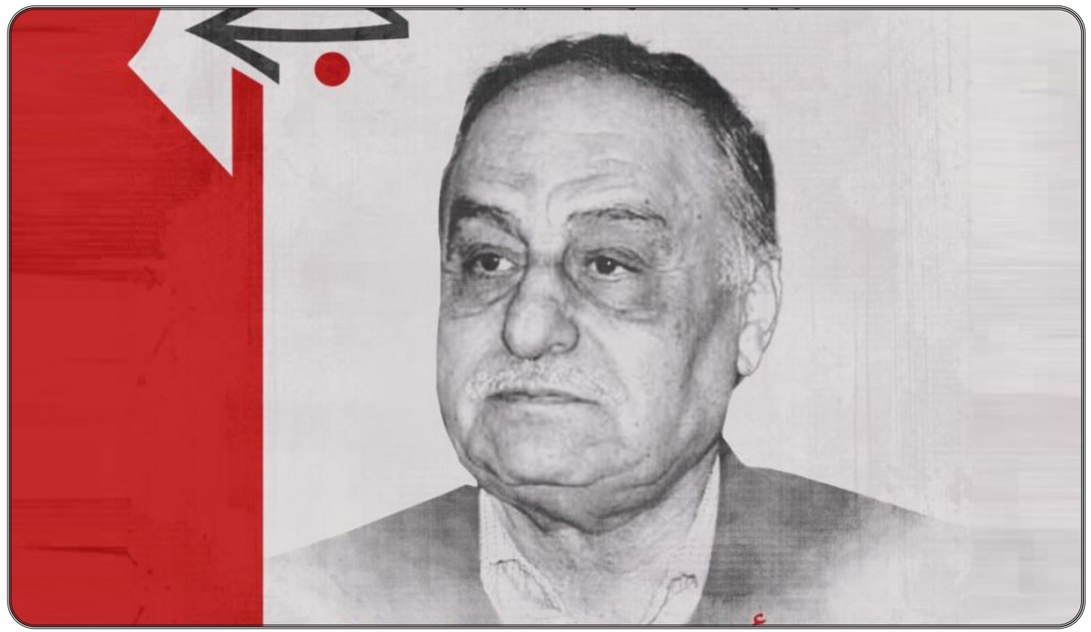

مرّ عام، بسرعة كثيفة، على رحيل الرفيق العزيز أبو أحمد فؤاد (داود أحمد مراغة). نزل علينا الخبر يوم 17 جانفي/كانون الثاني 2025 فحرّك الذاكرة لتجول في تاريخ قائد عسكريّ وسياسيّ فلسطينيّ المنشأ والهويّة، عربيّ القوميّة، أمميّ الانتماء... لم أعرف شخصيّاً أبو أحمد بشكل مباشر إلّا في بدايات هذه الألفيّة حين كان مسؤولاً عن دائرة العلاقات السياسية في الجبهة الشعبية قبل أن يصبح لاحقاً نائب الأمين العام الرفيق أحمد سعدات الأسير في سجون الاحتلال. التقينا في المغرب وكنّا في ضيافة رفاقنا المغاربة، في «النهج الديمقراطي»، (حزب النهج الديمقراطي العمّالي حاليّاً) بمناسبة انعقاد مؤتمر تنظيمهم. وكانت لنا بالمناسبة نقاشات ثريّة حول الوضع في فلسطين والمنطقة والعالم. وقتها عرفت تاريخ الرجل العسكري، دوره في الجبهة الشعبيّة وفي المقاومة الوطنية الفلسطينيّة عامّة في فترات حسّاسة وهامّة مثل حرب لبنان سنة 1982... لو لم يحدّثني هو وبعض الأصدقاء الحاضرين عن ذلك الدور، ما كنت لأكتشف وحدي الجانب العسكري الهام، بل الأساسي في حياة أبو أحمد، فقد كانت أريحيّته في النقاشات وفي المعاملات اليوميّة وما تشي به من ثقافة واسعة واطّلاع عن «خفايا الأمور» وصبر على الخلاف ورغبة جامحة في التجميع، تنمّ، وفقا لـ «لمقاييس المتداولة»، عن طباع رجل فكر وسياسة، لا عن طباع قائد عسكري «حازم»، «متجهّم»، «صارم» ، «قطعي» إلخ... ولكن كان من الواضح أنّ طباع أبو أحمد الشخصيّة لم تكن بمعزل عن طباع الفدائيّ الذي تعلّم الصبر من خلال التعامل اليومي مع الضغوط والتحديّات، كما أنّها لم تكن غريبة عن طباع المناضل الثوري، اليساري، المتواضع، الذي يبحث عن الإقناع، لا عن إشباع «الأنا» الزائفة. وفوق ذلك كلّه كان أبو أحمد «شهلول»، بالعامية التونسيّة، يحبّ الضحك والمزاح، يكره النكد والتزمّت الفارغ، وهي ميزة من ميزات الذين ناضلوا وكابدوا وعرّضوا حياتهم مرّات ومرات للخطر ممّا يجعلهم أقدر على «تبسيط» الحياة وتنسيب مشاكلها لمواجهتها بروح انتصاريّة.

بعد لقائنا الأوّل في المغرب، التقيت أبو أحمد عدّة مرّات في نفس البلد وفي تونس ولبنان وإسطنبول. كانت كلّها فرص لتعميق النقاشات حول وحدة الصفّ الوطني الفلسطيني على أسس ثابتة ومتينة، وحول دور اليسار الفلسطيني وتحديداً الجبهة الشعبيّة في ذلك، وحول واقع اليسار في الوطن العربي والعالم... فلئن كان الرجل يدرك عميق الإدراك أزمة الحركة اليسارية العربيّة والعالمية، وخاصّة فصيلها الماركسي اللينيني، فإنّه كان شديد الاقتناع بالطابع الظرفي لهذه الأزمة وكان يواجه ادعاءات القوى الرجعية بأنّ اليسار انتهى ولم يعد له مكان منذ انهيار التجارب الاشتراكية للقرن العشرين وعلى رأسها التجربة السوفياتيّة، بسخرية لاذعة...فمروّجو هذه الادعاءات لا يفهمون شيئاً من جدليّة التاريخ... من سيره إلى الأمام رغم ما يشهده من مدّ وجزر، من تقلّبات وتغيّرات قد توحي إلى البورجوازية العالمية وأذنابها من صهاينة ومن قوى رجعيّة محلية بأنّهم «المنتصر والقائم الأزليّ» وبأنّ الطبقة العاملة والشعوب المضطهدة هما «المهزوم الأبدي»... ولكن ذلك ليس إلّا وهماً فلو دامت لأنظمة الطغيان الاستعباديّة السابقة لما وصلت إلى الوحوش الحاليّين، الإمبرياليين والصهاينة والرجعيين بمختلف ألوانهم. ويبقى من أوكد مهام الحركة الواعية للطبقة العاملة والشعوب أن تقوم بدورها في مواجهة أولئك الوحوش الذين كلّما تفاقمت أزمتهم ازدادوا عربدة ودمويّة للحفاظ على مصالحهم وهيمنتهم... ولا يمكن لتلك الحركة أن تقوم بدورها إلّا إذا تسلّحت بالوعي والتنظيم والتصميم وواجهت «الإرهاب بالإرهاب» (لا عدل إلّا إذا تعادلت القوى: وتصادم الإرهاب بالإرهاب، حسب قول شاعر تونس أبو القاسم الشابي). هذه النظرة التاريخيّة العميقة التي تسكن الثوار الحقيقيّين هي التي كانت تغذّي تفاؤل فقيدنا العزيز، أبو أحمد فؤاد، وترسّخ يقينه بأنّ فلسطين ستنتصر وتتحرّر من النهر إلى البحر شاء غلاة الإمبريالية والاستعمار أم أبوا، وبأنّ الرأسمالية إلى زوال مهما تجبّرت ومهما طغت ومهما ارتكبت من حروب إبادة، لأنّ المستقبل للتقدم والحرية والمساواة والعدالة.

لا مستقبل ولا بقاء إلّا لمن آمن بهذا القانون التاريخي. الحركة قانون دائم، مطلق، حتّى لو تباطأت في بعض المنعرجات وأعطت الانطباع بأنّها توقّفت والاستقرار حالة مؤقّتة وسطحيّة لا غير حتّى لو بدا طاغياً ومهيمناً. إنّ همجية الرأسمالي-الإمبريالي والصهيوني والرجعي هي عنوان انهيار لا عنوان صعود وقوّة، حتى لو بدت كذلك في لحظة من اللحظات التي تكون فيها حركة العمّال والشعوب ضعيفة. ومن هنا يأتي دور طلائع الإنسانيّة، طلائع الطبقة العاملة والشعوب... وفي هذا السياق تأتي الحاجة إلى الكادر المتشبّع بالمعرفة الثوريّة مرشداً للعمل، للحركة والتغيير. الكادر المقتنع عقلاً وروحاً بألّا تغيير دون وعي وتنظيم ونشاط وبأنّ الحاجة إلى هذا الثالوث تزداد أهمية في مثل ظروف التراجع الحاليّة التي تنتعش فيها كلّ ضروب الانتهازية التي تستند إلى النفعيّة (البراغماتيّة) غطاء لأشنع أشكال الخنوع والخيانة والمذلّة فليس من الغريب أن نسمع بعد رحيل العزيز علينا أبو أحمد فؤاد: "فقدناه...ترك فراغاً» ولسان الحال يقول: "من سيعوّضه؟» وهو ما يعكس حقيقة تتمثّل في قلّة المناضلات/ المناضلين الجيّدين الذين يجعلون من القضيّة عقيدة ومن نكران الذات طريقة في الحياة ومن التضحية سبيلاً لتحقيق الكرامة. وهذه المسألة تعيد إلى الواجهة معركة الوعي وتكسبها أهميّة قصوى. فمن أجل أن يكون لنا أمثال أبو أحمد فؤاد علينا أن نخوض هذه المعركة بجرأة وشجاعة كبيرتين بل بإرادة فولاذيّة حتّى تنتشر الأفكار الثوريّة في صفوف العمال والشعوب المضطهدة ومن بينها شعوبنا وفي مقدّمتها الشعب الفلسطيني العنيد، ومن ثمّة تتحوّل تلك الأفكار إلى قوّة ماديّة تفتح الطريق لهزم الوحش الإمبريالي الصهيوني الرجعي بزعامة العصابة الفاشية الترامبيّة، المستعدّة اليوم للمقامرة بمصير البشرية والطبيعة معًا من أجل الحفاظ على مصالحه الأنانيّة.

إن التثقيف الثوري المرتبط بالممارسة العمليّة أمر فوق ضروري اليوم لخلق أجيال من المناضلات/ المناضلين القادرين على منازلة ذلك الوحش. وإن لم تتولّ القوى الثوريّة وفي مقدمتها الماركسيون اللينينيّون، هذه المهمّة فلن يقوم بها أحد وسيصيب هذه القوى التهرّم والانحلال ويفتح الباب لانتشار كافة أنواع الأفكار والأيديولوجيات الرجعيّة والانتهازيّة التي تسهم في تأبيد وحشيّة النظام الرّأسمالي الذي لم يعد له ما يقدّم للإنسانيّة عدا الدمار والموت وسيظلّ الأمر كذلك إلى أن توفّر هذه الإنسانيّة كافة الوسائل التي تمكّنها من قبر هذا النظام وكلّما أسرعت بذلك جنّبت نفسها مزيداً من الآلام والمتاعب بل جنّبت نفسها فرضيّة تدمير هذا الكون وهي فرضيّة ينبغي أن تؤخذ بجدّ في هذه الأوقات الصعبة التي ينتصب فيها على رأس العام «بلطجيّ»، فاشي وعنصري وعدواني، مستعدّ لارتكاب أبشع الجرائم لحماية مصالح العصابة التي يقودها. وما من شكّ في أنّ المهمة التي تواجهها القوى الثورية على درجة كبيرة من الصعوبة والتعقيد، خاصة في منطقتنا، لكن منذ متى عجز الثوريّون عن تحدّي الصعاب؟ ألم يوجدوا أصلاً من أجل هذه المهمّة، من أجل تحقيق ما يبدو في لحظة ما مستحيلاً بحكم موازين القوى؟ إنّ أبو أحمد فؤاد، القائد الفلسطيني العظيم، لم ينزل من السماء ولا هو بطل معزول وخارق، ولكنّه انبثق من معاناة الشعب الفلسطيني وعذاباته وعرف هو ورفاقه في الكفاح كيف يلتقطون تلك المعاناة والعذابات ويعبّرون عنها بإخلاص ويعبّدون الطريق الطويل والعسير للخروج منها. وهذه الفرصة التي أتيحت لأبو أحمد ورفاقه متاحة لكل توّاق إلى الحرية والعدالة والكرامة في أي بقعة من بقاع الأرض.

فلنمض إلى الأمام وفاء لعزيزنا أبو أحمد فؤاد ولكل من سبقوه ممّن وضعوا لبنة مساهمةً منهم في تعبيد الطريق نحو تحرير فلسطين وتحرير كافة شعوبنا وشعوب العالم وهم يطمحون إلى بناء حضارة إنسانية جديدة على أنقاض النظام الرأسمالي المتوحّش، حضارة ينتفي فيها استغلال الإنسان للإنسان ويعيش فيها البشر إخوة دون تمييز بأي عنوان كان...

غادرتنا جسدا يا أبو أحمد، يا شقيق جورج حبش ووديع حدّاد وماهر اليماني وبقيت بيننا فكراً وأخلاقاً وموقفاً وممارسة...لا ولن نخذلك...لسنا أهلاً لحليب أمّهاتنا إذا هادنّا أو تراجعنا أو خنّا الأمانة.

ثوّاراً كنّا وثوّاراً لا زلنا وثوّاراً سنبقى إلى أبد الآبدين

تونس في 28 جانفي/ كانون الثاني 2026

شهادة اعتزاز وفخر واعتراف
في ذكرى القائد أبو أحمد فؤاد

د. محمد رقيي- أمين سر الجبهة العربية التقدمية
وعضو المكتب السياسي لحزب فدرالية اليسار الديمقراطي. المغرب

في ذكرى رحيل القائد المناضل أبو أحمد فؤاد، نقف لا لنعدّ سنوات الغياب، بل لنستحضر زمنًا كاملًا من المعنى، زمنًا كانت فيه الكلمة موقفًا، والموقف فعلًا، والفعل انحيازًا لا لبس فيه إلى فلسطين بوصفها قضية مركزية، وإلى الأمة العربية بوصفها ساحة صراع مفتوح مع الاستعمار، والصهيونية، والاستبداد، والرجعية.

كان أبو أحمد فؤاد من ذلك الطراز النادر من القادة الذين لا تصنعهم المناصب، بل تصنعهم التجربة القاسية، والالتزام الصلب، والقدرة على الربط الخلّاق بين الوطني والقومي والأممي. قاد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في واحدة من أدق مراحل تاريخها وتاريخ القضية الفلسطينية، مرحلة الانكسارات العربية، وانهيار الأوهام الكبرى، وصعود التسويات، ومحاولات تحويل فلسطين من قضية تحرر وطني إلى ملف تفاوضي بارد.

في تلك اللحظة، لم يكن أبو أحمد فؤاد قائدًا إداريًا، بل كان ضميرًا سياسيًا داخل الجبهة وخارجها. حافظ على جوهرها: يسارية جذرية، وطنية ديمقراطية، ترى في فلسطين بوصلة لا تحيد، وفي الاشتباك مع المشروع الصهيوني جزءًا لا يتجزأ من الاشتباك مع الإمبريالية العالمية. لم يفصل يومًا بين المقاومة والتحرر الاجتماعي، ولا بين الكفاح الفلسطيني والنضال العربي الأشمل.

ومن بيروت، المدينة التي تختصر جراح العرب وآمالهم، كان لأبي أحمد فؤاد دور مفصلي في تأسيس الجبهة العربية التقدمية، إلى جانب قادة أحزاب وقوى عربية يسارية وتقدمية، في سياق إقليمي بالغ الخطورة.

وشهادة للتاريخ كان أبو احمد يسلك أصعب الطرقات من دمشق الى بيروت لحضور اللقاءات الأولية، بالرغم من إغلاق المعابر والملاحقات، وفي أحد الاجتماعات عند اشتداد موجة الإرهاب بين الحدود السورية واللبنانية، كما حكى مع مرافقه الشخصي، أن المسالك كانت وعرة ومراقبة، ولتأمين وصولهما إلى بيروت حيث سينعقد الاجتماع، أخذت الطريق البرية يومين كانا من أصعب وأخطر الايام، التي غامر فيها الرفيقان لعبور المنطقة البرية عبر الجبل، ليحضر ذلك الاجتماع الهام الذي سبق اللقاء التأسيسي، وأخذ على عاتقه أن لا يخلف الميعاد.

لم يكن ذلك التأسيس ترفًا تنظيميًا، بل ردًا سياسيًا تاريخيًا على لحظة عربية مأزومة: تفكك الدول، صعود الطائفية، إعادة إنتاج الاستبداد، وتنامي الإرهاب بوصفه الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية.

جاء تأسيس الجبهة العربية التقدمية بعد اغتيال الشهيد شكري بلعيد في تونس، وتوالي الاجتماعات في لبنان وتونس بالتواصل مع الدكتور يوسف المكي على روحهما ازكى السلام، ونجاح واكيم، وأحمد بهاء الدين وعدد من قيادات التنظيمات اليسارية من المغرب العربي والمشرق. وكان الرفيق القائد يقول ويؤكد، أن ذلك الحدث الذي لم يكن جريمة محلية، بل رسالة دموية موجهة إلى كل مشروع ديمقراطي تقدمي في المنطقة. كان اغتيال بلعيد إعلانًا صريحًا عن دخول المنطقة مرحلة جديدة: مرحلة استهداف اليسار، وتصفية الأصوات العقلانية، ومحاولة فرض معادلة زائفة بين الاستبداد والإرهاب.

في تلك اللحظة، ومع اشتداد موجة الإرهاب في الخليج وفي أكثر من بلد عربي، وُضعت القوى التقدمية أمام اختبار تاريخي: إما الانكفاء، أو إعادة بناء مشروعها الوحدوي والديمقراطي. اختار أبو أحمد فؤاد الخيار الأصعب والأشرف:

أولاً الحاضنة الشعبية التي يجب ان تشكل البديل التقدمي،

وثانيا المواجهة الفكرية والسياسية والتنظيمية، عبر تجميع القوى العربية التقدمية على قاعدة واضحة: لا للتحالف مع الاستبداد، ولا للاستسلام للإرهاب، ولا للتطبيع مع العدو الصهيوني.

كان يؤمن أن الإرهاب لا يُهزم فقط أمنيًا، بل يُهزم بمشروع اجتماعي عادل، وبسياسة ديمقراطية، وبخطاب تحرري يعيد الاعتبار للإنسان العربي. وكان يرى في اليسار العربي، رغم جراحه، طاقة كامنة قادرة على استعادة دورها التاريخي إذا ما تحررت من التشتت والدوغمائية، وربطت نضالها اليومي بأسئلة الناس الحقيقية: الخبز، والحرية، والكرامة، والسيادة.

لم يكن أبو أحمد فؤاد خطيبًا يبحث عن التصفيق، بل مفكرًا-مناضلًا يبحث عن الاستمرارية. ترك أثره في المؤسسات، في العلاقات، في الأفكار، وفي الأجيال التي تعلمت منه أن السياسة ليست حرفة، بل مسؤولية أخلاقية. وأن القيادة ليست استعلاءً، بل قدرة على الإصغاء، وعلى الصمود، وعلى اتخاذ المواقف الصعبة حين يختار الآخرون المناطق الرمادية.

في ذكراه، لا نرثي رجلًا، بل نستدعي سؤال المرحلة: ماذا تبقى من مشروع التحرر العربي؟ وأين تقف القوى التقدمية اليوم بين ركام الحروب، وتغوّل رأس المال، واستباحة فلسطين، ومحاولات تصفية وعي الأمة؟

إن الوفاء الحقيقي لأبي أحمد فؤاد لا يكون بالكلمات وحدها، بل بإعادة بناء الجبهة الواسعة للمقاومة السياسية والفكرية، وبالتمسك بفلسطين كقضية مركزية، وبالدفاع عن الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وبمواجهة كل أشكال التطبيع، والإرهاب، والاستبداد.

سلامٌ على روحه،
وسلامٌ على كل من اختار الطريق الوعر،
طريق اليسار المنحاز للناس.

أبو أحمد فؤاد...
نموذج المناضل الملتزم

مسعود أحمد ـ كاتب سياسي ـ سلطنة عُمان

ليس الحديث عن المناضل الراحل أبي أحمد فؤاد مجرد استذكار لسيرة فردية، بل هو استحضار لمسار سياسي وفكري ارتبط عضويًا بتاريخ حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبالتحولات العميقة التي شهدها النضال العربي التحرري. فقد انبثقت حركة القوميين العرب، التي كان أبو أحمد أحد أبنائها، في مطلع خمسينيات القرن الماضي كمشروع تحرري قومي، رأى في وحدة الأمة العربية شرطًا تاريخيًا لتحرير الأرض والإنسان، ولمواجهة المشروعين الإمبريالي والصهيوني بمختلف أشكالهما وتجلياتهما. وقد شكلت هذه الحركة، بقيادة مفكرين ومناضلين في مقدمتهم الدكتور جورج حبش، ردًا ثوريًا على واقع النكبة والتجزئة، وسعيًا جادًا لإعادة بناء الذات العربية وتحقيق الأهداف القومية في الوحدة والحرية والاشتراكية.

ومن رحم هذا المشروع القومي وُلدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بوصفها صيغة أكثر تحديدًا للربط الجدلي بين السياسي والاجتماعي، وبين التحرر الوطني والتحرر القومي الشامل. وقد أفرزت معاركها العسكرية والسياسية، من بين قواعدها وكوادرها، قادة استمدوا مكانتهم وسماتهم القيادية من تجارب شعوبهم ومن تجربة الحركة الثورية العالمية. وكان أبو أحمد فؤاد واحدًا من هؤلاء القادة الكبار، الذين صقلتهم التجربة النضالية في قلب الصراع، وفي خضم التحولات العاصفة التي شهدها الواقعان الفلسطيني والعربي. وفي سياق التحولات الفكرية والسياسية والتنظيمية التي واجهت الحركة الوطنية العربية عمومًا، والفلسطينية على وجه الخصوص، وما فرضه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني من تحديات مصيرية، بوصفه مشروع اقتلاع وإحلال لا يكتفي بالهيمنة السياسية أو الاقتصادية، بل يسعى إلى محو الوجود التاريخي للشعب الفلسطيني، برز أبو أحمد نموذجًا للمناضل الثوري الذي جمع بين البعدين الوطني والقومي. كان شاهدًا ومشاركًا في المعارك المصيرية للشعب الفلسطيني، وفي صياغة وعيه وفعله المقاوم. وقد أدرك، شأنه شأن غيره من المناضلين الثوريين في الوطن العربي، خطورة هذا النمط من الاستعمار باعتباره تحديًا وجوديًا لا للشعب الفلسطيني فحسب، بل للأمة العربية بأسرها. لذلك أسهم في إبراز الهوية الوطنية الفلسطينية واستقلالية قرارها السياسي، دون السقوط في أفخاخ القطرية الشوفينية. ومن هذا المنطلق، كانت المقاومة في نظره خيارًا تاريخيًا واستراتيجيًا، لا تكتيكًا عابرًا. وظل مؤمنًا بأن الصراع مع الصهيونية صراع حضاري وسياسي ممتد، لا تُحسم معاركه عبر التسويات المجتزأة أو الرهانات على حلول وهمية. وعلى هذه الأرضية الاستراتيجية نضجت شخصيته القيادية داخل صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ تأسيسها عام 1967، حيث تدرج في مواقعها العسكرية والسياسية إلى أن شغل منصب نائب الأمين العام. ومع أسر الأمين العام أحمد سعدات، تحمل أبو أحمد مسؤولية القيادة السياسية للجبهة، فكان صوتها الواضح والصريح، والمعبر عن خطها الثوري المقاوم دون مواربة أو التباس. وقد تميز بقدرة لافتة على الجمع بين الموقف المبدئي والواقعية السياسية؛ فلم يقع أسير الشعارات المجردة، ولا انجرف خلف براغماتية فارغة من المضمون، بل سعى إلى قراءة المتغيرات الإقليمية والدولية قراءة نقدية تنطلق من التمسك بالثوابت الوطنية، رغم اختلال موازين القوى. وكان يرى في الكلمة الملتزمة أثرًا لا يقل أهمية عن الفعل الميداني، بل اعتبرها أحد أسلحته الأساسية في معركة الوعي والصراع الوجودي التاريخي. وفي زمن التشويش الإعلامي واختلاط المفاهيم، برز أبو أحمد خلال السنوات الماضية كأحد الأصوات النادرة في المشهد الفلسطيني والعربي، التي حافظت على نقاء الخطاب السياسي ووضوحه. وقد عبرت مواقفه المتماسكة، المتصلة بجذور الصراع وطبيعته التاريخية، عن وجدان قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية والعربية. وبصفته مثقفًا عضويًا، أدرك أن المعركة على الجبهة الثقافية لا تقل أهمية عن المعركة على جبهات القتال، وأن هزيمة المشروع الصهيوني تبدأ بتفكيك روايته وسرديته ومواجهة أساطيره . وعلى الرغم من المكانة الرفيعة التي حظي بها، لم يتردد في التخلي عن موقعه القيادي، مفسحًا المجال أمام قيادات جديدة قادرة على حمل الراية الثورية، في إطار التقاليد الديمقراطية الراسخة التي أرستها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في حياتها الداخلية، وضخّ دماء جديدة في صفوفها، باعتبار ذلك شرطًا أساسيًا لاستمرارية المشروع الثوري. وقد جسد في ممارسته الثورية مقولة الدكتور جورج حبش: «بإمكان المناضل أن يمارس دوره الوطني دون أن يكون في موقع قيادي أول «. برحيل أبي أحمد فؤاد، فقدت الساحة الفلسطينية والعربية قائدًا فذًا جمع بين الالتزام الفكري، والصلابة السياسية، والوضوح المبدئي. وترك إرثًا نضاليًا سيبقى حاضرًا في معركة الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره، وحقه في العودة، وإقامة دولته المستقلة، وفي معركة الأمة العربية الأوسع ضد الاستعمار والتجزئة والتبعية. وانطلاقًا من هذه الرؤية التقدمية ، فإن استحضار تجربة أبي أحمد فؤاد بات ضرورة سياسية وفكرية في زمن تتكاثر فيه الهزائم وتختلط فيه الألوان. فهذه التجربة المضيئة، التي جسدها قولًا وعملًا، تذكر الأجيال القادمة بأن طريق الحرية، مهما كان شاقًا وطويلًا، ومهما اعترضته من صعوبات وتطلب من تضحيات، فإن نهايته حتمًا الانتصار، وسيبزغ فجر الحرية مهما طال ليله.

في وداع الرفيق اللواء داوود مراغة
أبو أحمد فؤاد

كاظم الموسوي ـ باحث سياسي وأكاديمي عراقي

مر عام على رحيل الرفيق ابو احمد فؤاد ولكنه مازال بيننا اسما وشهادة وقيمة ومقاما ومواقفا، وهي كل ما يتبقى للانسان. فالرحيل قائم والفقد مستمر، ليس بايدينا هذه سنة الحياة وديدنها، كل امرء وله يومه، ميكرا او متاخرا. بالتاكيد الرحيل خسارة، والفقدان قاس، فما كان لم يعد وهو ما يجعل هذا الاحتفاء ليس تذكيرا وحسب وانما تعبيرا عن تقدير واعتزاز وشهادةً من الذين عاشوا تلك السنوات ومارسوا مهامها وتحملوا همومها وعرفوا الفقيد المحترم عن قرب او بالتذاكر مع من خاض النضال والكفاح والتضحية والصدق والأمانة والاخلاص معه، في معتركات الكفاح الوطني، في البناء السياسي والعسكري، الذي عرف به. وهذه كلها صفات قلما تتوفر في صور الحياة الا عند شخصيات تفرض وجودها وتبقي اسمها مؤشرا واعلاما عن قدراتها وعن دورها في مسيرة تاريخية عن القضية الجامعة، قضية فلسطين، وما عاشته وتطلبت، في الصمود والمقاومة والتضحيات، والتي ظلت هاجسه وامتحانه وخبراته وصورته التي ترتسم امامنا ونحن نتذكره.

هو ابن القضية، ولد في عاصمتها، القدس، وحمل جراحها كل عمره في ساحات الكفاح والنضال الوطني والقومي، وهو رافع راية القضية التي عرفته وعرفها، فضلا عن كونها القضية المركزية للامة التي حملتها خلال المراحل التاريخية من سرديتها الفلسطينية، العربية، الانسانية، منذ بداياتها وحتى يومنا هذا. وللراحل الكبير حصته في صفحات تاريخها وتجاربها ومنعطفاتها وتحولاتها، وكان بارزا فيها، شهدت له المواقع التنظيمية، السياسية والعسكرية، التي كلف بها او اختير لها، في اغلب مقراتها الجغرافية المحيطة بارضها، فلسطين، وظلت شهادة له نتحدث عنها الان بتفاصيل مضيئة، ونعلقها له في قلوب المحبين والصابرين.

من اللقطات الباقية بيننا، او من بين ما حصل في اللقاءات المشتركة، ودعوات من رفاق اخرين، وبحضور اعزاء حملوا جمر القضية بايديهم وساروا على ذات السبيل، اخر لقاء معه، كنت في اخر زيارة للشام، وقد جُمعنا في لمة رفاقية في مطعم دمشقي وسط المدينة بدعوة من الرفيق الدكتور ماهر الطاهر وبحضوره والرفاق ابو علي حسن وابو نضال الرفاعي وابنه احمد، وباجواء ومناخ متميز فتح شهية الذكريات وصفحات ايام النضال الفلسطيني والعروبي وظروفه المعقدة او المشتبكة في محنة العرب وسياسات الحكومات العربية وضغوط الامبريالية ودولها وجرائمها المعروفة وما قابلها من البطولات في التصدي لها ودحرها في اكثر من مشهد ومكان وزمان. وكشف الحوار حرص الرفيق على العلاقات الوطنية والقومية والاممية واهمية التطورات المتواصلة على مختلف الصعد السياسية والفكرية والعسكرية وضرورة متابعتها والاثراء منها، شخصيا وحزبيا، حاضرا ومستقبلا، لا سيما في العلاقة مع الجماهير الشعبية في البلدان التي تحدثنا عنها، وفي صلابة التنظيم وغنى الوعي الفكري والسياسي بكل ما جرى وحدث وما حصل في غزة مثالا. دروس غزة والصمود الاسطوري للشعب الفلسطيني في قطاع غزة وفي كل فلسطين، من الفاء الى النون.

كما لابد من الاشارة الى متابعاتي لظهوره الاعلامي في فضائيات تستضيفه ويعبر فيها عن رؤاه الفكرية وموقف الجبهة الشعبية التي افنى عمره في مسيرتها النضالية من اجل تحرير فلسطين والعودة الى الديار، الحلم الفلسطيني، والعودة لبناء سردية الكفاح والتحرر الوطني والتضحيات الفلسطينية.

عام مضى، على رحيل القائد الكبير، وفي هذا اليوم، وكل يوم، نتذكره بقامته وقيادته ومثاله والاستشهاد بدوره ومكانه في الحركة التحررية وبيننا، وسنظل نستعيد ذكراه وننتظر يوم الانتصار لنرفع اسمه وصورته في الحفل المنتظر.

الثوريون لا يموتون، الرحمة والذكر الدائم لروحه واسمه وعزاؤنا مشترك ...

صفحات من التاريخ
ترسمها الصور

موسى مراغة - صحفي وإعلامي فلسطيني - سورية

إنه العام 1942...والمكان قرية سلوان جارة القدس...وحارسة أقصاها.. في حارة (ال مراغة) التي تشرف على بئر ايوب. وعين اللوزة أشهر عيون سلوان... والحدث... مولود لعائلة أحمد مراغة..... المولود داهود مراغة..

والذي نشأ وترعرع بين أشجار التين واللوز والرمان. وشرب الماء الزلال من عيونها.. وتعلم في مدرستها (مدرسة سلوان).. وبعد المرحلة الابتدائية يكمل المرحلتين الإعدادية والثانوية في مدينة القدس.

الشاب داهود مراغة.. والذي بدأ يتفتح وعيه خاصة بعد النكبة الفلسطينية عام 1948 والتي عاش فصولها وهو فتى ابن 6 سنوات..

حفرت النكبة ومآسيها ونتائجها عميقا في عقل وفكر الشاب داهود مراغة خاصة قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

وما إن بلغ العشرين من عمره...وجد في حركة القوميين العرب خطا ونهجا وسياسة سار على دربها وحمل لواءها..

وأخذ يعد العدة بما تيسر من إمكانيات لأن يكون واحدا من الذين يستعدون لخوض معركة التحرير.. حتى لو لم تتوفر إمكانية حمل السلاح. في ذلك الوقت.. فوجد مجالا آخر يمكن أن يكون فيه ايضا جنديا على جبهة التمريض والإسعاف.. فانتسب إلى دورة في هذا المجال. وحصل في العام 1963 على شهادة في الإسعافات الأولية أقيمت في القدس.

وبعد نكسة حزيران 1967.. ينضم الشاب داهود مراغة... (أبو أحمد فؤاد).. إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. ويغدو قائدا عسكريا للقطاع الأوسط.. وأصبحت منطقة الأغوار الأردنية ونهر الأردن (الشريعة) ملاذه ومأمنه.. وكان يشرف على الدوريات الفدائية التي كانت تعبر نهر الأردن لتنفيذ عملياتها داخل فلسطين المحتلة.. وفي تلك المنطقة انتشرت قواعد الفدائيين الفلسطينيين جنبا إلى جنب مع جنود الجيش الأردني ونشأت علاقات طيبه بين الجهتين.. وكان المناضل الدكتور جورج حبش يزور تلك المنطقة. ويتفقد قواعد الفدائيين وبرفقته أبو أحمد فؤاد..

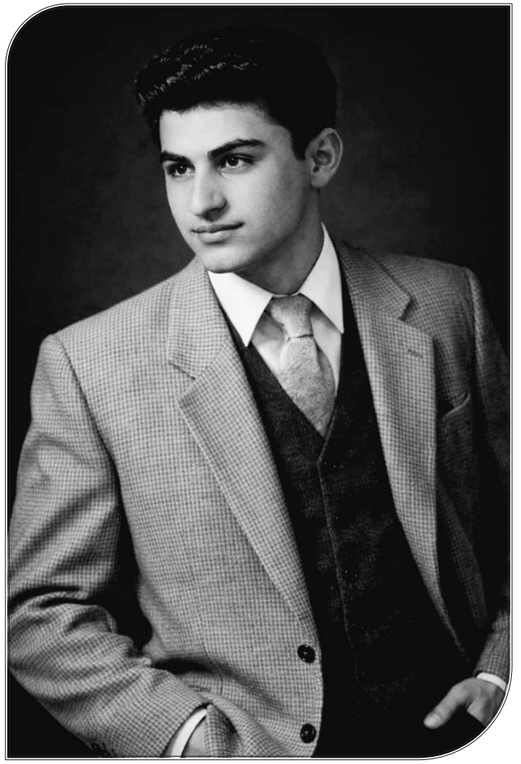

وبعد أحداث أيلول عام 1970 في الأردن.. ينتقل العمل النضالي والعسكري إلى لبنان.. وتنتشر القواعد العسكرية للجبهة الشعبية في الجنوب اللبناني على مقربة من حدود فلسطين.. ليصبح الجنوب نقطة انطلاق للعمليات الفدائية داخل فلسطين، وقاعدة إطلاق للصواريخ لقصف المعسكرات والمستوطنات الصهيونية داخل فلسطين المحتلة..

وكان أبو أحمد فؤاد دائم اللقاءات والتواصل مع المقاتلين في تلك المنطقة.

القائد العسكري في الجبهة الشعبية أبو أحمد فؤاد...لم تمنعه هذه المهمة من التواصل مع الوحدات العسكرية في الفصائل الفلسطينية المختلفة وحضور تخريج الدورات العسكرية.

في العام 1979 يكون حاضرا إحدى تلك الدورات إلى جانب المرحوم القائد أبو جهاد خليل الوزير. وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح هاني الحسن.. وبحضور القائد الوطني أبو ماهر اليماني.

مهامه العسكرية والسياسية والتنظيمية في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم تمنعه أيضا من المشاركة في الكثير من الوفود التي كانت تزور الدول الصديقة الداعمة للثورة والشعب الفلسطيني. فمن الاتحاد السوفيتي إلى الصين إلى فيتنام وكوبا وغيرها من الدول العربية والدول الصديقة.

وفي بداية سبعينيات القرن الماضي 1972 حملته إحدى المهمات لزيارة فيتنام واللقاء مع القائد العسكري الأشهر الجنرال جياب... وبرفقة القائد الفلسطيني في الجبهة الشعبية ابو ماهر اليماني..

وفي زيارة لاحقة في العام 1975يزور أبو احمد فؤاد جمهورية الصين الشعبية مع المرحوم القائد الرفيق أبو علي مصطفى.

كان المرحوم أبو أحمد فؤاد حريص على زيارة مجلة الهدف... ومتابعة وقراءة موادها.. لما تشكله الهدف من وسيلة إعلامية نضالية ودورها في الثقافة الوطنية الفلسطينية الحاملة للمشروع النهضوي الثقافي.. وكان يحضر المؤتمرات الصحفية التي يعقدها الرفاق في قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في كثير من المناسبات والأحداث التي تمر فيها القضية الفلسطينية...

هنا من إحدى المؤتمرات الصحفية المنعقدة في مجلة الهدف.. بحضور الرفيق الأمين العام د.جورج حبش والرفاق ابو علي مصطفى وابو ماهر اليماني. ورئيس التحرير حينها صابر محي الدين. والرفيق طلال عوكل عضو اللجنة المركزية.

الرفيق أبو أحمد فؤاد الشخصية القيادية في الجبهة الشعبية وصاحب التجربة النضالية في المجالات العسكرية والسياسية والتنظيمية كان دائم الحضور والمشاركات في النشاطات والاحتفالات بالمناسبات الوطنية الفلسطينية..

في إحدى تلك النشاطات بداية التسعينيات من القرن الماضي. وبحضور عدد من الأخوة والرفاق الامناء العامين للفصائل الفلسطينية..

وفي تخريج دورة عسكرية للأشبال والشبيبة في حركة فتح الانتفاضة عام 2010 .تلك الدورة حملت اسم عميد الأسرى الفلسطينيين الأسير المحرر نائل البرغوثي..

كان حضور المرحوم أبو أحمد فؤاد لافتا في تلك الدورة جنبا إلى جنب مع القائد الوطني الفلسطيني المرحوم ابو موسى..

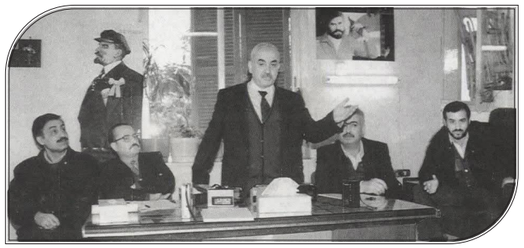

إشكاليّات النّهوض العربي الرّاهن (2 من 3)

د. سامي الشيخ محمد ـ أكاديمي وباحث فلسطيني ـ سورية

غياب الدّيمقراطيّة:

تخضع الديمقراطيّة في العالم العربيّ لتقنين شديد يكاد يفقدها جوهرها وروحها، ناهيكَ عن القول بأنّها تفتقدُ أهم الأسس والمقوّمات الضّروريّة لوجودها وهي :المشاركة الفاعلةُ، والتعدديّة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، فالنيل من المشاركة والتعدديّة المذكورةِ من شأنه أن يحول دون تحقيق نهضة داخلية حقيقية، وترك مصير المجتمع بأيدي القلّة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المسيطرة على مقاليد الحكم فيه، رغم أنَّ هذهِ الأقليّة أثبتت عجزها عن الاضطّلاع بمهمّة النّهوض والتّنمية منذ منتصف القرن العشرين ـ وما دون ـ حتّى أيّامنا هذه، فنجمَ عن ذلك أضرار فادحة بما في ذلك هجرة الكثيرين من أبناء الأمّة الموهوبين والمؤهّلين إلى البلدان الغربيّة المتقدّمة، لأنّهم وجدوا فيها المناخات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة المناسبة للمشاركة وتحقيق الّذات .

كذلك يُلحظُ غياب وجود تعدّديّةٍ سياسيّةٍ اقتصاديّة فاعلة في أنظمة الحكم العربيّة، وحصرها- أي أنظمة الحكم- إمّا بالعائلة أو بالعشيرة أو بالحزب الحاكم بمشاركةٍ ضيّقةٍ ومحدودة من جانب بعض القوى والأحزاب السّياسيّة المؤتلفة مع نظام الحكم القائم، رغم أنَّ الحاجةَ ماسّةٌ لبناءِ نظامٍ سياسيٍّ تعدّديّ، يُتيح المجال لمشاركة أوسع للأحزاب والقوى الممثّلة للطّيف السّياسيّ للمجتمع، على أساس التّمثيل النّسبي، و تحديد علاقتها بالدّولة والمجتمع، وبهذا الخصوص تبرز الحاجة لصياغة قوانين ناظمة لقيام الأحزاب وتشكّلها وحلّها .

وبالتّالي فغياب الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعيّة في أرجاء كثيرة من الوطن العربي، ناجمٌ عن احتكار السّلطةِ السّياسيّة من جانب بعض الفئات السّياسيّة والجهويّة، وحرمان باقي فئات المجتمع من المشاركة الفعلية فيها، الأمر الّذي يجعل من مهمّة تحقيق النّهوض الوطنيّ والقوميّ مهمّة عسيرة وشاقّة.

ناهيك عن أنَّ استئثار بعض الفئات الاجتماعيّة _ (سياسيّة أو جهويّة) _ بالسلطة السّياسيّة، من شأنهِ جعل السّلم الاجتماعيّ والأهليّ داخل بلدانها مهدّداً بالخطر وعرضةً للصّراع والتّناحر، ونشوء الأحقاد والكراهية والبغضاء، وتوفّر الظّروف الملائمة لحدوث اختراقات خارجيّة معادية للمصالح الوطنيّة والقوميّة، ممّا يُضعِف المجتمع ويحول دون انخراط جميع أفراده في عمليّة نهوضه وتنميته وتقدّمه

الفرقة والانقسام:

لا يخفى حجم الأثر النّاجم عن الفرقة والانقسام في العالم العربيّ، فقد أضعفا الأمّة، وجعلاهَا نهباً للطّامعين والمستعمرين، وفرَضا الذلّة والمسكنة والهوان والتبعيّة عليها، وعمّقا روح الانعزال والقطريّة، بل إنّ واقع الحال بلغ بنا من السّوء حدّاً لا يبعث على التفاؤل، فمثلما أنّه يستحيل بعث الحياة في الأشلاء المبعثرة، فإنّه يستحيل نهوض الأمّة من كبوتها الحضاريّة في ظلّ حالة الفرقة

والانقسام، والضّياع، بخاصّة في زمن يشهد تكتلات اقتصاديّة وسياسيّة عملاقة بين مجموعة الكيانات السياسيّة والاقتصاديّة العالميّة، فلا يكون بوسع الأنظمة الصّغيرة المبعثرة إلاّ الامتثال والخضوع لمشيئة تلك التكتلات اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، الأمر الّذي يهدد هويّتها الحضاريّة بالاندثار، ويجعلها نهباً للطّامعين، ومتخلّفةً عن اللّحاق بركاب الأمم المتقدّمة، من هنا ليس من سبيل لتجاوز الأمّة أزمتها التّاريخيّة الرّاهنة، والنّهوض بحاضرها ومستقبلها، إلاّ بالعمل الجاد على إعادة لحمتها وحشد طاقاتها في مواجهة عملاق العولمة المعاصر، الّذي لا يوجد فيهِ مكان يستحقُّ الذّكر للضّعفاء والمساكين، بل يسحق كلّ الكيانات الصغيرة الّتي تعترض سبيله.

وعليه فالفرقة بين الكيانات السياسيّة العربيّة اليوم، تنذر بالكارثة الّتي لن يسلم أحدٌ منها، آخذين بالاعتبار وجود بعض الأصوات العنصريّة والصّهيونية الّتي تنظّر إلى صراع الحضارات بين الأمم عوضاً عن حوارها، وهو صراعٌ يتصدّرُ العرب والمسلمون فيه المرتبة الأولى .

لذا فالحاجةُ ماسّةٌ لإنهاء الفرقة والانقسام، وتعميق مفهوم الدّيمقراطيّة الّذي من مبادئه: التعدّدية السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة للعناصر المكوّنة للمجتمع، والمشاركة الفاعلة في إنتاج النّظام السيّاسيّ للحكم، وتحديد علاقة الدّولة بالمجتمع بهدف تجميع طاقات المجتمع والإفادة منها في عمليّة النّهوض والتّنمية، والوقوف صفّاً واحداً في وجه الأطماع والتّهديدات الخارجيّة.

علاقة الدّولة بالمجتمع:

علاقة الدّولة بالمجتمع واحدة من المشكلات المعطّلة للنّهوض والتقدّم في معظم البلدان العربيّة، فغياب تحديد طبيعة ومجال عمل كلٍّ منهما، أدّى إلى طغيان الدّولة على المجتمع وتهميشه من المشاركة الفعليّة في تقرير مصيره، رغم أنَّ مهمّة الدولة في الأصل رعاية المصالح المختلفة للمجتمع، وتوفير الأمن والحماية اللاّزمة لهُ، فالدّولة المجتمعيّة ديمقراطيّةٌ بطبيعتها باعتبارها ثمرة للتّعاقد الحرّ بين أفراده كافّة.

والدّولةُ بوصفها جهازاً سياسيّاً وإداريّاً وقانونيّاً تُعنى بإدارة شؤون المجتمع والتّفاعل المثمر بينها وبين مؤسّساته وهيئاته المجتمعيّة المختلفة. وطبيعة العلاقة بين الدّولة والمجتمع تقوم أساساً على فكرة أنَّ الغاية النّهائيّة من وجود الدّولة هي خدمة المجتمع بأطيافه كافّة: السّياسيّة والمذهبيّة والعرفيّة، فخدمة المجتمع والنّهوض به والعمل على تقدّمه هي الغاية الأساسيّة من وجود الدّولة، بهذا المعنى ليست الدّولةُ وثناً مقدّساً في حدِّ ذاتها، فهي مُنتَجٌ اجتماعيٌّ قابل للتّغير، بتغيّر المجتمع المنتج لها .

تتجلّى علاقة المجتمع بالدّولة المجتمعيّة، في أحسن صورها من خلال حرصه على التمسّك بها وتفاعلهِ الخلاّق معها باعتبارها ملكيّة عامّة لجميعِ أفراده، وُجِدَت لأجلِ رعاية مصالحهِ، والوقوف على خدمتهِ، من هنا فالمجتمع والدّولة في ظاهرهما كيانان مستقلاّن وفي جوهرهما كيانٌ واحد . وبناءً على ذلك يُفسَّرُ حرص المجتمع على التمسّك بالدّولةِ من زاوية حرصه على التمسّك بذاته. وواقع الحال أنَّ الدّولة في العالم العربيّ كيانٌ مستقلٌ عن المجتمع، منزلتها من المجتمع بمثابة منزلة السّيّد من العبد، والحاكم بأمره من المحكوم بأمره، فلا سلطة فاعلة للمجتمع على الدّولة في العالم العربيّ، وعوضاً عن أن تكون الدّولة في خدمة المجتمع فإنَّ المجتمع يضع نفسه في خدمة الدّولة على أساسٍ غير متوازنٍ من العلاقة غير المتكافئة بينهما .

بهذا المعنى الدّولةُ العربيّة المعاصرةُ أقرب للملكيّة الفرديّة والفئويّة الخاصّة منها للملكيّة المجتمعيّة العامّة، تضعُ نفسها في خدمةِ الفئة الحاكمة لا المجتمع، رغم الفوارق الموجودة بين بعض الكيانات السّياسيّة في العالم العربيّ. وفي هذا السّياق فقد وفّرت الدّولة في العديد من البلدان العربيّة المناخ الملائم أمام تشكّل جماعات ضغطٍ تتحكّم في صنع واتّخاذ العديد من القرارات الحكوميّة خدمةً لمصالحها المختلفة، ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ إذ أخذت بعض هذهِ الجماعات في التحوّل من جماعات ضغطٍ إلى جماعات ترعى الجريمة المنظّمة في بلدانها، على مرأى ومسمع من الدّولة والمجتمع . الأمر الّذي انعكس سلباً على علاقةِ الدّولةِ بالمجتمع في تلك البلدان، فأصبحت علاقةً مشحونةً بالتّوتّر مشوبة بالخطر، لعلّة عدم خضوع الدّولة للمجتمع في تشكّلها وأدائها، لذا تبرزُ الحاجة إلى وضع الدّولة في خدمة المجتمع، وليس في إخضاعهِ والحدّ من فاعليّته، بل لتفعيله والوقوف على مصالحه المختلفة. وهذا لن يتحقّق إلاّ بالشّروع الفوريّ بعمليّة إصلاحٍ سيّاسيٍّ شاملة، تعيد الدّولة للمجتمع بوصفهِ المصدر الرّئيس للسّلطات التّشريعيّة والقضائيّة والتّنفيذيّة .

الفساد الاجتماعي :

ثمّة ما يدعو للقيام بإصلاح اجتماعيّ في العالم العربيّ، فالكثير من الممارسات الاجتماعيّة الخاطئة بما في ذلك العادات والتّقاليد، انعكاسٌ للوعي الاجتماعيّ المستمدّ من الموروث الثّقافي للمجتمع، الأمر الّذي يدعو إلى إعادة النّظر في الكثيرِ من العناصر المكوّنة لوعينا الاجتماعي، ووضعها موضع فحص عقليٍّ علميٍّ دقيق ، بهدف التّخلي عمّا هو سلبيّ وضار وغير نافع فيها، وتطوير ما هو إيجابيٌّ ونافع بغية التّأسيس لوعيٍ مجتمعيٍّ حداثيٍّ معاصرٍ، فمثلما للأفرادِ أعمارٌ محدّدة كذلك للأفكارِ والموروث الاجتماعيّ الثّقافيّ أعمارٌ محدّدة أيضاً، فمِن الأعمار ما يتجدّد عبر الولادة المستمرّة لأفراد النّوع، ومنها ما يندثر لعلّة عدم قدرتها على الانتقال والتّجدّد. ومن مظاهر الفساد الاجتماعيّ النّيل من العدالة الاجتماعيّة والكرامة الشّخصيّة .

النّيل من العدالة الاجتماعيّة والكرامة الإنسانيّة :

تُشكّل العدالة إحدى الرّكائز الضّرورية للنهوض العربي، ولها أوجهٌ متعدّدةٌ أبرزها: العدالة في توزيع الثّروة، العدالة في توفير فرص العمل، العدالة في الاستثمار، والعدالة في علاقة الدّولة بالمواطن والمواطن بالدّولة، على نحوٍ لا يقعُ فيهِ الظّلم والحيف على أيٍّ من الطّرفين على يد الطّرف الآخر، والسّبيل لتحقيق هذا النّوع من العدالة: وضع تشريعاتٍ قانونيّة تأخذ في الحسبان توازن الحقوق والواجبات بينهما، على أنّه من غير الممكن الحديث عن العدالة بين المواطن والدّولة والمواطنين أنفسِهم إلاّ في ظلّ سيادة القانون والقضاء، هذه السّيادة الّتي يتساوى في ظلّها جميع الأفراد حكّاماً ومحكومين، ولا تخضع لأيّ تأثير سلبيٍّ من جانب السّلطات التّنفيذية وأجهزتها السياسيّة والأمنيّة والإداريّة تحت أي ظرفٍ أو اعتبار .

وعليه ينبغي أن تكون سيادة القانون سيادة فعليّة، وإلاّ تحوّلت إلى سيادة شكليّة منفعلةٍ وقاصرة، وبالطبع فإنَّ السيادة الفعلية للقانون تشكّل القاعدة الماديّة للعدالة والشّرط الضّروريّ لتحقّقها، الأمر الّذي يؤدّي إلى توطيد أواصر العلاقة بين المواطنين أنفُسِهم من جهة والدّولة من جهة أخرى، والعمل بروحِ الفريق الواحد من أجل تحقيق رفعة الوطن والأمّة .

والسؤال الّذي يطرح نفسه: هل يحظى المواطنون العرب بالعدالة الاجتماعيّة في أوطانهم؟ وهل بوسع من لا يحظون بها الإسهام في نهوض الوطن والأمّة؟. بالطبع تتفاوت الإجابة من بلدٍ عربي لآخر، لكن واقع الحال لا يبعث على التفاؤل في معظم البلدان العربيّة. ناهيك عن القول بأنَّ المظلومين والمقهورين والمنبوذين غيرُ مؤهّلين للإسهام في نهضة بلادِهم وأمّتهم، قبل أن يرتفعَ الظّلم والجور والقهر والنّبذ عنهم، فيُعادُ الاعتبارُ إليهم والعملُ على تأهيلهم للاضطّلاع بمهمّةٍ نبيلةٍ كهذه .

كذلك يعدُّ النّيل من الكرامة الشّخصيّة والوطنيّة والقوميّة، من بين الأسباب المعطّلة للنّهوض العربيّ، فطالما أنَّ البشر وحدهم صانعو تاريخهم وحضاراتهم، فإنَّه يتعيّن على بلدانهم صون كرامتهم، لا النّيل منها، فكرامة الإنسان جوهرُ وجودهِ من النّاحيتين الإنسانيّة والأخلاقيّة، وبدونها يتعذّر الإفصاح عن مواهبه وقدراته وإبداعاته المختلفة، ومشاركته الفاعلة في النّهوض المنشود، ناهيك عن القول بأنَّ النّيل من كرامة الفرد من شأنه أن يدفع به إمّا إلى السّقوط الذّاتي والسّلبيّة، وإمّا إلى الثّأر ممّن تسبّب في حدوثه، فيحلّ الانتقام والثّأر، بدلاً من الاحترام والتّعاون. وبالطّبع فالكرامة ليست معزولة عن الحرّيّة والديمقراطيّة والعدالة، فالفرد لا يشعر بكرامته، إلاّ إذا كان حرّاً ، ومشاركاً ومُنْصَفَاً.

والسؤال: ألا يعاني المواطن العربي من عَوَزٍ مقلقٍ في كرامته بفعل الاعتداء المتكرّر عليها؟ في ضوء الإجابة على هذا السّؤال يصبح بالإمكان التأكّد من جدوى الحديث عن تعزيز كرامة الفرد وصونها، وأثر ذلك على المشاركة في عمليّة النّهوض الشّامل للوطن والأمّة. ومّما لا شكَّ فيه أنَّ عمليّة الإصلاح الاجتماعيّ تستغرق وقتاً طويلاً وتحتاج إلى جهدٍ كثيفٍ ومركّب، يشترك فيه الفرد والأسرة، والمجتمع بمؤسّساته التّربويّة والتّعليميّة والثّقافيّة والإعلاميّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة المختلفة.

لبنان إلى أين؟
ما بين العدوان الصهيوني والتدهور الاقتصادي

د. ماري ناصيف – الدبس
المنسقة السابقة للقاء اليساري العربي ونائبة الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني

كيف يمكن أن نقرأ الوضع اللبناني في ضوء المستجدات المتسارعة، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، في المنطقة العربية والعالم؟ وماذا عن اتفاق وقف إطلاق النار مع العدو الصهيوني وانسحابه من المناطق التي يحتلها داخل أرضنا؟ بل ماذا عن دور لجنة «الميكانيزم» التي حلّت محل قيادة اليونيفيل والتي تحوّلت من لجنة أمنية تشرف على تنفيذ وقف إطلاق النار إلى قيادة تفاوض أمني وسياسي بين لبنان والمعتدي المحتل؟ وما هي التحديات المالية والاقتصادية التي على لبنان مواجهتها في المرحلة الراهنة؟

أسئلة كثيرة والأجوبة عليها تتعدّى الواقع اللبناني لترتبط بالخريطة الجديدة التي تحاول الإمبريالية الأميركية رسمها للعالم، عموماً، وللعالم العربي والشرق الأوسط، على وجه الخصوص، بدءاً بالتحرك العسكري لواشنطن في فنزويلا وأميركا اللاتينية عموماً، ومن ثم باتجاه القطب الشمالي، من جهة، وفي المحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية، من جهة أخرى، وصولاً إلى بحر الصين وإلى قلب آسيا. كل ذلك من أجل ضمان استمرار سيطرتها على العالم وثرواته لحل أزمتها البنيوية، الأمر الذي يتطلّب السيطرة على النفط والغاز وطرق إمدادهما، وخاصة على ما يسمى «الأراضي النادرة» (Rare Earths) (١) التي تسيطر الصين على 70 بالمئة من إنتاجها، ولا ننسى أهمية وضع اليد على أغلبية الأراضي الزراعية والمياه التي، بحسب تقرير «وكالة الاستخبارات الأميركية» CIA))، ستكون السبب الأول للحروب القادمة.

في هذا الجو الذي تزداد فيه مخاطر نشوب حرب عالمية ثالثة، اقتصادية أساساً وربما عسكرية، تعيش شعوب الأرض 130 حرباً عدوانية ونزاعاً مسلّحاً، بينها ما لا يقل عن عشر حروب عدوانية ونزاعات مسلحة تواجهها الشعوب العربية في المشرق والمغرب. ولعل أخطر هذه الحروب هي تلك التي يشنها الكيان الصهيوني منذ العام 1948 على الشعبين الفلسطيني واللبناني والتي تهدف إلى تطهير عرقي للسكان الأصليين، ليس فقط في كل فلسطين، بل كذلك في قسم أساسي من لبنان.

ويتمثّل، اليوم، مشروع التطهير العرقي هذا، المعروف بـ «مشروع ترامب» والمدعوم من واشنطن وحلف الناتو تحديداً، بالاستيلاء على بعض أقسام من الجنوب والبقاع الغربي الممتدة من الجولان المحتل ومزارع شبعا وتلال كفرشوبا المحتلة إلى البحر، بحجة «إقامة منطقة اقتصادية دولية» تحت شعار «الأرض مقابل الازدهار»، على أن تمول السعودية وقطر هذا «المشروع»، بانتظار المرحلة التالية التي يتم فيها إفراغ المنطقتين المذكورتين سابقاً بشكل كامل ونهائي من سكانهما، وإحلال مجموعات من المهاجرين الصهاينة فيهما بديلاً للسكان الأصليين(٢). لذا، تعمد قوات العدو العسكرية إلى منع الجنوبيين في منطقة ما يسمى بالشريط الحدودي من إعادة إعمار بلداتهم وقراهم المهدمة بشكل شبه كامل، مستمرّة في قصف الأبنية وإعادة تدمير المنازل (بما فيها البيوت الجاهزة)، متحججة بمحاولات عناصر غير مدنية العودة إلى تلك القرى والبلدات... هذا، في وقت صرّح فيه رئيس الامبريالية الأميركية دونالد ترامب وتلاه بنيامين نتنياهو من أن سكان بعض قرى الشريط سيتلقون تعويضاً مقابل منازلهم وأملاكهم التي لن يعودوا إليها والتي ستؤجّر إلى شركات للاستثمار في مشاريع تمتد من الساحل حتى سفوح جبل الشيخ (حرمون)...

بانتظار ذلك، تستمر الإعتداءات الصهيونية اليومية على لبنان، والتي بلغت عدة آلاف، على الرغم مما نصّ عليه قرار وقف إطلاق النار، كما ويستمر قتل المدنيين اللبنانيين وجرحهم وتدمير السيارات والمراكز الانتاجية وغيرها... هذا، عدا عن التهديدات التي يطلقها العدو من حين إلى آخر بتوسيع رقعة عدوانه لتشمل مناطق جديدة...

كما ويستمر الصراع على السلطة من قبل أمراء الطوائف الأساسية ومعاونيهم. وتدخل في هذا الصراع، إضافة إلى توزيع الحصص في مؤسسات الدولة وأجهزتها العسكرية والأمنية والإدارية، عناوين عديدة، منها، أولاً، محاولة لفلفة سرقة المال العام والخاص التي تمت على مراحل، وانفجرت في العام 2019، عبر قانون الانتظام المالي (الملقّب بقانون الفجوة المالية) الذي أقرّت مسودته من قبل الحكومة التي يرأسها القاضي نواف سلام(٣)؛ ومنها، ثانياً، التراجع عن وعود قدمتها الحكومة نفسها بضبط ارتفاع تكاليف المعيشة وتصحيح الأجور والرواتب والمعاشات التقاعدية، عدا عن الفوضى المستعرة في حل مشاكل الضمان الاجتماعي وتطبيق القوانين المتعلقة بسوق العمل، إضافة إلى المشاكل المتعلقة بالإيجارات القديمة السكنية وغير السكنية.

ولا ننسى هنا الإشارة إلى مسألة العلاقة مع العدو وما تطرحه لجنة «الميكانيزم» من مشاريع وتوجهات، إن بالنسبة لترسيم الحدود مع فلسطين المحتلة أم بالنسبة للانتقال من البحث الأمني إلى البحث في العلاقات السياسية والاقتصادية مع العدو... ولا يتورّع البعض من ممثلي واشنطن وكذلك من ممثلي بعض الأحزاب المتواجدة في السلطة من إعلاء الصوت في الدعوة إلى إحلال السلام في المنطقة وتطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني(٤) والدخول في «رحاب» ما وضع تحت عنوان «اتفاقيات أبناء أبراهام» التي أطلقها ترامب (بواسطة صهره جيرود كوشنر) إبان رئاسته الأولى للولايات المتحدة.

لبنان إلى أين من كل هذه القضايا؟

تجدر الإشارة إلى أن الانقسامات الوطنية، كما الطائفية، عادت لتطفو على سطح الأحداث. وإذا كانت الثانية قد شكّلت في مراحل عدة منطلقاً لحروب داخلية دموية، غير أن ما يهمنا اليوم هو استعادة النضال الوطني والنضال الاقتصادي-الاجتماعي لدورهما في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الوطن وفي ظل إعادة تقاسم مناطق النفوذ والسيطرة بين أطراف الامبريالية، من جهة، وبين الحلف الامبريالي ومجموعة «البريكس»، من جهة ثانية، الأمر الذي يحدو بنا إلى التوجه باتجاه الآتي:

أولاً، ضرورة التفكير سريعاً بكيفية تشكيل حركة تحرر عربية جديدة، يكون فيها لقوى اليسار دور المحرّك والمحفّز، وذلك من أجل توحيد الموقف في وجه الهجمة الامبريالية –الصهيونية على كافة المستويات، بما فيها النضال من أجل إلغاء اتفاقيات أبراهام وغيرها.

ثانياً، وكمكمّل لحركة التحرر الوطني العربية، لا بد من التركيز على استعادة حركة عدم الانحياز في عالمنا العربي للدور الذي كان لها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، إن إقليمياً أم على صعيد بناء حركة عالمية خارج المحاور الامبريالية، بل والرأسمالية عموماً، مع طرح شعار أساسي حول إقفال القواعد العسكرية الأميركية وتلك التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في دولنا وكذلك على جانبي البحر المتوسط.

ثالثاً، والأهم، التمسّك بمحتوى اتفاقية الهدنة (1949) بين لبنان والعدو الصهيوني، ورفض أي شكل من أشكال التطبيع، والتحرك داخلياً باتجاه تحويل مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية إلى مؤسسات مقاومة فعلاً، تحمي لبنان وشعبه، وتدافع عن كل شبر من تراب الوطن في وجه الأطماع الصهيونية، بالاستناد إلى حركة شعبية مناضلة، مع تأمين كل مقوّمات الصمود لأهالي القرى الحدودية ومساعدتهم على التمسّك بأرضهم والبقاء فيها.

(١) - التي تستخدم بشكل واسع كعناصر استراتيجية، كونها أساس التقنيات الحديثة، الهواتف الذكية وتوربينات الرياح والسيارات الكهربائية ومكونات الدفاع.. إلخ.

(٢) - راجع الخريطة التي حملها وفد المنظمات الصهيونية العالمية إلى مؤتمر باريس الذي عقد في العام 1919، بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتي يطالب فيها الصهاينة بضم الجنوب والبقاع الغربي كاملين للكيان، بدءاً من صيدا طلوعاً إلى عازور وبكاسين ووصولاً إلى القرعون وجبل الشيخ. والخريطة موجودة في أرشيف الحرب العالمية الأولى في باريس، كما تتواجد نسخة منها في المتحف الفلسطيني.

(٣) - ويتضمّن تنظيم فجوة خسائر مالية تقدّر بأكثر من 84 مليار دولار عبر توزيع «الخسائر» بين الدولة ومصرف لبنان والمصارف وتحميل المودعين الذين تهبت أموالهم جزءاً من الصفقة...

(٤) - وقد وصل الأمر بالبعض إلى حد الادعاء بأن العدو إنما يدافع عن نفسه في وجه من يرفض اعتبار الكيان الإسرائيلي جزءاً من المنطقة ومن يطالب باتخاذ تدابير لمواجهة الاعتداءات التي ينفذها ضد الشعب اللبناني.

من التعايش القلق إلى إعادة تعريف السيادة:

دمشق وقسد في ميزان الدولة

عزيز موسى ـ كاتب وباحث في الشؤون الدولية والأمنية - سورية

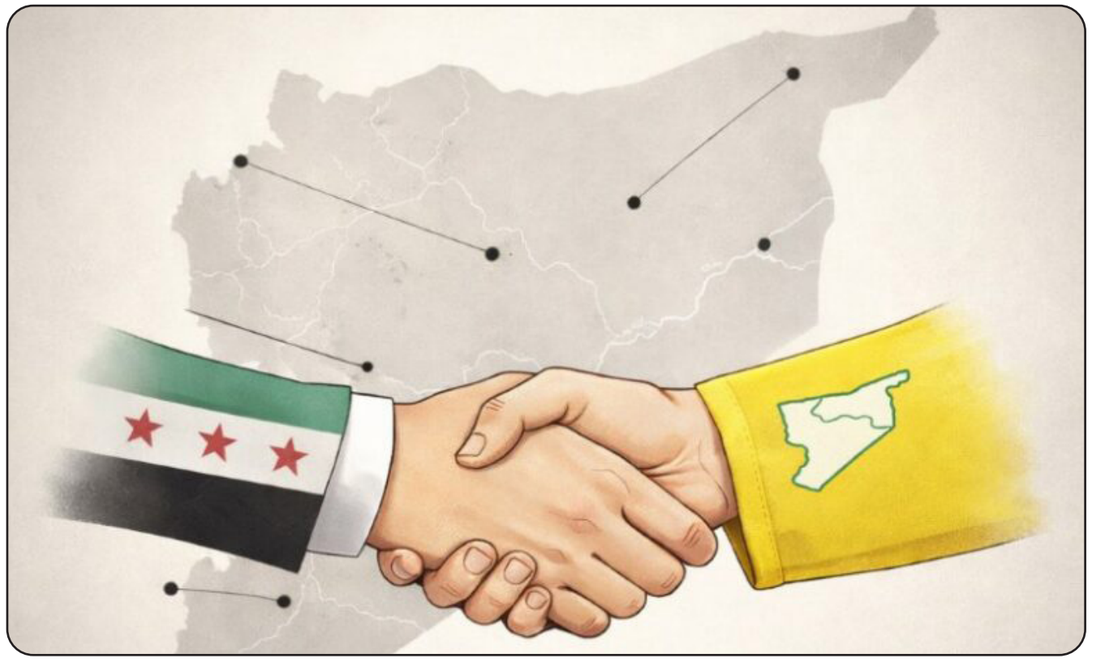

منذ اللحظة الأولى لسقوط النظام السابق، لم تتبلور العلاقة بين دمشق وقوات سوريا الديمقراطية (قسد) بوصفها علاقة شراكة سياسية، بقدر ما تشكّلت كعلاقة اختبار متبادل اتسمت بالحذر والتوجس، فقد نظرت دمشق إلى قسد باعتبارها تنظيم لم يرقى إلى تجسيد الإطار الوطني الشرعي، في حين رأت قسد في دمشق تجسيداً لمركزية السلطة، التي تسعى إلى إعادة إنتاج نموذج الدولة الذي قام مشروع «الإدارة الذاتية» في الأساس على رفضه أو تجاوزه.

وعليه، لم يكن سقوط النظام السابق بالنسبة لقسد لحظة انتصار سياسي بقدر ما مثّل لحظة قلق بنيوي، إذ وجدت نفسها للمرة الأولى منذ عام 2015، في مواجهة سلطة تسعى إلى استعادة مفهوم الدولة بوصفها كياناً موحداً، لا مجرد شبكة تفاهمات محلية أو ترتيبات ظرفية، ومن هنا بدأت الإشكالية لا كصدام مباشر، بل كتراكم بطيء لتوتر ثقيل، أُدير ضمن حسابات الواقع والاحتمالات المتوقعة.

من وظيفة أمنية إلى طموح سياسي

تأسست قوات سوريا الديمقراطية عام 2015 في سياق وظيفي واضح، مدفوع بالدعم الأمريكي المباشر، سواء عبر التدريب أو التمويل، ضمن إطار محدد هو مكافحة تنظيم «داعش»، غير أن هذا الدور الوظيفي المقترن بسيطرتها على مناطق تمثّل الثقل الأساسي للثروات السورية، أسهم تدريجياً في إعادة تعريف ذاتها، إذ جرى التعامل مع المهام المؤقتة باعتبارها شرعية دائمة، ومع الدعم الظرفي بوصفه تفويضًا سياسيًا طويل الأمد.

هذا التحول أفضى إلى قناعة داخل قيادة قسد بأن الإنجاز العسكري في محاربة «داعش» يمكن أن يُترجم تلقائياً إلى حق سياسي في التأثير على عملية إعادة تشكيل الدولة السورية، وقد تعزز هذا الاعتقاد بفعل غياب مفهوم الدولة خلال سنوات الحرب، وتعليق قنوات التواصل مع النظام السابق نظراً لعزلته السياسية، فضلاً عن امتلاك قسد لما يمكن وصفه بـ «مفاتيح الجزيرة السورية»، ليس فقط كجغرافيا، بل كعمق اقتصادي وبشري ورمزي شكّل قلب مشروعها السياسي.

في هذا السياق، ولا سيما لدى جناح القيادات والعناصر المرتبطة بحزب العمال الكردستاني (PKK)، برز شمال شرق سوريا بوصفه فرصة تاريخية لتأسيس نموذج حكم طويل الأمد، يتجاوز الإطار السوري، مستلهماً تجارب إقليمية أخرى، وقائماً على تسويق فكرة « الوهم القابل للتسويق» تحت إدارة ذاتية مستقرة، بعيداً عن مركز الفوضى، قادرة على إدارة نفسها اقتصادياً وأمنياً.

إدارة الخلاف وشراء الوقت

شكّل إعلان توقيع اتفاق العاشر من آذار/مارس 2025 بين الحكومة السورية وقسد محطة مفصلية، إذ طُرح بوصفه مدخلاً لعملية اندماج تدريجي ضمن هياكل الدولة الجديدة على المستويات العسكرية والسياسية والأمنية والإدارية، وبرعاية أمريكية مباشرة ودعم إقليمي ودولي، إلا أن مسار المفاوضات اتسم بتقلبات حادة، عكست جوهر الخلاف بين الطرفين، فدمشق تعاملت مع الاتفاق باعتباره خطوة انتقالية تهدف إلى دمج قسد ضمن الدولة وفق أولويات مركزية، بعيداً عن منطق المحاصصة، بينما ركزت قسد على صيغة مشاركة تحافظ على مكتسباتها، لا سيما «الإدارة الذاتية»، باعتبارها منجزاً غير قابل للتفكيك، هنا برز منطق «شراء الوقت» لدى الطرفين:

دمشق التي رأت أن مشروع قسد سيتآكل مع زوال أسبابه الموضوعية، مدعومة بتقدمها في فك العزلة الإقليمية والدولية، وبناء شبكة علاقات فاعلة مع قوى محورية، في مقدمتها السعودية وتركيا وقطر، فضلاً عن تقاطع ذلك مع رؤية أمريكية داعمة لاستقرار سوريا.

في المقابل، راهنت قسد على تعثر التجربة الحكومية الجديدة، وسعت إلى بناء تحالفات محلية ظرفية مع مكونات سورية أخرى للضغط على دمشق، إضافة إلى التعويل على استمرار الدعم الأمريكي، بل وفتح قنوات مع إسرائيل، مستثمرة ملفات حساسة كالتدهور الاقتصادي والأحداث التي حصلت في الساحل والسويداء.

من الاحتواء إلى الحسم

عملت دمشق، خلال هذه المرحلة على إعادة تقديم نفسها كشريك موثوق إقليمياً ودولياً، قادر على الموازنة بين إعادة بناء الدولة والالتزام بالهواجس الدولية، ولا سيما في ملف مكافحة الإرهاب وضبط العلاقة مع الجوار، وقد شكّلت زيارة الرئيس أحمد الشرع إلى واشنطن في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2025 ولقاؤه بالرئيس الأمريكي دونالد ترامب نقطة تحول لافتة، مدعومة بمظلة إقليمية فاعلة.

هذا التقاطع أفضى إلى قناعة متنامية بضرورة استعادة السيطرة على الجزيرة السورية بوصفها حجر أساس لأي مقاربة جدية لبناء دولة موحدة، وفي هذا الإطار، جاءت العمليات الأمنية التي أعلنت عنها دمشق في أحياء الشيخ مقصود والأشرفية في محافظة حلب، مترافقة مع اختراقات داخل بنية قسد، اعتمدت على مزيج من التواصل مع العشائر العربية، والرصد الاستخباري، والضغط المتدرج، والاندفاع خلال سياسة القضم التدريجي للسيطرة على ريف حلب الشرقي، ثم دير الزور والرقة وأجزاء من الحسكة، مما أدى إلى انكفاء قسد وتراجعها لتُحصر في بؤر أمنية محدودة، أبرزها الحسكة وعين العرب (كوباني)، وقد تزامن ذلك مع تقاطع مصالح إقليمية، خاصة تركية، ترى في استمرار وجود قسد تهديداً مباشراً لأمنها القومي، مع مؤشرات على تراجع الرهان على الحماية الأمريكية، في ضوء تصريحات المبعوث الأمريكي إلى سوريا توم باراك بأن « مبررات الشراكة الأميركية مع قسد لمكافحة داعش قد انتهت صلاحيتها»، إلى جانب خطوات عملية كبدء نقل عناصر تنظيم داعش المحتجزين إلى العراق.

أدى تسارع التطورات الميدانية إلى إعادة ضبط مسار التفاوض، بضغط ورعاية أمريكية وفرنسية، تُوّج بالإعلان عن اتفاق جديد في 18 كانون الأول/يناير، وقد عكس هذا الاتفاق تحولات جوهرية، سواء على مستوى فرض الوقائع الجديدة لآليات الدمج المرحلي، أو على مستوى تراجع بعض بنود الاتفاقات السابقة بما يخص قسد، في هذا السياق، قدّم قائد قسد مظلوم عبدي مقترحات تضمنت شغل مرشحين من قسد لمنصبي مساعد وزير الدفاع ومحافظ الحسكة، وتشكيل فرقة وثلاثة ألوية بدلاً من ثلاثة فرق، وصولاً إلى تحقيق اندماج إداري وأمني كامل، مع الاعتراف بالحقوق الكاملة للمكون الكردي وخصوصية بعض المناطق، على أن تُستكمل العملية لاحقاً بتعديلات دستورية تضمن هذه الحقوق.

تسعى دمشق، إلى إعادة بناء الدولة السورية انطلاقاً من استعادة القرار السيادي ووحدة المجال الجغرافي، مع إدراك متزايد بأن الحسم لا يكون عسكرياً صرفاً ولا سياسياً مجرداً، بل عبر مزيج دقيق من فرض الوقائع وإدارة التفاوض، وفي هذا الإطار، تبدو العلاقة مع قوات سوريا الديمقراطية اختباراً حاسماً لقدرة الدولة على استيعاب التنوع دون التفريط بمنطق المركز، وعلى تفكيك الكيانات الوظيفية دون إنتاج صراعات مفتوحة جديدة، فنجاح هذا المسار لن يُقاس فقط بمدى تراجع قسد أو اندماجها، بل بقدرة دمشق على إنتاج نموذج دولة يتجاوز إرث الفوضى، ويؤسس لتسوية قابلة للاستمرار.

منتدى دافوس 2026:
انشطار المحور الأطلسي وولادة « الفوضى المنظمة»..
صعود الردع السيادي في عالم الصفقات الكبرى

د. سعيد سلّام ـ مدير مركز فيجن للدراسات الاستراتيجية

تكشف القراءة المعمقة لمخرجات منتدى دافوس في يناير 2026 تحوّلاً جذرياً يتجاوز مجرد التوترات الدبلوماسية العابرة، حيث تحوّل المنتدى من مساحة رمزية للعولمة والتعددية إلى منصة صريحة لفرض الإرادة الأمريكية الصلبة. جاء هذا التحول متزامناً مع خطاب الرئيس دونالد ترامب، الذي استخدمه كأداة ضغط نفسي وسياسي على الحلفاء قبل الخصوم، كاشفاً عن أبعاد نرجسية واضحة في شخصيته السياسية، حيث قدّم نفسه على أنه المرجعية العليا للأمن والشرعية الدولية، وصاحب الحق الحصري في إعادة تعريف التحالفات وإعادة رسم حدود السيادة.

تجلّى الخطاب في مزيج من الغطرسة والابتزاز المباشر، مؤطراً معادلة صريحة مفادها أن الأمن لم يعد حقاً جماعياً، بل سلعة تُشترى بالسيادة، وأن أي دولة أوروبية أو أطلسية لا تقبل بهذا المنطق ستُترك عارية أمام المخاطر، فيما أظهر نفسه كالمحور الذي تدور حوله الحسابات الدولية، مستعرضاً سلطته المطلقة واعتباره المرجعية النهائية لكل الصفقات الكبرى، معلناً أن أي مقاومة للمنطق الأمريكي ستواجه عقوبات اقتصادية مباشرة، وتهديدات جمركية واسعة، في نموذج يبرز شخصية نرجسية متعالية على الأعراف والمؤسسات الدولية، غير ملتزمة بأي ميثاق جماعي أو قانون دولي.

في هذا الإطار، يبرز السعي الأمريكي للاستحواذ على جزيرة جرينلاند، ليس كخطوة عقارية عابرة أو كجزء من خطاب انتخابي شعبوي، بل كتحرك جيوسياسي مدروس وعالي المخاطر، يهدف إلى السيطرة على فجوة GIUK الاستراتيجية بين غرينلاند وأيسلندا والمملكة المتحدة، الممر الحاسم الذي يتحكم في حركة الغواصات النووية الروسية والصواريخ الباليستية العابرة للمحيط الأطلسي. السيطرة على هذا الممر تعني عملياً امتلاك خط الدفاع الأول عن العمق الأمريكي، وتمثل الركيزة الأساسية لمشروع «القبة الذهبية» للدفاع الصاروخي، الذي يهدف إلى تحويل القارة الأمريكية إلى «حصن معزول» عن أي تهديد خارجي، فيما تتحول جرينلاند إلى قاعدة استراتيجية شاملة تحمي الممرات الملاحية الجديدة الناشئة عن ذوبان الجليد، وتفتح الطريق لاستغلال ثرواتها من المعادن النادرة واليورانيوم الضروري لصناعات المستقبل العسكرية والتقنية.

تزامن هذا التوجه مع تهديدات واضحة بفرض رسوم جمركية تتراوح بين 10% و25% على الصادرات الأوروبية، والتلويح بالتصعيد لتصل إلى مئة في المئة على القطاعات الحساسة، في محاولة واضحة لكسر العمود الفقري للاقتصاد الأوروبي وإرغام القارة على الامتثال الكامل لأجندة «أمريكا أولاً»، التي لم تعد تميز بين حليف وخصم، واعتبرت أي مقاومة للمطالب الأمريكية بمثابة تهديد مباشر لمصالح الأمن القومي الأمريكي وتهدف الى انتزاع موافقة سياسية على ما سمّي إعلامياً بـ»صفقة القرن القطبية»،

هذا السلوك أثار غضب كوبنهاغن وبروكسل، اللتين اعتبرتا التحرك الأمريكي عدواناً مباشراً على السيادة الوطنية الأوروبية واختباراً وجودياً لكرامة القارة، ووضع حلف شمال الأطلسي في حالة «موت سريري» وظيفي، بعدما أصبحت المادة الخامسة رهينة لمدى استعداد الحلفاء للتنازل عن أراضيهم ومواردهم الحيوية لصالح البيت الأبيض. وبالتالي، لم يعد الناتو مظلة ردع جماعي، بل تحوّل إلى أداة ابتزاز سيادي، الأمر الذي دفع العواصم الأوروبية إلى توجيه جهودها لبناء «بازوكا تجارية» مضادة، قائمة على الاستقلال الاقتصادي والسياسي، من منطلق إدراك متزايد بأن التهديد القادم من الولايات المتحدة، بصيغته الإكراهية الصفقاتية، أصبح معادلا للتهديدات التقليدية القادمة من الشرق، لأنه يقوض بنية الأمن الجماعي من الداخل، ويستبدلها بنظام عبودية بائسة تُدار فيه الجغرافيا والسيادة كأوراق في كازينو السياسة الدولية، تحت سقف نرجسية ترامب وسيطرة البيت الأبيض المطلقة على قواعد اللعبة العالمية.

في هذا المنعطف التاريخي الحرج، يظهر الانقسام البنيوي العميق في تقييم المخاطر الجيوسياسية كشرخ أساسي يصعب سدّه داخل جسد التحالف الغربي، حيث تحوّلت العلاقة بين ضفتي الأطلسي من شراكة استراتيجية إلى صراع على تعريف «شرعية التهديد» نفسه. فبينما توظف واشنطن «الفزاعة» الروسية والصينية، ليس فقط كمحرك استراتيجي بل أيضاً كمسوغ أخلاقي لتبرير نزعتها التوسعية وفرض سيطرتها المطلقة على الموارد القطبية والممرات البحرية الحيوية، يرفض القادة الأوروبيون هذا المنطق الصفقاتي الذي يختزل الأمن في أرقام ميزانيات ونسب إنفاق عسكرية، معتبرين أن السردية الأمريكية ليست سوى تضخيم استراتيجي متعمد يسعى لتقويض ما تبقى من السيادة الأوروبية تحت غطاء «الحماية الزائفة».

يبرز هذا الانقسام بوضوح في ملفات القطب الشمالي، حيث يؤكد الأوروبيون على ضرورة أن يبقى أمن المنطقة مسؤولية جماعية تخضع لمواثيق مجلس القطب الشمالي وللقانون الدولي، بعيداً عن الانفراد الأمريكي بالقرار، فيما تسعى واشنطن من خلال ضغوط سياسية، اقتصادية وعسكرية إلى تحويل القطب الشمالي إلى ميدان استلحاق جغرافي قسري، يتحكم من خلاله البيت الأبيض بممرات بحرية، قواعد عسكرية، ومصادر الطاقة والمعادن النادرة، مستخدماً بذلك الابتزاز الجمركي والتفاوض على «صفقات الأمن مقابل السيادة».

وقد أدى هذا التوجه إلى إفراغ المادة الخامسة لحلف الناتو من مضمونها الردعي التقليدي، وحوّلها عملياً إلى أداة ابتزاز سياسي، بحيث بات الالتزام بالدفاع المشترك رهينة بمدى استعداد الحلفاء للتنازل عن أراضيهم ومواردهم الحيوية لصالح ما يمكن تسميته «المقاول الأمني الأمريكي»، وهو نموذج يوضح كيف أن التحالف، بدلاً من أن يكون مظلة جماعية للردع، أصبح أداة لإعادة توزيع النفوذ القسري وفق أولويات واشنطن. في الوقت نفسه، يخلق هذا الصراع توتراً داخلياً خطيراً داخل الناتو، إذ باتت العواصم الأوروبية تضطر إلى الموازنة بين التزاماتها الدفاعية التقليدية ومشروعها المتنامي للاستقلال الاستراتيجي والاقتصادي، بما يشمل بناء قدرات دفاعية متعددة الأبعاد، تطوير تحالفات بديلة، وتأمين الوصول إلى مصادر الطاقة والمعادن النادرة بعيداً عن الابتزاز الأمريكي.

لقد أحدث هذا الصلف الإمبراطوري الأمريكي، في ظل خطاب ترامب النرجسي في دافوس، قطيعة نفسية وسياسية عميقة داخل أوروبا، تجاوزت حدود الخلافات الدبلوماسية لتصل إلى جوهر الهوية الوطنية والسيادة القارية. فقد شعرت العواصم الأوروبية، من كوبنهاغن إلى باريس وبرلين، بأن الضغوط الأمريكية لم تعد مجرد مطالب سياسية أو تجارية، بل محاولة صريحة لإعادة صياغة مكانتها في النظام الدولي وفق معايير القوة المطلقة، حيث يتم تحويل الأمن إلى سلعة تُقايض بالسيادة، والسيادة إلى أداة للابتزاز.

وقد لخص رئيس وزراء بلجيكا هذا التحول في منتدى دافوس بعبارة وُصفت بأنها «مانيفستو الاستقلال الأوروبي»، حين قال: «كنا نعيش لعقود كأتباع سعداء تحت عباءة المنتصر، واليوم نُدفع إلى خيارين أحلاهما مر: إما استعادة كرامتنا السيادية بكل ما يرافقها من ألم وتحدٍ، أو أن نرتضي لأنفسنا أن نكون عبيداً بائسين في نظام لا يحترم إلا الأقوياء». وقد أضافت هذه التصريحات بعداً نفسياً قوياً، إذ كشفت عن شعور عميق بالهزيمة الرمزية والابتزاز السياسي الذي يمس الهوية القارية نفسها، وهو شعور تعزز بعد أن تضاعفت الرسائل الأمريكية المهينة، والتي أظهرت أوروبا على أنها «مدينة بوجودها ولسانها لواشنطن»، وأن «لولا الدماء الأمريكية لكان القادة الأوروبيون يتحدثون الألمانية اليوم»، وهو سرد أثار استياءً واسعاً ووصفه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بأنه «وحشية سياسية تهدف لتدمير الذاكرة التاريخية المشتركة وإضعاف مفهوم الأمن الجماعي».

لقد أدى هذا التحول البنيوي العميق، الذي يمكن توصيفه بالانفصال الاستراتيجي الكبير، إلى دفع القوى الأوروبية وكندا نحو إعادة تموضع جيوسياسي شامل يقطع مع عقود من التبعية والارتباط بالمظلة الأمريكية التقليدية، معتمداً على مبدأ الاستقلال الناجز والمرونة الدفاعية متعددة الأبعاد. ففي أوروبا، لم يعد ترسيخ أضخم منطقة تجارة حرة في التاريخ مع دول تكتل ميركوسور (الأرجنتين، البرازيل، الباراغواي، الأوروغواي، بوليفيا) مجرد خيار اقتصادي لتوسيع الأسواق، بل أصبح خطوة التفاف جيواقتصادي كبرى تهدف إلى تقويض الفناء الخلفي التاريخي للهيمنة الأمريكية، وتأمين وصول سيادي مباشر إلى مصادر الطاقة الاستراتيجية والمعادن النادرة، بما في ذلك الليثيوم والكوبالت الضروريين لصناعات البطاريات والأسلحة المتقدمة، إلى جانب الكتلة الغذائية الضخمة التي تمنح القارة قدرة على مواجهة أي اختناقات محتملة في سلاسل التوريد عبر الأطلسي. وفي الوقت نفسه، تتزامن هذه الخطوة مع تكثيف الاتفاقات الاقتصادية والاستراتيجية مع الصين، حيث أبرمت دول أوروبية رئيسية، وعلى رأسها ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، سلسلة من الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف خلال الأشهر الأخيرة، تشمل استثمارات صينية مباشرة في البنية التحتية للطاقة والمعادن الحرجة، وتوقيع عقود طويلة الأجل لتوريد الغاز الطبيعي المسال والمعادن النادرة بأسعار تفضيلية، مقابل تقديم تكنولوجيا متقدمة في مجالات الطاقة المتجددة والسيارات الكهربائية. هذه الاتفاقات ليست مجرد صفقات تجارية، بل تشكل درعاً اقتصادياً إضافياً يحمي أوروبا من الضغوط الجمركية الأمريكية، ويعزز من قدرتها على التنويع الاستراتيجي بعيداً عن الاعتماد الكلي على السوق الأمريكية أو سلاسل التوريد التي تهيمن عليها واشنطن. هذا النهج يوفر لأوروبا درعاً اقتصادياً متكاملاً ضد صدمات الابتزاز الجمركي، ويمنحها هامشاً للتفاوض السياسي الاستراتيجي مع واشنطن بعيداً عن الابتزاز التقليدي، كما يتيح للقارة تعزيز استقلالها التكنولوجي والمالي عبر شبكات استثمارية ومبادلات تجارية جديدة تتجاوز دائرة السيطرة الأمريكية المباشرة، وتفتح أبواباً لشراكات طويلة الأمد مع الصين تجعل من أوروبا لاعباً أكثر استقلالية في نظام دولي يتجه نحو تعدد الأقطاب. هذا التوجه لم يأتِ من فراغ، بل هو رد فعل طبيعي على

إدراك متزايد بأن الضغط الأمريكي لم يعد يهدد المصالح الاقتصادية فحسب، بل يمس جوهر السيادة الوطنية والقدرة على اتخاذ قرارات مستقلة، مما يجعل التحالف مع بكين، رغم تعقيداته، خياراً استراتيجياً لا مفر منه في هذه المرحلة الحرجة.

وفي تطور موازٍ على الجبهة الأمريكية الشمالية، شهدت كندا زلزالاً استراتيجياً غير متوقعاً، تمثل في انتقالها من الحذر الدبلوماسي التقليدي إلى حالة استنفار سيادي شامل. فقد شرع الجيش الكندي، في خطوة لم تحدث من قبل، بإعداد نماذج محاكاة عسكرية دقيقة للتعامل مع هجوم أمريكي افتراضي على أراضيه، معتمداً على تكتيكات حرب العصابات في التضاريس القطبية الصعبة والممرات البحرية الحيوية، مع تفعيل عقيدة دفاعية استباقية تشمل تطوير قدرات رادع نووي مستقل محتمل، مما يضع حداً لحقبة «الأمن القاري المشترك» ونظام «نوراد» الذي كان يُنظر إليه ضمانة تلقائية للسيادة. هذا التموضع الجديد يعكس إدراك أوتاوا أن سيادتها لم تعد مضمونة بموجب الجوار أو التحالف التاريخي مع الولايات المتحدة، بل باتت استحقاقاً يجب انتزاعه عبر رفع كلفة أي مغامرة توسعية محتملة، وتأسيس بنية دفاعية وطنية متعددة الطبقات تشمل القوات التقليدية والصاروخية والجوية، مع تحصين الممرات القطبية الاستراتيجية ضد أي تدخل خارجي.

وبهذا السياق، يصبح التحدي الكندي متقاطعاً مع التحولات الأوروبية، حيث يشكل كلاهما جزءاً من إعادة رسم جغرافيا النفوذ الغربي في مواجهة إرادة الهيمنة الأمريكية، كما يبرز اتجاه جديد في التفكير الاستراتيجي القاري القائم على دمج البعد الدفاعي مع الاستقلال الاقتصادي والسياسي، ليؤسس لمرحلة جديدة من «الردع الذاتي الشامل» التي تقر بأن الاعتماد على المظلات التقليدية لم يعد خياراً قابلاً للتطبيق في عصر يتسم بـ»الفوضى المنظمة» والتنافس الإمبراطوري المباشر على الموارد والمواقع الاستراتيجية.

وتتزامن هذه الاستفاقة المتأخرة مع السقوط المدوي والانهيار الأخلاقي الشامل لما كان يُصطلح عليه «النظام الدولي القائم على القواعد»، حيث انكشفت عورته أمام الضمير العالمي بلا رتوش:

تحول «القانون الدولي» من ستار يُضفي شرعية مزعومة على السلوك الدولي إلى أداة انتقائية تُفعَّل أو تُعطَّل حسب مصالح القوى الكبرى. أحداث الإبادة الجماعية المستمرة في غزة، بقصفها المنهجي وحصارها الذي دفع السكان إلى المجاعة، إلى جانب الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا والهجمات الممنهجة على بنيتها التحتية المدنية، أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن المواثيق الدولية وحقوق الإنسان لم تعد قيماً عالمية ملزمة، بل أدوات وظيفية تُستخدم عندما تخدم أجندة القوة وتُهمَل عندما تعيقها. وعندما اصطدمت هذه القواعد بالنزعة الإمبراطورية الأمريكية تحت إدارة ترامب، التي تتسم بازدراء صريح للمؤسساتية واعتماد على السلطة المطلقة، تم تجاوزها وتحطيمها بلا تردد لصالح منطق الغابة السياسي، فتحولت الملفات الوجودية، وعلى رأسها غزة التي أصبحت رمزاً للإفلات من العقاب الدولي، وأوكرانيا التي استُنزفت مواردها وشعبها، من قضايا سيادة وحقوق إلى مجرد سلع جيوسياسية تُتداول في بورصة الصفقات الكبرى.

في هذا السياق، يبرز صعود «دبلوماسية الظل» التي يقودها مهندسو الصفقات مثل ستيف ويتكوف وجاريد كوشنر، بعيداً كل البعد عن رقابة وزارة الخارجية الأمريكية أو الأمم المتحدة، حيث تُصاغ خريطة نفوذ عالمية جديدة وفق «خطط سلام أمريكية» قائمة على الصفقات، تشكل في جوهرها نسخة معاصرة من «يالطا الثانية»، تهدف إلى تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ حصرية بين القوى العظمى، ومعالجة القضايا التاريخية والوجودية عبر مقايضات جغرافية واقتصادية صارخة تتجاهل إرادة الشعوب ومبادئ العدالة الدولية. غزة وأوكرانيا لم تعودا قضيتين سياديتين أو إنسانيتين، بل أصبحتا أوراقاً في هذه البورصة الخفية، تُستخدمان كأدوات ابتزاز سياسي واقتصادي لإعادة رسم مناطق النفوذ والتحكم في الموارد الاستراتيجية.

إن تتويج هذا المسار التصاعدي من التحولات الجيوسياسية يكشف أن العالم قد انتقل فعلياً إلى ما يمكن توصيفه بـ «عصر الفوضى المنظمة»؛ وهو نمط دولي هجين ومعقد، لا تحكمه القواعد القانونية الرسمية ولا تسوده الفوضى المطلقة، بل يُدار وفق منطق انتقائي صارم وقاسٍ، لا يعترف فيه الفاعلون الدوليون إلا بـ «القوة الذاتية» المجردة، والقدرة الفعلية على الإمساك بمفاتيح الموارد السيادية، والممرات المائية الحيوية، وسلاسل القيمة العالمية الحساسة، التي تشمل أمن الطاقة، والمعادن النادرة، والكتلة الغذائية الكبرى. في هذا السياق المتأزم، لم يعد القانون الدولي سوى «أداة وظيفية ظرفية» تُستحضر فقط لتبرير الهيمنة أو لإضفاء غطاء شكلي زائف على قرارات القوة، كما لم تعد التحالفات التقليدية ضمانات أمنية مستقرة، بل تحولت إلى منصات للابتزاز المتبادل، حيث بات «الابتزاز الجيوسياسي» هو العملة الرسمية الوحيدة والمقبولة لإدارة العلاقات الدولية، سواء عبر إشهار سلاح الرسوم الجمركية الانتقامية، أو التهديدات العسكرية المباشرة، أو إعادة تعريف «الحماية» بوصفها سلعة تجارية باهظة الثمن، تُسدد فواتيرها من رصيد السيادة والجغرافيا والموارد الوطنية.

وتعكس هذه التحولات البنيوية أن السياسة الدولية في عام 2026 باتت محكومة بـ «قانون الواقعية المفرطة» والسيطرة الميدانية على الممرات الحيوية، بعيداً عن أي التزام أخلاقي أو مؤسساتي بالمعاهدات التي أصبحت مجرد أطلال قانونية. إن استبدال النظام المؤسسي بـ «صفقات الظل» وقوانين القوة الملموسة يفرض على الدول المتوسطة والصغيرة ضرورة إجراء مراجعة جذرية لمفهوم السيادة والمرونة الاستراتيجية؛ فلم يعد أمام هذه الدول من سبيل للنجاة إلا بامتلاك أدوات «ردع ذاتي» شامل، يبدأ من التحالفات الاقتصادية العابرة للمحاور التقليدية، وينتهي ببناء قدرات عسكرية وتقنية مستقلة، لضمان البقاء كطرف فاعل قادر على حماية مقدراته في عالم تسيطر عليه نزعات التوسع الإمبراطوري والتنافس الشرس على الموارد والمواقع الاستراتيجية في قلب «الفوضى المنظمة».

يتجلى لنا اليوم أن معايير القوة الدولية قد شهدت انزياحاً جذرياً؛ إذ لم تعد الدول تُقاس بمكانتها الخطابية، أو بوزنها القانوني المجرّد، أو حتى بعضويتها التقليدية في الهيئات الدولية التي باتت هياكل فارغة، بل أصبحت القوة تُقاس حصراً بالقدرة الفعلية على «رفع كلفة الاستهداف» إلى مستويات تجعل من أي عدوان مغامرة انتحارية غير مجدية. إن التحدي الوجودي في عام 2026 يكمن في تحويل الموقع الجغرافي والموارد من «نقاط ضعف» تُستغل في سوق المقايضات، إلى «عناصر قوة تفاوضية» صلبة تفرض الاحترام. هذا هو الجوهر العاري لـ «عصر الفوضى المنظمة»؛ نظام راديكالي لا يوفر الحماية إلا لمن يمتلك أدوات ردع ذاتية قادرة على فرض إرادته، فلا مكان فيه للمترددين أو لمن يرتهن لمظلات حماية خارجية أثبتت أحداث القطب الشمالي وغزة وأوكرانيا هشاشتها المطلقة أمام تقلبات مصالح القوى الكبرى.

لقد مثّل عام 2026 لحظة الانكشاف الكبرى والتحول الجذري في عقيدة القوة الدولية، حيث أدركت الدول الساعية لصون كرامتها السيادية أن الردع لم يعد فعلاً عسكرياً صرفاً يرتكز على الترسانات التقليدية أو يستظل بالمظلات الأمنية الجماعية التي أثبتت هشاشتها، بل استحال إلى منظومة ردع شاملة متعددة الأبعاد تتجاوز التخوم العسكرية الضيقة لتشمل السيادة التكنولوجية المطلقة والتحكم السيادي في البنى الرقمية والبيانات الاستراتيجية. إن هذا المفهوم الجديد للردع يرتكز على الاستقلال النقدي الحقيقي والقدرة الفائقة على تحييد سلاح الدولار ومنظومة العقوبات المالية التي تحولت في يد واشنطن إلى أداة ابتزاز يومية، بالتوازي مع تأمين سلاسل الإمداد الحيوية في الغذاء والطاقة والمعادن النادرة، التي باتت تُمثل الذخيرة الحقيقية في صراع البقاء والسيادة في عصر التنافس المحموم على الموارد.

أما على الصعيد العربي، فإن هذا الانهيار الجزئي للوحدة الأطلسية والتشقق البنيوي في جدار الهيمنة الغربية يمثلان فرصة استراتيجية تاريخية، بل وضرورة وجودية لإعادة تعريف المصلحة القومية العربية بمعزل عن الوصاية القطبية الأحادية، والتحرر النهائي من وضعية «البيئة الخصبة للابتزاز المالي والسياسي» التي ينتهجها ترامب بعقليته الصفقاتية؛ إذ ينظر للثروات السيادية العربية، وتحديداً الخليجية، بوصفها مجرد أرصدة تعويضية لتغطية عجز الميزانية الأمريكية أو وقوداً لتمويل طموحاته الإمبراطورية، بيد أن هذا المسار الطموح نحو السيادة الناجزة يصطدم بجملة من التحديات والمعوقات الجيوسياسية والتقنية والداخلية المعقدة، وفي مقدمتها الانكشاف الأمني على المظلة الأمريكية التقليدية، حيث لا تزال منظومات الدفاع والإنذار المبكر مرتبطة عضوياً بالتقنية الغربية، مما يجعل التحلل من التبعية السياسية عملية محفوفة بالمخاطر الأمنية المباشرة، كما يبرز عائق «الارتباط البنيوي بالدولار»، إذ إن فك الارتباط بسوق «البترودولار» والانتقال إلى نظام (CIPS) الصيني يتطلب مواجهة ضغوط مالية هائلة ومخاطر العقوبات الثانوية.

وإلى جانب هذه الضغوط الخارجية، يبرز التحدي الأكبر في «هشاشة التنسيق المشترك» وضعف المؤسسات الإقليمية العربية، وفي مقدمتها جامعة الدول العربية والمنظمات التابعة لها، التي لا تزال تفتقر إلى الآليات التنفيذية والقدرة على صياغة موقف جيوسياسي موحد يتناسب مع حجم المخاطر، حيث يطغى «التنافس البيني» والتباين في ترتيب الأولويات الوطنية على العمل الجماعي، مما يضعف القدرة التفاوضية للكتلة العربية ككيان موحد أمام الأقطاب الدولية، ويحول دون بناء «سوق مشتركة» أو «قوة دفاعية رقمية» قادرة على حماية السيادة السيبرانية والمالية، كما تعاني المنطقة من «ضعف المأسسة الاستراتيجية» داخل الدولة الوطنية نفسها، حيث لا تزال العديد من السياسات الحيوية تعتمد على ردود الفعل اللحظية بدلاً من التخطيط الاستباقي بعيد المدى، فضلاً عن تحدي «الفجوة التقنية» ونقص الكوادر التخصصية اللازمة لتوطين الذكاء الاصطناعي والصناعات الفائقة.

وعليه، فإن الاستجابة الاستراتيجية تقتضي انتقالاً حاسماً من دور «التابع المتلقي» إلى مربع «اللاعب الاستراتيجي الموازن»، وهو ما يستوجب دمج الأنظمة المالية بنظام الدفع الصيني وتفعيل «البترو-يوان» كدرع سيادي ضد «الدولار المسيّس»، مع ضرورة إصلاح الهياكل الإقليمية لتتحول من منصات خطابية إلى مؤسسات فاعلة تدير ملفات الأمن القومي والتعاون الاقتصادي بمرونة عالية، إن استثمار حاجة أوروبا لبدائل الطاقة واحتياجات الصين لممرات «الحزام والطريق» يمنح العرب قدرة فائقة على انتزاع مقعد دائم في «مجلس إدارة العالم» الجديد، شريطة تجاوز الانقسامات الداخلية وبناء «كتلة حرجة» اقتصادية وتقنية؛ حيث لا تُقاس القوة بالثروات المودعة في الخارج، بل بالقدرة على المناورة الذكية وحماية المقدرات ببدائل مستقلة وتنسيق إقليمي صلب قادر على الصمود في وجه «عصر الوحوش».

إن الخلاصة الاستراتيجية تؤكد أن النظام الدولي الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية يلفظ أنفاسه الأخيرة، مفسحاً المجال لـ «تعددية أقطاب قسرية» تدار بعقلية «تلفزيون الواقع». وعليه، فإن صياغة «ميثاق استراتيجي شامل» للعواصم العربية لم يعد خياراً بل ضرورة وجودية لبناء كتلة جيوسياسية متماسكة قادرة على امتصاص صدمات «عصر الوحوش»، وضمان البقاء كقطب مؤثر في نظام يعيد رسم مراكز النفوذ بناءً على السيطرة على الموارد والممرات الاستراتيجية، بعيداً عن المبادئ الشكلية التي سقطت في غزة وأوكرانيا وجرينلاند. السيادة اليوم استثمار استراتيجي يُنتزع بالقوة الشاملة والجاهزية القصوى للمناورة، في عالم لا يحترم إلا الأقوياء القادرين على حماية مقدراتهم ببدائل مستقلة.

غرينلاند..

التوتاليتارية الأمريكية الجديدة خارج الحدود

د. محمد عياش - كاتب وباحث سياسي ـ سورية

يسابق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الزمن، وتطلعاته إلى احتلال جزيرة غرينلاند، خوفا من النفوذ الروسي والصيني الوصول إليها وقربهما من الحدود الأمريكية، وهذه المرة بالتهديد والوعيد، والويل كل الويل لكل من يقف أو يحاول الوقوف أمام طموحاته وأهدافه. توماس جيفرسون هو الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية (1801-1809) كان يخشى سقوط بعض الأراضي والمواقع الاستراتيجية مثل «لويزيانا» بيد الروس أو البريطانيين والإسبانيين بالرغم من وقوعها تحت النفوذ الفرنسي مع فارق الزمن ورغبة السكان برفض الابتزاز الأمريكي الفاضح .

للتذكير.. الولايات المتحدة اعتمدت على تمدد المستوطنين، ثم الاستحواذ على الأراضي التي تراها مناسبة واستراتيجية، وكثيرا ما يشار إلى عملية شراء ولاية لويزيانا التي كانت تملكها فرنسا 1803 بأنها من أهم إنجازات جيفرسون، والطريف أنه اشتراها بثمن بخس يقدر بسبعة دولارات للكيلومتر الواحد.

فإذا كانت «التوتاليتارية» ذات الحكم السياسي الذي يهدف للسيطرة الكاملة والمطلقة على كافة جوانب الحياة والمجتمع، عبر حزب واحد أو قائد يمحو الحدود بين الدولة والمجتمع، باستخدام الأيديولوجيا القمعية، الإرهاب، والدعاية والتلويح بالقوة للوصول إلى الأهداف والغايات والتي تتجسد نماذجها الغابرة في النازية، والصهيونية الحالية التي يتكئ عليها ترامب الذي سينفرد المصطلح باسمه، الترمبية الأمريكية التي ترى بالتوسع خارج الحدود وتأمين مصادر الطاقة وتدمير الدول والسيطرة على قراراتها.. يعني ذلك نحن أمام توتاليتارية مشوهة ذات أبعاد حادة وقاتلة .

ينظر الأوربيون وحلفهم (الناتو) لرغبة ترمب بضم الجزيرة، بالمستغل لظروفهم الحالية الحرب الروسية – الأوكرانية لتحقيق رغباته الشوفينية على حساب أزماتهم وتركهم وحدهم يواجهون القيصر الروسي الذي لا يتزحزح قيد أنملة عن أهدافه وتطلعاته، وبالتالي فإن ترامب يمتلك سلاح العقوبات بوجههم، ولا يبدو تهديداتهم لها أثر على ترمب الذي ينظر بكثير من الازدراء، بل يتحين الفرصة تلو الفرصة لتوجيه الاتهامات وربما التوبيخ الفاضح بحق القادة الأوروبيين المتقاعسين بالدعم العسكري لجيوشهم.

حجة واشنطن، المحافظة على الأمن القومي، بالرغم من اتفاق موقع مع الدنمارك صاحبة السيادة 1954، الذي يتيح لواشنطن أن تفعل ما تريد أمنيا واستراتيجيا من غير الحاجة لضمها، واستعداد السلطات الدنماركية الكامل للتعاون، لكن ترامب يريد الاستيلاء هذه المرة متهما كوبنهاغن ضعفها العسكري وعجزها عن حماية الجزيرة من الأطماع الروسية – الصينية.

أعتقد أن الولايات المتحدة ستنجح بالاستيلاء على الجزيرة باتفاق أو بغير اتفاق، لأن الجزيرة ومساحتها التي تبلغ مليونين ومئة وستون ألف كيلومتر وسكانها الذين لا يتجاوزون خمسة وستون ألفا، قادرين على المقاومة والرفض بالرغم من اعتراضهم وخروجهم بمسيرات للغاية ذاتها، والدنمارك بدورها غير قادرة على الرفض، بحكم التهديدات الأمريكية المباشرة، وحتى القمم التي تعقد والتصريحات التي ترفض هذا الإجراء لم يغير من رأي ترمب على العكس تماماً أصبحت الجزيرة أمريكية خالصة، بعد التأكد من الصمت الروسي – الصيني.

فقط الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون الذي يقف في وجه واشنطن وأطماعها، واستهتار والاستهزاء العلني من ترمب للرئيس ماكرون، مستمرة، ودعوة ماكرون لعقد قمة وإنشاء تحالفات ضد الامبريالية الجديدة على حد تعبيره لم تلق أذان صاغية، إذ يضل يغرد خارج السرب، وهذا ما سيشجع ترامب على دعم اليمين الفرنسي وإيصاله إلى سدة الحكم نكاية بالتنديدات والاستنكار والشجب.. وفرض رسوم جمركية تصل إلى 200% على صادرات فرنسا إلى الولايات المتحدة من الخمور والشمبانيا؛ عقابا للرئيس ماكرون الذي رفض الانضمام إلى مجلس السلام الذي يريد ترؤسه وإنشائه على قياسه.

لم يتردد ترامب حين نشر صورة معدلة إحداها تظهره وهو يغرس العلم الأمريكي إلى جانب لافتة كتب عليه: غرينلاند، إقليم أمريكي، تأسس 2026، كذلك نشر صورة أخرى تبينه في المكتب البيضاوي الدائري إلى جانب خريطة غرينلاند وكندا مغطاتين بالعلم الأمريكي.

السؤال الكبير في ذهن كل إنسان ومفكر وسياسي، لماذا تريد واشنطن جزيرة غرينلاند المحسوبة على الدنمارك العضو في حلف الناتو؟ الكل يقول المعادن النادرة والكنوز المدفونة تحت الثلج واتساعها، وكل هذا صحيح إلا أن هناك سببًا آخر لم يتم التطرق إليه بالإعلام، وهو السيطرة على الجزيرة المكسوة بالثلج يمكن أن تستخدم كعصاة غليظة لكل القارات وبحارها السبع، أي أن السيطرة على الجزيرة يمكّن واشنطن من تذويب كميات كبيرة من الثلوج التي بدورها سترفع منسوب البحر من متر إلى سبعة أمتار وهذا سيشكل خطرًا على الموانئ وربما تختفي مدن وقرى وبالتالي ليس بمقدور روسيا والصين فعل ذلك.

الولايات المتحدة كالذئب لا يهرول عبثا ً، لذلك يجب التركيز على نيات واشنطن وتصميمها، وتخليه عن الأوربيين بمواجهة الدب الروسي ليس عبثًا ولا عجزًا، لأن الأهداف ستلحق الضرر بالروس أولاً ثم الأوربيين، وعلى هذا الواقع فإن ترمب يلعبها صح، والاستراتيجية التي أعلن عنها واضحة لجهة إعادة الولايات المتحدة عظيمة، ومن غير التحكم بالممرات المائية وجزيرة غرينلاند التي بدورها ستكون الرافد والمغذي لهذه الممرات وتهديدها بشكل مباشر، والدليل على هذه الخطط، الأوامر التي صدرت من ترامب شخصيا ببناء غواصات نووية جديدة قادرة على التعامل مع جميع العوائق والتهديدات.

التوتاليتارية الجديدة وشعارها محو الحدود أمام المطامع والأهداف الكولونيالية، تطل برأسها البشع والجشع، ناسفة كل القوانين والأعراف الدولية، وسبق لترامب أن انسحب من 60 منظمة إنسانية، ومحاولة تدمير منظمة الأونروا المعنية بتشغيل اللاجئين الفلسطينيين والتضييق عليها واعتبارها شاهدًا على إجرام الصهيونية العالمية، تعتبر خطرًا محدقًا للعالم الذي يعاني من قلة الموارد والثقة والأمان بالعلاقات الدولية، وحادثة اعتقال الرئيس الفنزويلي توماس مادورو، واقتياده وزوجته إلى نيويورك لمحاكمته بتهمة التجارة بالمخدرات واعتباره خطرًا على الأمن القومي الأمريكي، يدل على الكاليغولية الترمبية التي تؤمن بالغطرسة والنشوة بالقوة.

إن الواجب على دول العالم، الوقوف أمام التهديدات الأمريكية، ومنعها من تحقيق أهدافها، وبالتالي فإن السكوت على ضم الجزيرة سيكون بمثابة الإعلان عن مناطق أو دول أخرى تريد واشنطن ضمها ككندا والمكسيك وربما بعض الدول اللاتينية، وأصبح العالم بين فكين الصهيونية والترمبية وعملية الاصطفاف والتحالفات ربما لم تفلح في كبح الجموح الصهيوني الترمبي الهائج والمفتوح شهيته على الضم والاقتلاع.

الخلل الأخلاقي المتراكم في أروقة المجالس المنبثقة من الأمم المتحدة، وإذعانها لسنوات لإرادة الصهيو- أمريكية، السبب الرئيس في خلخلة العالم ووصوله إلى هذه الحد المتهاوي والمستهتر بالقوانين الدولية وحقوق الإنسان بعد المجازر البشعة بحق أهلنا في قطاع غزة والضفة الغربية والتي وصلت إلى حد الإبادة الجماعية المنصوص عليها بالقوانين والأعراف الدولية، وتراكم القوانين على رفوفها أيضا ساهمت بهذا الخلل، واستخدام حق الفيتو من الدول الدائمة العضوية زاد من الظلم والجور، حيث استخدمته واشنطن آلاف المرات لمنع محاسبة «إسرائيل» على جرائمها واحتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية، وتغولها على لبنان وسوريا واليمن واعتداءاتها على إيران .

لهاُث واشنطن (ترمب) الحصول على جزيرة غرينلاند، إظهار لفائق القوة، وعملية جس نبض لإمكانات القارة الأوربية بمواجهة هذه الأطماع، وبالتالي فإن الاتحاد الأوروبي بالأمس كان يمثل تهديدًا واضحًا للقوة الأمريكية، بالرغم من اشتراكها بحلف الناتو، إلا أن واشنطن بقيت تتوجس من هذا الحلف لغايات إمبراطورية، وعملت على تفكيكه عبر ما يسمى «بريكست» والإيعاز للشريك العضوي بريطانيا بالخروج منه، وتم ذلك في 31 من يناير/ كانون الثاني 2020، خرجت المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، هذا الإجراء لم يكن بمحض الصدفة أو حسابات أخرى، بل أهداف للسيطرة العالمية الأحادية من خلال الولايات المتحدة، وبالتالي لا تريد لأي تحالف أو منظمة النجاح أو الاستمرار .

تحتاج واشنطن للاستيلاء على جزيرة غرينلاند، السيطرة على النفط والتحكم بالأسعار لذلك كانت فنزويلا بالمهداف الأمريكي إذ تمتلك فنزويلا أكبر احتياطي نفطي مؤكد في العالم، حيث يتجاوز300 مليار برميل (تقريباً 303.3 إلى 303.8 مليار برميل وفقاً لتقديرات 2025-2026 ، وهو ما يعادل نحو 17% من الاحتياطي العالمي. يتركز معظم هذا الاحتياطي في حزام أورينوكو النفط، ويتميز بكونه نفطاً ثقيلاً. وإيران وما تمتلكه من مخزون نفطي يسيل له اللعاب الأمريكي، والعمل الجاد من ترامب للهدوء في سوريا للغاية ذاتها، يعني الالتفاف على العقود المبرمة مع روسيا والصين وبعض الدول الأخرى وإنهائها والضغط على هذه الدول، وحتى الأوربيون لا يستطيعون التخلي عن النفط الذي يعتبر المحرك الرئيس لمعاملهم ومصانعهم.

التوتاليتارية الجديدة تجلّت بجلوس ترمب بمؤتمر «دافوس» في عقر دارهم على كرسي مختلف بلونه ومغاير وسط الكراسي التي يقعدون عليها رؤساء الدول المشاركة متحدثًا وشارحًا والكل يصغي ويحرك رأسه للأسفل.

العقيدة الترامبية
بين انعدام اليقين والخطاب الاستعلائي

محمد صوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ تركيا

تمثل وثيقة «استراتيجية الأمن القومي الأمريكي» التي سيجري تطبيقها للعام الحالي 2026 تعديلاً بأولويات السياسة الخارجية الأمريكية، وتعكس تحوّلاً هيكلياً في رؤية الولايات المتحدة لدورها في النظام العالمي الذي يتجسد بالانتقال من نهج إدارة النظام سواء عبر الهيمنة الآحادية أم عبر المؤسسات الدولية، إلى نهج دافعه ومحركه الأساس منطق الصفقات الثنائية، بناءً على الأولويات الاقتصادية والأمنية الأمريكية المباشرة !..

تكتسب «الوثيقة» أهميتها من كونها الأولى التي عمل»فريق ترامب» على إخراجها بعيداً عن خبراء الجهاز البيروقراطي الأمريكي التقليدي .. بالرغم من أن منطق السياسة الخارجية لأي دولة تسعى إلى تعظيم مصالحها القومية تكون عبر التراكم .. غير أن تعريف ترامب لطبيعة هذه المصالح وطريقة تأمينها هو ما جعل الوثيقة الجديدة مختلفة عن تقاليد راسخة في السياسة الأمريكية، وتُعدّ « الوثيقة « إعلاناً فجاً عن نظام عالمي يسوده الفوضى والتمزق في علاقات الدول بعضها ببعض، ناهيك عن انعدام اليقين والتشويش !..

تنطلق إدارة ترامب من مفهوم أكثر انعزالية يأخذ مساحة من تقاليد الهيمنة الأمريكية النقية لفرض السيطرة على النظام العالمي الذي ساد على نحو خاص في حقبة ما بعد الحرب الباردة، أو النهج الليبرالي لإدارة العلاقات الدولية عبر المؤسسات الدولية متعددة الأطراف، والذي ميّز بعض الإدارات الأمريكية من الحزب الديمقراطي !..

تقرر هذه الوثيقة أن الاتجاه النمطي التقليدي للولايات المتحدة من أجل الهيمنة على العالم لا يستجيب للمصالح القومية أو « أمريكا أولاً « وإن شؤون الدول الأخرى قد تمثل محط اهتمام فقط للسياسة الأمريكية عندما تتهدد المصالح الأمريكية مباشرة.. وتركز الوثيقة على أولوية الحد من التدخل العسكري خارج الفضاء الأمريكي باستثناء عندما يكون هناك تهديد مباشر « للأمن القومي الأمريكي « كما ظهر أواخر عام 2025 في توجيه ضربات أمريكية للقدرات النووية الإيرانية !..

حرب باردة ممتدة .. بين أوربا وروسيا :-

في هذا السياق لا بد أن تعتمد أوربا على نفسها في حماية أمنها، و روسيا لا تمثّل بالضرورة خطراً على الولايات المتحدة، كما هو في الإدراك الأوروبي، والشرق الأوسط لم يعد له الوزن نفسه الذي حظي به بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية.

منذ منتصف القرن العشرين، والأمم المتحدة ومؤسساتها لم تعد لها قيمة في التوجهات الأمريكية الجديدة خصوصاً بعد خروج الولايات المتحدة من نحو»66 « مؤسسة أممية !..

بالرغم من توسع واشنطن بإنتاج الطاقة محلياً، وتنوّع مصادر جلبها للداخل الأمريكي، فهيمنة أي قوة على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط أمر غير مسموح به سوى للولايات المتحدة، مع بقاء أولوية تأمين الملاحة عبر « البحر المتوسط، والأحمر، ومضيق هرمز، وباب المندب « بالتوازي مع مواجهة أي تهديدات للمصالح الأمريكية .. لكن إنجاز ذلك لا يعني بالضرورة التوغل المكثف في السياسات الداخلية والإقليمية لدول المنطقة .. حيث تكثف الإدارة الأمريكية تركيزها على علاقات الشراكة الاستثمارية والاقتصادية مع شركائها في المنطقة العربية، من دون ممارسة ضغوط على أنظمة الحكم وتقاليدها !..

على النقيض من ذلك بالنسبة لدول أمريكا الشمالية والجنوبية « نصف الكرة الأرضية الغربي « بوصفها المجال الحيوي الأكثر أهمية للأمن الأمريكي، خصوصاً في مجال مواجهة الهجرة ووضع اليد على مصادر الطاقة والمعادن الثمينة .. حيث تعلن وثيقة «استراتيجية الأمن القومي الأمريكي « عزم الإدارة الأمريكية على فرض نفوذ حصري داخل نصف الكرة الغربي ومنع أي وجود لقوى دولية منافسة مثل الصين وروسيا وإيران .. وقد تجسدت هذه السياسة في الإجراءات العدوانية والحمقاء تجاه فنزويلا وحكومتها واختطاف رئيسها مادورو وزوجته، وقبل ذلك تهديد بنما و كندا و غرينلاند !..

ووفق التبجح الاستعلائي العدواني نفسه، لا يمثل التوسع ببرامج المساعدات الدولية أولوية للسياسة الأمريكية الخارجية، و لا تخدم فلسفة حرية التجارة العالمية الاقتصاد القومي في ظل تفضيل سياسات الحماية الجمركية والتهديد بها كلما سنحت الفرصة .. كما توجّه « الوثيقة « لوماً وانتقاداً حاداً للمؤسسات الدولية متعددة الأطراف بوصفها تمثل تهديداً للسيادة والمصالح الأمريكية القومية .

في هذا المجال ترفض « الوثيقة « التوجهات الأممية لمواجهة التغييرات المناخية، والحجة هي التداعيات الاقتصادية والأعباء المالية !..

يمكن اعتبار رؤية « الوثيقة « لمستقبل الاتحاد الأوربي ودوله هي الأكثر إثارة للجدل لما تمثله من قطيعة صريحة مع النمط الأمريكي التقليدي في بناء تحالف استراتيجي وثيق مع الحلفاء الأوروبيين التاريخيين .. و توجه « الوثيقة « نقداً صريحاً لطريقة إدارة الاقتصاديات الأوربية، وترهلها و ثقل القوانين والأطر التنظيمية المعتمدة من مؤسسات الاتحاد الأوربي في بروكسل .. وتدعم الوثيقة رؤية وتوجهات اليمين المتطرف المتضمنة « حل الاتحاد الأوربي « بوصفه يمثل تحدياً لسيادة الدول الوطنية الأوربية، وتحدياً للحضارة والثقافة والهوية القطرية لهذه الدول، خصوصاً مع تمدد و توسّع موجات الهجرة نحو القارة الأوربية العجوز !..

تطرح « الوثيقة « في مجال تفضيلها لأولوية المصلحة القومية الأمريكية « مبدأ تحمّل الأعباء « ونقله إلى الشركاء الدوليين .. وفي هذا السياق أرغمت إدارة ترامب أوربا على زيادة إنفاقها العسكري، بحيث تنخفض المساهمة الأمريكية بموازنة حلف شمال الأطلسي « الناتو «، وألا يكون الحلف حسب التوجه الأمريكي مظلة مجانية للأمن الأوروبي، وقد أسفرت الضغوط الأمريكية عن جعل أعضاء الحلف يرفعون نفقاتهم الدفاعية من « 2% « إلى « 5% « من إجمالي الناتج المحلي !..

لقد فتح هذا التحول الأمريكي تجاه أولويات الدفاع والأمن في القارة الأوروبية بالتزامن مع استبعاد التهديد الروسي، الباب واسعاً لحرب باردة ممتدة بين أوربا من جهة، و روسيا من جهة أخرى، تقوم على سباق التسلح وإعادة تعريف أولويات السياسة الخارجية الأوروبية، بحيث تركّز على حماية دول الجوار الشرقي والتماس الجغرافي مع روسيا، جنباً إلى جنب مع إطلاق الاتحاد الأوربي « الميثاق من أجل المتوسط « لتمييز علاقاته مع دول جنوب المتوسط والشرق الأوسط والأقصى على أساس المنافع المتبادلة، بحيث تقوم على التبادل التجاري ومصادر الطاقة والاستثمار، وتنظيم انتقال البضائع و الأفراد !..

كما تبنّت « الوثيقة الأمريكية « انتقاداً لما تعتبره انكماشاً وتضييقاً على الحريات الديمقراطية في أوربا، بإشارة إلى توجه عدد من الدول الأوروبية لفرض قيود على « خطابات الكراهية والتمييز العنصري « مع تصاعد و تأثير قوى اليمين الشعبوي المتطرف، فأعادت « الوثيقة « في هذا الخصوص ما قاله نائب الرئيس الأمريكي جي دي فانس بخطابه أمام « مؤتمر ميونيخ للأمن « بداية عام 2025 عندما وجّه انتقادات للديمقراطية الأوروبية خلال دفاعه المستميت عن أحزاب اليمين المتطرف، وحقها بالانتشار و ممارسة حرية النشاطات !..

العودة إلى « مبدأ مونرو « !:

من الحكمة قراءة « وثيقة الأمن القومي الأمريكي « بتمعّن وتفحّص شامل، فهي بمثابة إعلان حرب على أمريكا اللاتينية ككل، عبر إحياء صيغة جديدة من «مبدأ مونرو « الذي صاغه رئيس الولايات المتحدة جيمس مونرو عام 1823، واعتبر أمريكا الوسطى والجنوبية مناطق نفوذ حصرية لواشنطن غير مسموح للأوروبيين مواصلة استيطانها!..

غير أن هدف ترامب في الألفية الثالثة هو وقف ومواجهة تمدد الصين في تلك البلدان، أي أن الاستراتيجية الأمريكية و أولويتها هي تقويض نفوذ الصين، وتنقية الأمريكيتين و أوربا من الإثنيات والأعراق من غير « العرق الأبيض» وينسجم ذلك التوجه أيضاً مع رؤية ترامب للمنطقة العربية، فهو يتماهى مع العنصرية الاستيطانية الصهيونية ،ويدعو إلى ممارسة الإبادة والتطهير العرقي، الفارق هنا أن « إسرائيل « هي من يتولى المهمة، فيما يهندس ترامب و فريقه وسائل جديدة للاستعلاء واستعمار المنطقة تحت مسمّيات مخادعة و مموهة، أي أن الشرق الأوسط أصبح تحت السيطرة .. لذلك علينا أن لا نبتهج إذا اعتبرت الإدارة الأمريكية أنه لا خطر على « إسرائيل « والولايات المتحدة في الشرق الأوسط .. لأن ذلك يعني التمادي في الإهانة والابتزاز للنظام الرسمي العربي، و مواصلة االتوسع والإبادة الصهيوأمريكية !..

الاستراتيجية الأمريكية الجديدة خطر على كل الشعوب، وعلى نحو خاص الشعب الفلسطيني، وهنا يكمن معنى الصمود والبقاء الفلسطيني فوق أرضه .. فالمجلس الكولونيالي والمسمى زوراً « مجلس السلام « الذي أسسه ترامب سيدير عملية وصاية وإخضاع للشعب الفلسطيني والسيطرة على أرضه و ثرواته، بحيث تكون نموذجاً لمشاريع مماثلة في جنوب لبنان وجنوب سورية، ومن الممكن غور الأردن وصحراء سيناء.. فكل الأراضي العربية مشاع في عرف ترامب ونتنياهو وفريق عملهم .. أي لن ينتهي الاحتلال الصهيوأمريكي لفلسطين ولبنان وسورية، و إنما سيجري إعادة هندسته وتعريفه بمشاركة عدد من الدول العربية والأجنبية.. و من هنا يأتي الإصرار على أن تسلّم المقاومة الفلسطينية وحزب الله أسلحتهما، فالقضية ليست بناء سلام في فلسطين والمنطقة، وإنما كسر فكرة المقاومة !..

بعد أن ضاق ذرعاً بالتضامن الأمريكي مع غزة
ترامب يعلن الحرب على الجامعات الأمريكية

د. محمد عبد القادر ـ كاتب وناقد فلسطيني ـ الأردن

مدخل

بات من المعروف والمؤكد أن الولايات المتحدة ترزح تحت حكم نظام (بلا نظام) ديكتاتوري بلا حدود، وعنصري مسكون بأشكال العنصرية وأنماطها وأبعادها. تجسدت في تصريحات، وممارسات، والأوامر التنفيذية للرئيس ترامب، واستهدف فيها دوائر الهجرة وقوانينها والمهاجرين من ذوي البشرة غير البيضاء.

ثم استُهدِف الدستور والقضاء والمحاكم والمحامين. ولن ينسى المشاهدون تعليق الرئيس على رفض مسؤولة أمريكية تنفيذ أحد أوامره التنفيذية لأنه غير دستوري؛ فعقب قائلاً: «أنا الدستور».

ومن ميدان الهجرة والمهاجرين إلى مقارعة القضاء، ثم إلى معاداة وسائل الإعلام والصحف الأمريكية ومحطات التلفزة الكبرى، وإهانة الصحافيات والصحافيين بأساليب تخلو من اللباقة واللياقة والأدب. تجاوز الرئيس حدود الأفراد والمؤسسات في بلده، وتطاول على دول أخرى تهديداً وتنفيذاً مدفوعاً بعقلية التفوق العسكري العنصري التي لا تميز بين حليف أو صديق أو مخالف.

ثم جاءت حرب ترامب على الجامعات الأمريكية، والتي نلقي عليها الضوء في هذه المقالة... والسؤال الكبير الذي يفرض نفسه على الجميع: هل يعرف ترامب قيمة وأدوار الجامعات الأمريكية؟ تطورات الموقف الرئاسي المعادي لهذه الجامعات يجيب عن هذا السؤال بالنفي. بل إنه يرى أن حماية صورة الكيان الصهيوني وممارساته أهم من قيمة الجامعات الأمريكية برمتها. وفي الأساس منها كبرى الجامعات المعروفة عالمياً «برابطة اللبلاب» (Ivy League)، التي تتربع على قمة 7,000 جامعة أمريكية بمستويات مختلفة.

ويبدو أنه لا يدرك أيضاً أن هذه الجامعات تمثل قواعد أساسية في الإنتاج المعرفي والتكنولوجي للبلاد، وتعتمد مؤسساتها على الموارد المالية التي تضخها في عروق الاقتصاد الأمريكي. ويكفي أن نشير هنا إلى ما أعلنته رابطة الجامعات الأمريكية، وهو أن الجامعات الأعضاء في الرابطة قدَّمت للاقتصاد الأمريكي في عام 2021 ما مقداره 289 مليار دولار؛ 95 مليارًا منها كانت مدفوعات الطلبة الأجانب الدارسين فيها.

وهكذا يتنافس الرؤساء الأمريكيون في مدى صهيونيتهم وولائهم للكيان، ما يذكرنا بتصريح بايدن الشهير: «لو لم أكن صهيونياً لوجدت أن أكون صهيونياً». لكنه كان صهيونياً ولم يزل.

والسؤال الكبير الثاني: لماذا يطلق الرئيس نيرانَه على مرتكزات العقل والإنتاج والتطوير الأمريكية ممثلة بالجامعات؟ إذا ما أمعنا النظر في موقف الإدارة الأمريكية مما حدث في الجامعات الأمريكية من حركات احتجاجية ضد مجازر الكيان الصهيوني في غزة، سنجد أن ترامب ارتعب وفقد صوابه من:

1. حركة التضامن الواسعة والمؤثرة مع أهلنا في قطاع غزة، والتي اجتاحت جامعات أمريكية عديدة، في مقدمتها هارفرد وكولومبيا وكورنيل وغيرها. في تلك الساحات سقطت إسرائيل وتهاوت الصهيونية وكيانها ومؤيدوها، وشهدت تحالفاً واضحاً بين الطلبة والأساتذة وغيرهم. لقد كانت «الجرائم الإسرائيلية» في غزة والتضامن مع فلسطين، وهتاف «من النهر إلى البحر» و«فلسطين حرة حرة»، مثيرات لجنون رئيس صهيوني وشرارات أشعلت غضب واشنطن ورعب تل أبيب.
2. الربط المباشر بين جرائم الكيان وموافقة الإدارة الأمريكية.
3. التأثير السلبي على الناخب الأمريكي المؤيد للجمهوريين.
4. تدهور صورة الكيان في الجامعات الأمريكية التي تخرج قادة المستقبل.
5. الخوف من تفاقم الاحتجاجات بما يمنع أو يعرقل دعم واشنطن لتل أبيب على المستويات كافة.
6. اتساع تأثير ما تصفه إدارة ترامب باليسار الأمريكي الذي يمكن أن يتمدد في مؤسسات أخرى.

مظاهر حرب ترامب على الجامعات الأمريكية

جاهلاً أو متجاهلاً قيمة الجامعات وأدوارها وتَأثيرها، شن الرئيس حرباً بلا هوادة على مؤسسات التعليم العالي الأمريكية، واتخذ إجراءات متضافرة تمثل أبرزها فيما يأتي:

- مطالبة إدارات الجامعات بتغيير سياساتها تجاه:
  - قبول الطلبة (والأجانب خاصة)
  - المناهج التعليمية.
  - الإعلان عن موضوعات التدريس والرقابة على المناهج.
- اتهام الجامعات بالتحريض ضد أمريكا.
- الادعاء أن الجامعات تستولد الاتجاهات اليسارية في أوساط الطلبة والأساتذة.
- إقالة رؤساء الجامعات أو تهديدهم بالإقالة إذا لم يتم الالتزام بالأوامر الرئاسية.
- لا حرية ولا استقلالية للجامعات الأمريكية.
- طرد الأساتذة الأجانب المقيمين، وإلغاء إقاماتهم.
- رفع الضرائب الحكومية على مداخيل الجامعات.
- الحرمان أو التهديد بالحرمان المالي المستحق للجامعات.
- التدخل الحكومي في المناصب الإدارية العليا.

أهداف ترامب من حربه على الجامعات ومغزاها

1. تحويل الجامعات إلى نظم أقرب إلى النظم المدرسية.
2. نشر ثقافة الخوف المهني / الوظيفي لدى الأساتذة، والطرد لدى الطلبة (الأجانب خاصة).
3. محاربة فكرة التعدد والتنوع الثقافي في الجامعات.
4. ضرب المبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.
5. تفكيك مصادر قوة الجامعات (المعرفية والاجتماعية والسياسية وغيرها).
6. تقييد الحرية الأكاديمية والسياسية للجامعات.
7. إرساء معالم بيئة أكاديمية قامعة، تلتزم الإدارات الجامعية والطلبة والأساتذة بالإملاءات الحكومية المركزية، ورسم السياسات في إطار تعليمات الحكومة.
8. التسليم الضمني بأن الرئيس هو مصدر السياسات، وأهمها الحفاظ على صورة إسرائيل وعدم الاحتجاج على ممارساتها مهما كانت.

الرئيس يلحق الأذى بالجامعات

لم يُبدِ الرئيس الأمريكي اهتماماً لعواقب سياساته العدائية ضد الجامعات الأمريكية؛ فقد كان همه تعزيز صورته وتحكّمه في القرار، والدفاع عن الكيان وحماية مستقبله، وتدجين منابع القوة في المجتمع الأمريكي. لقد ألحق الرئيس ترامب بالجامعات الأمريكية أذى لم يكن ليلحق بها جيش من الأعداء، وتتجسد مظاهر هذا الأذى فيما يأتي:

- الإلحاق بالأذى بالسمعة الدولية للجامعات الأمريكية.
- تقليص أعداد الطلاب الملتحقين بها، وتقليص مواردها المالية.
- مغادرة أعداد من الاساتذة خوفاً على مصداقيتهم أو نزاهتهم.
- تقييد حرية البحث العلمي وحرية التعبير بعامة.
- حرمان بعض الجامعات من مستحقاتها المالية الحكومية.
- استقالة رؤساء جامعات.
- قبول الجامعات بتشريعات تقيد النموذج الأكاديمي الأمريكي.
- اتهام بعض الجامعات بمعاداة السامية.
- ترحيب أوروبي بالأساتذة المغادرين للجامعات الأمريكية.

موقف الجامعات من ممارسات ترامب

حين يكون الجهل سيد الموقف يلجأ العقل إلى القضاء. لم تنتهِ الحرب بين عاقل وجاهل، وإذا كان من الممكن أن تتراجع بعض الجامعات أمام قبضة الجنون، فإن أغلب الجامعات متمسكة بمجموعة من الأسس والمبادئ، وأهمها:

- لا تفاوض على استقلالية الجامعات.
- لا تفاوض على حرية الجامعات.
- لا تفاوض على التنوع الفكري والثقافي.
- لا للانغلاق أياً كان.
- لا يَملِي السياسيون على الجامعات سياساتها ونتائج أبحاثها، ولن يؤثروا فيها.

والطريق طويل، والرئيس إلى زوال.

تعددت الأسماء والبلاء واحد

د. علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

لورنس العرب

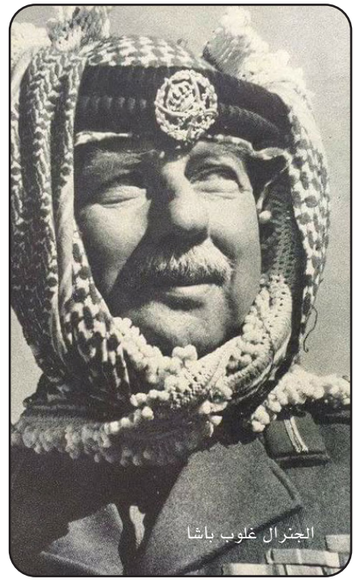
الجنرال غلوب باشا

دأبت القوى الاستعمارية على فرض أنظمتها السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية في البلدان التي تديرها وتحكمها، سواء بالقوة أو بالخداع، أو بالمال والذهب، أو بالتصاريح الخاصة لكبار الشخصيات (VIP)، بحيث تبقى هذه الدول أو الأنظمة، أو الكيانات الناشئة، خاضعة بطريقة ما، أو تدور في فلك تلك الدول التي تدير دفة الأمور. في العادة تقوم هذه الدول المتنفذة بإنشاء طبقة اجتماعية/ سياسية، ذات صلاحيات وامتيازات شكلية ومنافع متبادلة، مرتبطة بها وتنفذ سياساتها وتلبي شروطها. أما باقي الفئات الاجتماعية، فعليها أن تصدق الخطابات الجوفاء، أو أن تدفع الثمن. على هذا الأساس، فإن منطقتنا العربية، التي كانت فيما مضى ركناً رئيساً من دولة الخلافة، تفتتت إلى دويلات صغيرة، ومتناحرة في معظم الأحيان، منذ ما لا يقل عن مئة عام، وفقاً لترتيبات ما زالت مفاعيلها سارية إلى اليوم. وعلى يد أشخاص ما زالت أسماؤهم تدل على أفعالهم إلى اليوم. لقد مرت في هذه البلاد أسماء كثيرة من الدبلوماسيين والعسكريين والجواسيس والمستشرقين والمستكشفين والرحالة وغيرهم، قاموا بأدوار كثيرة، غيرت معالم المنطقة، مثل رسم الحدود، والتدريب، والتعليم، ووضع الدسائس وإثارة الفتن، وغير ذلك من الفنون. ومن سخرية التاريخ، أن معظم هذه الشخصيات التي تركت آثارها العميقة وندوبها حتى اليوم، هي شخصيات عديمة أو قليلة الخبرة والمعرفة بتاريخ وثقافة المنطقة، لكنها تميزت بروح المغامرة والسعي للتعلم والمعرفة. وفي المقابل فإن الشخصيات التي يُفترض أن تُمثل شعوبها، ما زالت ترى في الأجنبي: المتفوق، والمنقذ السوبرمان، الذي يمتلك أدوات سحرية أو ملفات سرية لا ندري نحن كنهها.

خلال سنوات القرن الماضي برزت شخصيات أجنبية لعبت دوراً رئيساً في تقرير شكل المنطقة وحدود دولها، لعل أشهرهم لورنس العرب (توماس إدوارد لورنس 1888 - 1935)، الذي استطاع، وعمره بالكاد تجاوز عشرين عاماً، أن يُقنع شريف مكة، وشيوخ القبائل العربية بالوقوف ضد دولة الخلافة الإسلامية مقابل قليل من المال والذهب، ووعود بتعيين الشريف ملكاً على البلاد العربية. وفي هذا الإطار، يقول لورنس، لقد انتدبت للعيش مع هؤلاء العرب.. مجبراً على تدريبهم وتوجيههم في الاتجاه الذي يتفق مع مصالح بريطانيا.. وقد نجحت في إخفاء شخصيتي عنهم واستطعت أن أندمج كلياً في حياتهم دون احتجاج أو انتقاد. وكانت النتيجة استبدال دولة الخلافة، أو «الاحتلال التركي العثماني» بالاحتلالين الإنجليزي والفرنسي، وتقسيم المنطقة العربية بينهما، وتعيين ابن الشريف أميراً على إمارة صغيرة مستحدثة، هي إمارة شرق الأردن.

بينما قام مارك سايكس (1879 - 1919) البريطاني، وجورج بيكو (1870 - 1951) الفرنسي، وهما قليلا الخبرة بتاريخ وثقافة البلاد العربية بتقسيم المنطقة العربية عام 1916، ضمن اتفاقية سرية حملت اسميهما، بين بريطانيا وفرنسا وتجزئتها وفق خطوط وهمية أصبحت أمراً واقعاً إلى اليوم. وكانت تهدف بالمقام الأول لعزل فلسطين عن باقي البلاد وتمهد لإنشاء وطن قومي لليهود. لقد وصف لورنس مارك سايكس بأنه حزمة من الأذى والضرر، وقال بأن أفكاره كانت مأساة المآسي بالنسبة للمصلحة العربية. من الناحية الأخرى، كانت تعليمات رئيس الحكومة البريطانية آنذاك، لويد جورج، لمارك سايكس بعدم إعطاء تعهدات سياسية للعرب تتعلق بفلسطين، وعدم المس بالحركة الصهيونية، خاصة وأن اليهود قادرون على مساعدة بريطانيا أكثر من العرب. وقد شبّه مدير المخابرات العسكرية في لندن الاتفاقية بموقف الصيادين الذين قسّموا جلد الدب قبل أن يقتلوه. وبينما كانت بنود هذه الاتفاقية تتناقض مع وعود الإنجليز للشريف حسين، ظل الأخير يثق بكلام الإنجليز ووعودهم وبهباتهم المالية التي كانوا يغدقونها عليه.

في إمارة شرق الأردن، قامت الحكومة البريطانية، بتعيين الجنرال فريدريك جيرارد بيك (1886 - 1970) بتشكيل الفيلق العربي في عام 1920 لحماية الإمارة، وخدمة مصالح الحكومة البريطانية. قام الجنرال بيك بتدريب وتوجيه جنود الفيلق العربي وصياغة توجهات الفيلق ومهامه، يعاونه مجموعة من الضباط الإنجليز. وفي عام 1939، خلفه الجنرال جون باجوت جلوب (1897 - 1986)، أو غلوب باشا، في قيادة الفيلق حتى عام 1956. وعُرف الجنرال جلوب باسم أبو حنيك، بسبب إصابة في حنكه الأسفل. خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ المنطقة، كانت بريطانيا تُمكن المنظمة الصهيونية العالمية من إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حيث أن سياسة حكومة ملك بريطانيا، كانت في ذلك الوقت تقوم على تقديم المساعدة العسكرية للأردن، وليست موجهة ضد إسرائيل؛ وكان الفيلق العربي يطارد الثوار الفلسطينيين خلال ثورة 1936، بحجة منع انتقال الفوضى إلى الإمارة. وبعد صدور قرار التقسيم عام 1947، كان أبو حنيك يمتنع عن مواجهة القوات اليهودية عندما تكون الحاجة ملحة وضرورية، مما ساهم في تراجع الجيوش العربية وتقدم العصابات الصهيونية. إبان هذه الفترة التاريخية، بينما كان الملك عبد الله يكثف اتصالاته السرية مع ممثلي المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، قام بتسمية جلوب باشا، قائداً للجيوش العربية التي من المُفترض أن تواجه العصابات الصهيونية وتمنعها من احتلال الأراضي الفلسطينية. وفي 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947، التقى الملك عبد الله، بحضور غلوب باشا، مع غولدا مئير في مستعمرة نهرايم قرب بحيرة طبرية، حيث تم التفاهم على مبدأ التقسيم، وعلى مقاومة الحاج أمين الحسيني. ومنذ ذلك الحين، واظبت الأردن على تأكيد تقيدها بحدود مناطق التقسيم وعدم دخول جيشها، الفيلق العربي، إلى المناطق اليهودية. وظل أبو حنيك يحث الملك عبد الله على احترام اتفاقيات الهدنة، بينما كانت العصابات اليهودية تستغل إعلان الهدنة لتقوية صفوفها وتعزيز قدراتها. وفي 3 أيار/ مايو 1948 أوفد غلوب باشا إثنين من ضباط الفيلق العربي الإنجليز للاجتماع سراً مع كبار ضباط الهاغاناه، وتم الاتفاق على أن غلوب سيُحجم عن تقدم قواته في فلسطين حتى يمنح الهاغناه الوقت الكافي للسيطرة على المناطق اليهودية حسب قرار التقسيم، وأنه ينوي الدخول بعد ذلك في معركة صورية مع الهاغناه إذا ما أُضطر إلى ذلك. ولما كان الملك عبد الله يُرسل الوفود بصحبة غلوب إلى بريطانيا للبحث بشأن دور الجيش العربي الأردني في فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني، كانت التعليمات الدائمة للضباط، إياكم أن تذهبوا لاحتلال المناطق الممنوحة لليهود .

لقد تكونت معظم الدول العربية، في منطقتنا، في مطلع القرن العشرين، وفقاً لتقسيمات وظيفية مرسومة مسبقاً، ولخدمة مصالح الدول الراعية والمشاركة في التقسيم، وكذلك بهدف تحقيق الوعود البريطانية بإنشاء وطن لليهود في فلسطين. وقد نشأت في معظم الدول العربية الجديدة أنظمة سياسية ارتبطت مصالحها في أمكنة مختلفة عن تطلعات شعوبها. وربما تكون السلطة الوطنية الفلسطينية الهجينة على بعض أجزاء الضفة الغربية وغزة آخر ما تفتقت عنه سياسة الدول الكبرى والقيادات المحلية ضمن ما بات يعرف باتفاقية أوسلو عام 1993. ولم يكُ مشوار سلطة أوسلو مختلفاً عن سابقاتها. فقد تم تعيين الجنرال الأميركي كيث دايتون ليقوم بدور المنسق الأمني للولايات المتحدة الأمريكية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية في الفترة من 2005 إلى 2009. وخلال هذه المهمة، قام هذا الجنرال المحنك وفريقه بتدريب، وتنظيم، وتوجيه، وتطوير قدرات وأفكار القوى الأمنية الفلسطينية بما يخدم المخططات المرسومة لدور هذه السلطة ومستقبلها، بالإضافة إلى تحديد آليات التعاون، وتعزيز الثقة والتنسيق بين الطرفين. وصف الجنرال دايتون هذه القوات، في محاضرة له في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، بأنهم الرجال الجدد الذين يعتقدون أن مهمتهم هي بناء دولة فلسطينية. ربما لم يختلف المنحى الذي نحاه الجنرال دايتون عن المنحى الذي أخذه الجنرال أبو حنيك لإنجاز خططه، لكن من دون شك، فإن الجنرال دايتون استفاد من النفوذ السياسي لبلاده، والدعم السياسي العالمي والتقنيات الحديثة. لقد تم تدريب هذه القوات من قبل ضباط أمريكيين وأوروبيين، وبالتنسيق مع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في مراكز متخصصة في أريحا والأردن، وبتمويل أمريكي ودعم أوروبي.

عندما بدأ دور هذه القوات يظهر إلى العلن، صارت تعرف باسم قوات دايتون. اليوم، تُشكل هذه القوات الأداة الرئيسة للسلطة لحماية مصالحها وامتيازاتها المرتبطة مع سلطات الاحتلال، وقمع أي عمل وطني مناهض للاحتلال الصهيوني، سواء أكان مظاهرة احتجاج سلمية، أو عملية طعن أو دهس يقوم بها أفراد فلسطينيون لا يثقون بالوعود والأوهام. تقوم السلطة وأجهزتها الأمنية بالتنسيق المباشر مع نظرائهم الصهاينة، بملاحقة ومطاردة المقاومين والنشطاء الوطنيين، واعتقالهم وتسليمهم لسلطات الاحتلال أو حتى قتلهم. وهنالك أمثلة كثيرة على ذلك، لا مجال لذكرها هنا. لقد ظل موضوع التنسيق الأمني بين السلطة والكيان الصهيوني سبباً رئيساً للانقسام بين الفلسطينيين، خاصة وأنه وصل إلى مستويات غير مسبوقة. وينبغي القول: إن جزءاً كبيراً من الفلسطينيين بات يعتبر السلطة الفلسطينية أداة من أدوات الاحتلال، وهي كذلك، تحمي مصالحه وتقمع شعبها وتصف المقاومة بالإرهاب او العمل العبثي ينبغي وقفه. وهكذا يتبين أن برنامج دايتون كان نقطة تحول رئيسة في برنامج العمل الوطني، ومتناغماً مع متطلبات اتفاقية أوسلو سيئة الذكر، وله الدور الرئيس في تعميق الانقسام الفلسطيني.

يتبين لنا، أن تاريخ منطقتنا القصير حافل بالمفارقات التاريخية المتشابهة والمتكررة، وأن هنالك أسماء كثيرة مرت من هنا وتركت توقيعها وبصماتها على وجه هذه المنطقة، ويبدو أن الباب ما زال مفتوحاً أمام المزيد من المغامرين. لقد تعددت الأسماء، لكن البلاء واحد. وكأن لا أحد يتعلم من دروس التاريخ. صحيح أن للتاريخ دورات وتقلبات، لكنه لا يرحم.

الحرب على إيران وتداعياتها على منطقة الخليج العربي

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

حتى كتابة هذه السطور، تواصل الولايات المتحدة الامريكية نقل عتادها العسكري البحري والجوي إلى منطقة الخليج العربي والقواعد العسكرية في بعض البلدان العربية، في توجه محموم لشن الحرب على إيران، بتحريض مستمر وتنسيق مع الكيان الصهيوني لم يخفه قائد القوات المركزية الامريكية، فقد أصبح اللعب على المكشوف بعد فشل حملة إسقاط النظام من الداخل التي استخدمت فيها وسائل المخابرات الأمريكية المعروفة في مختلف دول العالم ومنها ما يذكر بالإطاحة برئيس الوزراء الأسبق محمد مصدق في العام 1953، وإعادة شاه إيران للسلطة ليواصل دوره المرسوم له في الدوائر الغربية شرطياً على الخليج.

جاء تزاحم القطع البحرية في مياه الخليج العربي والمياه القريبة منه بالتوازي مع تهديدات واشنطن لشن عدوان جديد بعد شهور من عدوان يونيو/ حزيران، لم تتمكن خلاله طهران من ترميم كل ما دمره العدوان الأول، سواء من ناحية إعادة بناء المفاعلات النووية، وخصوصا مفاعل «نطنز»، أو معالجة الأوضاع الاقتصادية والمعيشية التي تعصر المواطن الإيراني وتدهور حياته المعيشية في مختلف المحافظات بفعل الحصار الذي دام قرابة نصف قرن. تل أبيب وواشنطن تجدان في التوقيت فرصة كبرى لتحقيق مكاسب على الأرض على حساب طهران المثخنة بجراح الحصار الغائرة، حتى فقدت العملة الوطنية (الريال) أكثر من 40 بالمئة من قيمة سعر صرفها منذ عدوان يونيو 2025 وحتى الان، فضلاً عن الحصار الخانق على تصدير النفط والغاز بحجة منع إيران من الوصول لصناعة القنبلة النووية. هذا الحصار قاد لزيادة التضخم وارتفاع الأسعار، وتسبب في اندلاع احتجاجات شعبية بدأت عفوية وردة فعل على الغلاء وتدهور الطبقة الوسطى ما جعلها تتوسع شعبياً، لكن الولايات المتحدة والكيان الصهيوني استثمرتا الوضع المرتبك داخلياً وحركت الطابور الخامس ومارستا ضغوطاً أكبر على القيادة الايرانية وهددتها بالتدخل العسكري وبتصفية رؤوس النظام بمن فيهم المرشد الأعلى السيد علي خامنئي لقصم ظهره وإنهاكه أكثر، فتم إحراق الكثير من المؤسسات الحكومية ومواقع العبادة لتوتير الأجواء وإشعال فتيل الانقسام الداخلي وإشعال حرب أهلية تضعف النظام داخلياً وتشغله عن دوره الإقليمي، خصوصاً تجاه فلسطين ومحور المقاومة.

بالنسبة للإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني، فإن آخر همهما الوضع المعيشي للإيرانيين وحقوقهم الأصيلة في حياة حرة كريمة، فما يجري في أمريكا هذه الأيام ضد المهاجرين والمواطنين الأصليين يكذب هذا الادعاء (الترامبي)، وما يتعرض له الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية من حرب إبادة وتطهير عرقي يؤكد طبيعة الكيان التطهيرية وأنه نظام فصل عنصري بامتياز. بيد أن الهدف الأساسي من كل هذا الحصار تركيع إيران وتحويلها إلى دولة تابعة تدور في فلك الولايات المتحدة والدول الغربية. يمكن لواشنطن التغاضي عن سعي طهران لتنفيذ برنامجها النووي السلمي إذا غيرت موقفها من الكيان الصهيوني وعبدت الطريق للتطبيع معه. لكن هذا يمس صلب العقيدة الإيرانية التي ترى في الكيان عدواً لا يمكن التعايش معه، إذ ترجمت هذا المبدأ منذ اليوم الأول لانتصار الثورة عام 1979، عندما أغلقت السفارة الصهيونية في طهران وطردت البعثة الديبلوماسية وقطعت العلاقات وسلمت مبنى السفارة لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما اعتبرت أمريكا هي «الشيطان الأكبر» عدواً للشعوب الحرة ومدمنة الهيمنة على العالم. ولم تكن الحرب العراقية الإيرانية قراراً خالصاً صادراً عن النظام العراقي السابق، بل كانت أصابع الولايات المتحدة والدول الغربية حاضرة وتعبث في تفاصيل إشعال الحرب واستمرارها ثماني سنوات عجاف دمرت الاقتصادين العراقي والإيراني معاً وراح ضحيتها مئات الآلاف من الطرفين. وعندما جاء اجتياح الجيش العراقي للكويت في صيف 1990، كانت المعلومات تفيد بدور أمريكي لعبته سفيرة واشنطن في بغداد، جلاسبي، إذ قامت بخديعة كبرى لرأس النظام العراقي ليتجاوز «الخطوط الحمر» ولتجد الولايات المتحدة ذريعة للإطباق على منطقة الخليج العربي عبر إرسال مئات آلاف الجنود والعتاد وإقامة المزيد من القواعد العسكرية وتعزيز وجودها العسكرية والأمني في المنطقة لتضمن السيطرة على منابع النفط والتحكم في سلاسل إمداده للدول الغربية وبقية دول العالم.

لم تعش إيران حالة استقرار منذ بداية الثورة، أللهم إلا بعض الوقت إثر توقيع الاتفاق النووي مع مجموعة خمسة زائد واحد، وحين انقلبت إدارة ترامب على الاتفاق وألغته عاد التوتر من جديد وسارت الدول الغربية المشاركة في الاتفاق في دبر القرار الأمريكي رغم تسويفاتها وإطلاق مسؤوليها التصريحات المُطمئنة من الظاهر فيما هي تضرب جوهر الاتفاق حتى وإن كان ذلك على حساب اقتصاداتها ومصداقيتها، فدخلت إيران في أتون ما بعد إلغاء الاتفاق وعاد الحصار أكثر قسوة على اقتصادها وعلى شعبها الذي يدفع الثمن غالياً من جراء منع تصدير النفط وعدم السماح لإيران من استيراد وتصدير السلع الضرورية لحياة معيشية كريمة كما تفعل كل دول العالم، وكأن الأمر هو معاقبة الشعب وعدم الاقتصار على معاقبة النظام، وهو حصار غير عادل ولا يستند لأي قانون دولي يدعمه، بل هو رغبة الإدارات الأمريكية المتعاقبة ومن ورائها الحكومات الغربية التي تأكد أنها دول هشة وتابعة حتى في المفاصل المتعلقة بمصالح القارة الأوروبية واقتصاداتها وحتى أراضيها، فقضية جزيرة غرينلاند الدانماركية التي يريد ترامب التهامها لا تزال شاخصة وتتداعى فصولها وسط دهشة الأوروبيين من التصرف الأمريكي، لكنها دول تقف مكتوفة الأيدي دون فعل مؤثر.

اقتصاد منهك

في ظل هذه الحصارات المتعددة الأوجه، يعاني الاقتصاد الإيراني من إنهاك كبير. فدولة بحجم إيران التي تعتبر ثاني أكبر دول الشرق الأوسط من حيث عدد السكان بعد مصر، ويبلغ أكثر من 90 مليون نسمة، وثاني أكبر دول المنطقة ساحة بعد السعودية بمساحة تبلغ 1.65كم²، وتتميز بموقع جيوسياسي تشكل نقطة التقاء لثلاث مجالات آسيوية (غرب آسيا ووسطها وجنوبها)، وتأتي إيران في المرتبة الرابعة في العالم من حيث حجم الاحتياطي من النفط والغاز، وكانت تعد ثاني أكبر مصدر للنفط في العالم، لكن الحصار الخانق أفقدها هذا الترتيب للدرجة التي اضطرت لإنفاق مليارات الدولارات على شراء الوقود خصوصاً في الألفية الثالثة، رغم أن متوسط إنتاج النفط اليومي يصل إلى أربعة ملايين برميل يومياً، بل إنها وفي ذروة القرار الجريء الذي اتخذه المرحوم الملك فيصل بن عبدالعزيز بوقف تصدير النفط للدول الغربية في أعقاب حرب أكتوبر 1973 انتجت إيران الشاه ستة ملايين برميل في اليوم عام 1974 لضرب القرار العربي الشجاع. إن دولة بهذا الحجم تتمتع بثروات طبيعية هائلة ومياه وأراض خصبة، ينبغي أن يكون ناتجها المحلي أكبر بكثير مما هو عليه في الوقت الراهن والمتراجع إلى أقل من 400 مليار دولار.

تعاني إيران من تراجع مضطرد في مستوى المعيشة وترتفع فيها نسب البطالة إلى مستويات خطيرة، يزيد طينها بلة تصاعد مستويات التضخم وتآكل قيمة العملة الوطنية وحرمان إيران من نظام (سويفت) الذي يسيطر على التعاملات المالية في العالم وتقوده الولايات المتحدة الامريكية. كل ذلك لأن إيران اتخذت مواقف عكس التيار السائد في المنطقة واعتبرت الكيان الصهيوني عدواً وقدمت المساعدات للشعب الفلسطيني وفصائله المقاتلة. بل أن واشنطن لعبت على الخلافات بين إيران وبين دول مجلس التعاون الخليجي وغذتها حتى بلغت حد القطيعة، رغم أن ضفتي الخليج بحاجة لبعضهما، حيث تعتبر إيران عمقاً إستراتيجياً تفرضه جغرافية الجوار ويؤكده التاريخ سواء في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، أو في الجوانب الثقافية والدينية. فلو كانت العلاقات بين الجانبين طبيعية فإن حجم التبادل التجاري سيكون أضعاف ما هو عليه الآن وهو لا يمكن قياسه بدقة راهناً، ذلك أن إيران ذات التسعين مليون نسمة وأكثر يمكن أن تكون سوقاً للكثير من المنتجات الخليجية، والأمر نفسه بالنسبة لدول المجلس التي يقترب عدد سكانها من الستين مليون نسمة بمن فيهم العمالة الوافدة التي تشكل أغلبية في أربع دول خليجية. لعبت الإدارات الأمريكية المتعاقبة والدول الغربية على مبدأ «فرق تسد الشهير» فضربت إسفيناً. يؤكد هذا القول وزير الدفاع الفرنسي الأسبق جان بيير شيفنمان بقوله: «في كل مرة أراد نظام عربي أو مسلم الانفتاح على الحداثة، كان «الغرب» نفسه يسد الطريق عليه أو يسحق شرايينه: فبالأمس كان ذلك مع محمد علي باشا وخديوية مصر، والسلاطين المجددين وبعد ذلك مع جمال عبد الناصر، ولن أنسى بالطبع الدكتور مصدق في إيران». هكذا يريدنا الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، دولاً بمهمات وظيفية تابعة.

معركة كسر عظم

بالنسبة لإيران، تعتبر التهديد الراهن والتحشيدات العسكرية الأمريكية، بأنها مسألة وجودية. هذا يفسر تصريحات مسؤوليها بأن الرد لن يقتصر على مواجهة صواريخ الطائرات التي لا تمتلك طهران وسائل متطورة لصدها، بل تمتد لقواعد أمريكا العسكرية في دول مجلس التعاون الخليجي وفي مياهها الإقليمية، حتى ذهب المسؤولون الإيرانيون بعيداً في تحذيراتهم كما هو الحال مع المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيراني إسماعيل بقائي، الذي أكد على «أننا نواجه، وما زلنا، حرباً مُركّبة، فبعد الاعتداء الذي وقع في يونيو، واجهنا خلال الأشهر الماضية تهديدات جديدة من أميركا وإسرائيل، ودول المنطقة تدرك أن أي زعزعة للأمن الإقليمي لا تستهدف إيران وحدها». مثل هذه التحذيرات فهمها أغلب مسؤولي دول المجلس فأعلنوا أنهم يرفضون استخدام أجواء وأراضي بلدانهم منطلقاً لأي «أعمال عدائية» ضد إيران.

وهذا يعني أن منطقة الخليج تعيش على صفيح ساخن وكأن قدرها ألا تستقر وألا تتفرغ للتنمية المستدامة، إنما جعلها منطقة تجارب للأسلحة الجديدة، ومستودعاً لصفقات السلاح الفلكية التي تنتجها المصانع الأمريكية والغربية.

وبالنسبة للولايات المتحدة والكيان الصهيوني والمتحالفين معهما فهم يرونها فرصة ذهبية سانحة لتنفيذ المخططات الكبرى التي عجزوا عنها والمتمثلة في تشييد الشرق الأوسط الجديد الذي يبنى على دماء الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين واليمنيين والعراقيين وكل من يرفض الهيمنة الأمريكية التي تمتد من مناطق تصدير النفط للتحكم في إمداداتها للصين والهند ودول جنوب شرق آسيا، وصولاً لدول أمريكا اللاتينية التي جسدت فيها إدارة الرئيس ترامب عقلية العصابات في فنزويلا فاختطفت رئيسها الشرعي مادورو وتهدد كولومبيا بذات المصير وتواصل حصار كوبا منذ عشرات السنين وتهددها بتغيير أنظمتها السياسية بناء على ما تتطلبه المصالح الأمريكية.

إذن، هي حرب كسر عظم ستستخدم فيها أنواع الأسلحة الجديدة والقديمة وتلك المحرمة دولياً وستتوجع إيران كثيراً من هذه الحرب بتدمير بناها التحتية وقتل الكثير من أبنائها وتحطيم الاقتصاد الوطني وتهييج الشارع. لكن ذلك لن يكون بلا رد إيراني، ربما يكون حجمه وطبيعته غير واضحتين حتى الآن، وملامحه بانت في تصريحات كبار مسؤولي طهران الذين أكدوا جميعاً أنه سيكون رداً يشمل المنطقة وأولها الكيان الصهيوني. إن عدم استقرار إضافي مقبل على منطقة الخليج إذا أقدمت واشنطن وتل أبيب على إطلاق الرصاصة الأولى في الحرب على إيران. حينها تشتعل المنطقة العربية وستأتي نيران الحرب على الأخضر واليابس. فالإدارة الأمريكية تبحث عن صفقات ضخمة تغطي جزءاً من الدين الفيدرالي الذي يقترب من 40 تريليون دولار، وليس هناك أكثر غنى من دول مجلس التعاون التي تمكن ترامب بلعبة بهلوانية من تأمين نحو 4 تريليونات في أيام قليلة، وهو مطالب من شركات السلاح بالضغط لعقد صفقات جديدة كما مطالب من شركات التكنولوجيا من القيام بذات الفعل، وسيفعل ذلك إن سنحت له الفرصة دون أن يرف له جفن.

«مجلس سلام ترامب»
يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني و يجعل الأمم المتحدة في ذمة التاريخ

نعيم ابراهيم ـ صحفي وكاتب فلسطيني ـ سورية

مع إطلاق الرئيس الامريكي دونالد ترمب الذي تسيطر عليه حالة من جنون العظمة، مصيدة مجلس سلامه لإدارة قطاع غزة والعالم، تبرز أسئلة: فلسطين والمنظومة الدولية الحالية الى أين ؟ وهل سنشهد تداعيات خطيرة لهذه الخطوة على مستقبل القضية الفلسطينية وعلى القانون الدولي ومنظومة حقوق الإنسان؟

رئيس الولايات المتحدة يزعم أن واشنطن ستكون ناجحة جدا في غزة وستضمن «إعادة بناء السلاح في القطاع بشكل جميل»، وهذا ليس في محله، مدعيا أن بلاده حافظت على وقف إطلاق النار في غزة ووفرت مستويات قياسية من المساعدات الإنسانية، وأن التقارير حول معاناة الفلسطينيين من الجوع في غزة لم تعد تسمع.

استنادا الى الوقائع فإنه من المؤكد أن تأسيس «مجلس السلام العالمي» يتجاهل الشعب الفلسطيني وحقوقه التاريخية ومقاومته للاحتلال الصهيوني، عبر طرح ترمب فكرة تحويل غزة الفقيرة والمتهالكة منذ فترة طويلة إلى «ريفييرا الشرق الأوسط»، وهي فكرة استعمارية تتناقض مع التطورات على الأرض وتعتمد على حق القوة وفرض الامر الواقع على الفلسطينيين. كما ان المفهوم النهائي للمجلس لإعادة تطويرغزة مؤشرعلى أن ترامب ينظر إليه من منظور مطور عقاري، وليس من منظور صانع سلام وهذا يعيد خطر التهجير إلى الواجهة والى فرض سلام القوة على أنقاض الشرعية الدولية!

إنها فانتازيا هزلية تجلت بوضوح بقول صهر ترمب جاريد كوشنر: إن الخطة تتضمن إنشاء «سلطة مدنية انتقالية شرعية واحدة» لإدارة غزة وإن ذلك سيبدأ بسلطة مدنية جديدة لغزة ومن ثم الانتقال إلى السلطة الفلسطينية بمجرد إتمام الإصلاحات وأن الإطار قائم على مبدإ «سلطة واحدة، قانون واحد، سلاح واحد»، بمعنى أن جميع الأسلحة ستكون مرخصة من قبل سلطة مدنية واحدة. كما أن الخطة تنص على «احتكار القوة»، ما يتطلب تدمير سلاح المقاومة الفلسطينية والأنفاق والبنية التحتية العسكرية ومرافق إنتاج الأسلحة والذخائروحل أودمج جميع الفصائل المسلحة وأجهزة الأمن الداخلية ومنظمات الشرطة بعد «التدقيق الدقيق والتحقق الصارم».

كما أن تساؤلات مشروعة تثار راهنا، لا سيما فيما يتعلق بتنفيذ المرحلة الثانية من اتفاق وقف إطلاق النار، ووقف الخروقات الصهيونية المتواصلة وفتح المعابر، وإدخال المساعدات إلى قطاع غزة، علما أن الاحتلال الصهيوني ارتكب منذ إعلان وقف إطلاق النار حتى كتابة هذه العجالة أكثر من 2500 خرق ميداني ونوعي، أسفرت عن استشهاد أكثر من 500 فلسطيني وإصابة ما يزيد على 1200 آخرين، الى جانب استمراره في تدمير البنى التحتية وتقسيم القطاع وتشريد السكان .

هذا النهج الأميركي لم يكتف بتقويض مفهوم وقف إطلاق النار، بل أعاد تعريفه كأداة لإدارة الترتيب العسكري لا لإنهائه. وبدلا من لعب دور الضامن أو الوسيط، تحولت واشنطن في عهد ترمب إلى شريك فعلي في إعادة هندسة الصراع، عبر حماية كيان الاحتلال الصهيوني دبلوماسيا وطرح مسارات بديلة تتجاوز الشرعية الدولية ما جعل الهدنة في غزة حالة مؤقتة خاضعة لموازين القوة لا لقواعد القانون الدولي، مع سعي الاحتلال إلى إبقاء خيار العمليات العسكرية الواسعة مفتوحا مستقبلا، والعمل على تهيئة الوسطاء وواشنطن و»مجلس السلام» للتعامل مع هذا الواقع باعتباره أمرا قائما.

فاذا كان المعيار الحقيقي لأي جهد دولي أو مجلس سلام هو مدى قدرته على الضغط على الاحتلال لإلزامه على وقف ممارساته القمعية والارهابية بحق الارض والانسان، فإن واقع الحال في قطاع غزة وعموم فلسطين التاريخية يدحض مزاعم مجلس ترمب الذي يحاول دفن النظام الدولي (رغم كل عيوبه) وإعلان ولادة نظام تحكمه الشركات وأرباب العمل.

لذلك تبدو القصة مفرطة في عبثيتها، وإن كانت تعكس ميل ترمب إلى الاستحواذ على مصائر العالم، وتنصيب نفسه رئيسا لمجلس إدارة الدنيا، يخفض ويرفع، ويجعل من مطامعه ومطامحه معيارا لما يسميه السلام الدولي، وهو يكذب عندما يقول، إنه يريد أن يوقف الحروب الكبرى. فعقيدته الظاهرة، أن السلام تصنعه القوة الأمريكية وحدها، وأن أحدا لا يملك منعه عن شيء يريده، والامثلة حول العالم كثيرة ، من فلسطين الى فنزويلا وغرينلاند وايران وغيرها والأدوار مقبلة على الآخرين جميعا، ومن يتذمر أو يبدى معارضة، فإنه لن يكون موجودا على ظهر كوكب الارض وصولا الى أن تصبح الأمم المتحدة في ذمة التاريخ ، نتيجة بلطجة ترمب ودولته العميقة.

الإبادة والتطهير العرقي في فلسطين والنازيون الجدد

إبراهيم أبو ليل ـ كاتب سياسي فلسطيني – سورية

يحرص قادة الاحتلال الإسرائيلي بشدة على عدم الحديث عن العلاقة الوطيدة بين النازية التي صعدت إلى حكم ألمانيا في ثلاثينيات القرن الماضي، والحركة الصهيونية التي وظفت الممارسات النازية أيّما توظيف لخدمة مشروعها في فلسطين، من خلال لعب دور الضحية واستجلاب التعاطف مع اليهود، واجتهدت في الاستفادة من الممارسات النازية لتفرض على المجتمع الدولي سن تشريعات تجرّم التنكر لما تسمية بالمحرقة أو الكارثة ضد اليهود، أو مجرد التشكيك في الأرقام المهولة التي تتبناها الصهيونية. كما أن جرائم التطهير العرقي والإبادة الجماعية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة، وعمليات التعذيب الوحشي الممنهجة في السجون الإسرائيلية، أكدت أنها تتكئ على إرث كبير من الإرهاب التاريخي وتتطابق مع الممارسات النازية، ما جعل الكيان الصهيوني ظاهرة هي الأكثر توحشاً، يشهدها العالم في التاريخ المعاصر.

منذ نشوء المشروع الصهيوني كان هدفه الأول تحقيق هدف التطهير العرقي في فلسطين، والاستيلاء على الأرض دون السكان، حيث قامت العصابات الصهيونية بارتكاب العديد من المجازر وجرائم الإبادة بحق الشعب الفلسطيني وفق مخططات صهيونية عنصرية، وما فعلته الصهيونية مع العرب فعلته من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وألمانيا التي قتلت في ظل النازية الملايين من البشر. وما تقوم به قوات الاحتلال الإسرائيلي اليوم من أفعال مريعة ضد الفلسطينيين، إنما تعلّمته من القوى الاستعمارية التي سبقتها وما زالت تساندها. ويؤكد الباحث الإسرائيلي «إيلان بابيه» في كتابه الهام «التطهير العرقي في فلسطين»، مفصحاً عن الممارسات الوحشية الصهيونية ويقول: «إن فكرة التطهير العرقي ولدت مع نشوء الصهيونية التي خططت لتطبيق برنامجها في غضون ستة أشهر، لكنها تمكنت في كثير من الأحيان بأقل من ذلك بكثير». وتعتبر الإبادة الجماعية والتطهير العرقي في فلسطين من أشد مظاهر هذه السياسة تطرفاً. ورغم الأدلة والتقارير الكثيرة المنشورة حول هذا الموضوع، إلا أن المجتمع الدولي ما زال يعطي الكيان الصهيوني حصانة من المساءلة عن الجرائم التي يرتكبها، ويضفي شرعية فعلية على استمرار قوات الاحتلال في تعذيب الفلسطينيين وقمعهم وتطهيرهم العرقي، بينما يتخلى عن الضحايا الفلسطينيين، على نحو مخالف للقانون الدولي وقرار الأمم المتحدة 96 (د – 1) المؤرخ في الحادي عشر من كانون الأول/ديسمبر عام 1946، والذي يؤكد أن الإبادة الجماعية جريمة بمقتضى القانون الدولي، تتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها ويدينها العالم المتمدن، وتضمّن القرار تسع عشرة مادة قانونية. والإبادة الجماعية هي التدمير المتعمد والمنهجي لمجموعة من الناس بسبب عرقهم أو جنسيتهم أو دينهم أو أصلهم.

وتعتبر المادة الأولى الأهم، التي صادقت عليها الأطراف المتعاقدة بما فيها الكيان الصهيوني الذي بات طرفاً في عام 1950، حيث أكدت أن ارتكاب الإبادة الجماعية في أيام السلم أو أثناء الحرب، هي جريمة مكتملة الأركان بمقتضى القانون الدولي، وتتعهد بمنعها والمعاقبة عليها.

لقد تربى الإسرائيليون على الاعتقاد بأن القوة والعنف والحرب وحدها الكفيلة بإنقاذهم، فالقوة حلت مكان العقل اليهودي الذي نجا من سنوات الشتات. وبحسب المؤرخ الإسرائيلي أوريئيل طال، لا يعتبر العنف خللاً أخلاقياً بالنسبة لهم، بل ضرورة مقدسة عندما يخدم هدفاً دينياً وقومياً، وعندما يلتقي العنف الديني مع العنف العسكري يتحرر من أي قيد بشري، قانوني وأخلاقي. ويكتب البروفيسور طال «يصبح الخلاص التاريخي عندها أيديولوجيا القوة». ويضيف طال: «إنه أمر إبادة جماعية». ويستشهد طال بمصادر في الصهيونية الدينية تفيد بأن «اليهود أمروا أن يكونوا قديسين، لا أخلاقيين أو إنسانيين، وفقاً للمعايير المتعارف عليها. فتعاليم الأخلاق التي تقبلها البشرية من حيث المبدأ على الأقل، لا تلزم اليهودي لأنه اختير ليكون أعلى منهم». وقد كتب الحاخام إسرائيل هاس: «سيأتي اليوم الذي سيطلب منا فيه تنفيذ أمر الحرب هذا، وهو تدمير العماليق. نحن شركاء في أيديولوجيا القوة، التي اتخذت بعداً من القداسة. إن الرب سوف يحبنا دائماً حتى عندما نقتل الأطفال». فالعقلية العنصرية المتطرفة ظاهرة مسيطرة وعمياء لا علاقة لها بالمنطق السياسي، وفيها قسوة شيطانية تطغى على كل شيء، وتزدري أي شخص لديه موقف مختلف، داخل الكيان الصهيوني وفي العالم، وتعادي المشاعر الانسانية تجاه ما يحدث في قطاع غزة وفي الضفة الغربية، فالفلسطينيون يحرقون فقط في سبيل الرب، ومن أجله فقط يقوم الحريدي بقتل شخص عربي.

إن التطهير العرقي لا يتحقق من خلال حدث منفرد، بل يأتي نتيجة تراكمية لعمليات الإبادة الجماعية التي ارتكبت بحق الفلسطينيين بهدف القضاء عليهم.

ولا يقتصر التطهير العرقي على القتل وإفناء الجسد وتغييبه مادياً فحسب، بل يشتمل على القتل المعنوي الذي يهدف إلى تغييب الفلسطيني كإنسان، من خلال التعذيب النفسي والاعتداء على الشرف والكرامة ومحاولات كسر الإرادة، وتجويع الأطفال وحرمانهم من الغذاء اللازم، والماء النقي، ما يدفعهم لشرب الماء الملوث الذي يسبب لهم الأمراض ثم موتهم، أو منع وصول الأدوية إلى محتاجيها من المرضى وتركهم لآلامهم ومعاناتهم بانتظار الموت المحتم، إضافة إلى تعذيب الأسرى الذين يحتجزهم الاحتلال وإجبارهم على التعري أمام بعضهم بعضاً، نازعاً عنهم الصفة الانسانية لكي يفرغ حقده وتعطشه للانتقام والقتل بدم بارد، متنكراً لهم ولحقهم في العيش الآمن والحر في الحياة. ذلك أن تجريد الاحتلال للفلسطيني من إنسانيته هو إنكار لهويته الإنسانية واعتباره أدنى من الإنسان، ما يتيح للاحتلال إضفاء شرعية ما على سلوك جيش الاحتلال وأفعاله لجعلها أكثر قبولاً عند محيطه، ويمكن رؤية هذه العملية في الخطاب الرسمي والإعلامي الصهيوني تجاه الشعب الفلسطيني. ومنذ عقود عدة، في حديث رافائيل إيتان الذي عمل رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، وصف الفلسطينيين بأنهم «صراصير في زجاجة»، وسمّاهم مناحيم بيغين رئيس الحكومة الإسرائيلية في مطلع ثمانينيات القرن الماضي «وحوشاً ذوي أرجل». وقد وصف إيهود باراك رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق الفلسطينيين بـ«التماسيح»، وسمّاهم الزعيم الروحي لحزب شاس الحاخام عوفاديا يوسف بـ«الأفاعي»، ودعا إلى قتلهم. ووصف موشيه يعلون رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق الفلسطينيين مرة بأنهم «مظهر سرطاني»، وساوى بين العمل العسكري في الأراضي المحتلة ضدهم و«العلاج الكيماوي». أما نائب وزير الحرب الإسرائيلي إيلي بن دهان من حزب «البيت اليهودي»، فقد وصف الفلسطينيين بـ«الحيوانات»، خلال مقابلته على إذاعة الجيش الإسرائيلي عام 2013 قائلاً: «بالنسبة لي، إنهم كالحيوانات، إنهم ليسوا بشراً». هذه الدعوات لا تتم في الخطاب العسكري الصهيوني فحسب، وإنما في أوساط الإسرائيليين كافة، وجاءت من المستوى الرسمي المدعوم من الحاخامات اليهود أمثال الحاخام اليهودي الصهيوني الأكبر لمدينة صفد في الجليل الفلسطيني شموئيل إلياهو الذي قال:«إن قتل الفلسطينيين والانتقام منهم هو فريضة دينية تدعو إليها التوراة»، واصفاً الفلسطينيين بالوحوش البشرية، في وقت دعا فيه حاخامات يهود صهاينة آخرون إلى قتل الفلسطينيين في أرحام أمهاتهم، وقتل الأمهات الحوامل، وخرجت إحدى هذه الدعوات من إيليت شاكيد وزيرة القضاء في الحكومة الإسرائيلية الحالية. وقد عزز تلك التوجهات الصهيونية الفاشية تأييدها من قبل رئيس مجلس حاخامات المستعمرات الصهيونية في الضفة الغربية الحاخام دوف ليئور، حيث أفتى بقتل المدنيين الفلسطينيين، وشاركه في ذلك رئيس المجلس البلدي اليهودي في القدس المحتلة، وقد صادق عدد من الحاخامات اليهود على فتوى تسمح للجيش الصهيوني بقصف مناطق سكنية على رؤوس ساكنيها في قطاع غزة.

ختاماً، إن العنف والقتل والإبادة هي مفاهيم راسخة في الأيديولوجيا الصهيونية، وتتجلى في الممارسات اليومية للاحتلال الإسرائيلي بشكل مستمر ومتطور ضد الفلسطينيين. وتتطابق هذه المفاهيم مع الأفكار التي حملتها الحركة النازية ضد الشعوب في الحرب العالمية الثانية. ويستخدمها الاحتلال الإسرائيلي للانتقام من العرب، واضعاً نفسه موضع الضحية لكي يبرر جرائمه الوحشية وممارساته العدوانية ضد الشعب الفلسطيني والدول العربية. وما شهده قطاع غزة بعد السابع من أكتوبر 2023 من إبادة جماعية غير مسبوقة، يؤكد أن الكيان الصهيوني تجاوز النازية في جرائمه، وبات الظاهرة العنصرية والإجرامية الأبرز في التاريخ، وقادته هم النازيون الجدد.

أزمة موازنة حكومة نتنياهو: ابتزاز داخلي وعدوان دائم على الفلسطيني

موسى جرادات ـ كاتب سياسي فلسطيني – تركيا

لا يمكن فصل أزمة موازنة السنة في حكومة نتنياهو عن طبيعة النظام السياسي الصهيوني نفسه، نظام يعيش على حافة الإنفجار الدائم، ويُدار بمنطق الابتزاز لا بمنطق الدولة. فالصراع القائم بين الحكومة والأحزاب الحريدية حول قانون الإعفاء من الخدمة العسكرية ليس تفصيلًا عابرًا، بل تعبير صارخ عن تفكك داخلي عميق داخل المجتمع الصهيوني، وعن عجز هذه الحكومة عن الحكم دون صفقات قسرية وتهديدات متبادلة.

المسألة في جوهرها واضحة: الأحزاب الحريدية تساوم على الموازنة، وتربط بقاء الحكومة بإقرار قانون يعفي جمهورها من الخدمة العسكرية، فيما تعرف الحكومة أن هذا القانون، بصيغته المطلوبة، غير قابل للتمرير لا قانونيًا ولا سياسيًا. وفي المقابل، فإن تمرير الموازنة دون هذا القانون يعني إسقاطها، وبالتالي إسقاط الحكومة والذهاب إلى انتخابات مبكرة، في لحظة لا يملك فيها نتنياهو أي ضمانة للفوز، ولا أي قدرة حقيقية على إعادة إنتاج شرعية مهترئة داخل المجتمع الصهيوني المنقسم على ذاته.

هذه الأزمة المستمرة منذ أشهر طويلة تكشف أن الحكومة الحالية لا تحكم، بل تُبتز. وأن نتنياهو لا يقود، بل يناور، ويؤجل، ويدوّر الزوايا، بانتظار معجزة سياسية لا تأتي. لكن الأخطر من عجز الحكومة عن إدارة شؤونها، هو الطريقة التي تحاول من خلالها تعويض هذا العجز: عبر تصدير الأزمة إلى الفلسطينيين.

من منظور فلسطيني، لا يمكن التعامل مع هذه الأزمة باعتبارها شأنًا داخليًا صهيونيًا. فالتجربة التاريخية تقول بوضوح إن كل أزمة داخلية في المجتمع الصهيوني تتحول سريعًا إلى عدوان على الفلسطينيين. وحكومة نتنياهو، منذ يومها الأول، جعلت من القمع والاستيطان والقتل أدوات سياسية لإدارة تناقضاتها الداخلية، لا وسائل أمنية طارئة كما تدّعي.

كلما تعمّق الابتزاز داخل الائتلاف، ارتفع منسوب العنف ضد الفلسطينيين. وكلما ضاقت الخيارات أمام نتنياهو، ازداد الهروب إلى الأمام عبر الضفة الغربية وغزة والقدس. فالاستيطان ليس سياسة جانبية، بل أداة لإرضاء اليمين المتطرف، والعدوان ليس رد فعل، بل وسيلة لتوحيد مجتمع صهيوني مفكك حول وهم "الخطر الوجودي".

إن المجتمع الصهيوني، المنقسم بين علمانيين ومتدينين، وبين مركز وأطراف، وبين مؤسسات وقوى دينية متطرفة، يعجز عن حل أزماته داخل أطره السياسية. لذلك يلجأ دائمًا إلى الفلسطيني بوصفه الحلقة الأضعف، وساحة التفريغ الأسهل. وما يجري اليوم من تصعيد، أو ما قد يجري غدًا، ليس منفصلًا عن أزمة الموازنة، بل امتداد مباشر لها.

قد ينجح نتنياهو، كما في مرات سابقة، في شراء الوقت وتأجيل الانفجار، لكن ذلك لن يغيّر حقيقة أن هذه الحكومة قائمة منذ نشأتها على الابتزاز، ولا تعيش إلا عليه. حكومة كهذه لا يمكنها إنتاج استقرار، ولا حتى داخل المجتمع الصهيوني نفسه، فكيف يمكن أن تكون شريكًا في أي مسار سياسي أو تسوية؟

في المحصلة، ليست أزمة الموازنة مجرد أزمة أرقام، بل أزمة نظام، وأزمة مجتمع، وأزمة مشروع. أما الفلسطيني، فسيظل مستهدفًا ما دام النظام الصهيوني عاجزًا عن مواجهة أزماته إلا عبر مزيد من القمع والدم. هذه هي المعادلة الحقيقية التي يجب قراءتها، بعيدًا عن أوهام الاستقرار وحيل تدوير الزوايا.

نتنياهو والشرق الأوسط الجديد

حسين موسى.. ـ كاتب فلسطيني ـ سورية

الحلم الصهيوني الذي رفع شعاره المؤسسون لازال قائماً، إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، يحاول نتنياهو الذي يعتبر نفسه هو الوريث الشرعي لهؤلاء المؤسسين تنفيذه عبر السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية على العالم العربي.

لا تمر مناسبة إلا ويؤكد قادة الاحتلال الإسرائيلي وعلى رأسهم نتنياهو على تغيير وجه الشرق الأوسط، وقد انضم الرئيس الأمريكي ترامب إلى حليفه الإسرائيلي في ترديد هذه العبارة، (هناك سلام قادم سيغير ملامح الشرق الأوسط) مشاريع كثيرة يطرحها الأمريكي والإسرائيلي للتعامل مع المنطقة معتقدين أنهما أمام فرصة تاريخية لتغيير ملامح الشرق الأوسط لسنوات طوال، حيث أصبح واضحاً أن الواقع العربي الرسمي في حالة انهيار وهرولة نحو الأمريكي والإسرائيلي، والواقع الشعبي يعيش في حالة ضياع وتشتت خاصة بعد تعرض جزء من مجتمعاته إلى التدمير والتهميش وأصبح منكفئاً على قضاياه الوطنية المعقدة، في ظل المشهد بدأت إسرائيل تتحرك على الأرض لاتخاذ خطوات عملية لمحاولة تنفيذ مشروع سكة الحديد الإماراتية-الإسرائيلية رغم التوترات الإقليمية القائمة، فإسرائيل تتعامل مع المشروع كخطوة إستراتيجية لتحويل نفسها إلى مركز رئيسي للتجارة بين الخليج وأوروبا.

مصادر إعلامية إسرائيلية أكدت أن العمل على المشروع لم يتوقف خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، بل تواصل بشكل سري، وهو ما يكشفه توجه وزيرة النقل الإسرائيلية ميري ريغيف إلى أبو ظبي بعيدًا عن الإعلام لدفع المشروع نحو مراحل أكثر تقدماً.

وتعود جذور المشروع إلى مبادرة أميركية بدأت عام 2018 تحت اسم «سكة السلام»، قبل أن تتحول ضمن مشروع IMEC الذي يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا.

تنقل البضائع من ميناء موندرا الهندي إلى الإمارات بحراً، ثم تنتقل عبر سكة حديد تمتد من الإمارات إلى السعودية فالأردن، وصولاً إلى ميناء حيفا ومنها إلى أوروبا.

وتشير تقارير إسرائيلية متطابقة إلى أن المسار لا يُنظر إليه كخط تجاري فقط، بل كبنية إستراتيجية تجمع السكك الحديدية، الطاقة، الاتصالات، وخطوط الشحن، ما يمنح إسرائيل دوراً مركزياً في البنية اللوجستية العالمية.

لكن المشروع يواجه تحفظاً تركياً وفرنسيّاً يدفع نحو مسار بديل يمر عبر سوريا ولبنان بدلاً من المرور في إسرائيل، ما دفع الأخيرة لتكثيف حراكها الدبلوماسي.

وبحسب مصادر إسرائيلية، يحتاج المشروع إلى تفاهمات سعودية أساسية، لتمكين نقل البضائع الطازجة إلى إسرائيل خلال أقل من 12 ساعة، بالإضافة إلى تعميق مسار «اتفاقيات إبراهيم.»

يرى بعض الخبراء أن مشروع سكة الحديد الإماراتية – الإسرائيلية يتجاوز كونه خطاً تجارياً، ويعكس مساراً أعمق تسعى إسرائيل من خلاله إلى تعزيز نفوذها الاقتصادي والإستراتيجي في المنطقة.

ورغم اتفاقهم، تتباين تقديراتهم بشأن الواقع السياسي الذي قد يسمح بتحويل المشروع إلى حقيقة؛ فبينما يرى بعضهم أنه جزء من شبكة مشاريع إسرائيلية متصاعدة ترسم خارطة إقليمية جديدة، يؤكد آخرون أن نجاحه يعتمد على تفاهمات سياسية معقدة.

فيما يشكك آخرون في قدرة المشروع على تجاوز العقبات الحالية ويعتبره أقرب إلى رسائل سياسية إسرائيلية من كونه خطة قابلة للتنفيذ.

إذ يرى المحلل السياسي محمد القيق أن المشروع «ليس مبادرة منفصلة، بل واحد من ثلاثة مشاريع إسرائيلية مترابطة، تشمل قناة بن غوريون وممر داوود في الجنوب السوري».

يقول القيق: (هذه ليست أوهامًا سياسية. نحن أمام شبكة أذرع اقتصادية وعسكرية تتشكّل ببطء. إسرائيل تعمل بمنطق السلام من خلال القوة، وليس التطبيع التقليدي الذي عرفته المنطقة)

ويضيف القيق أن التمدد اللوجستي الإسرائيلي (يعكس طموحاً مركزياً لإعادة هندسة الشرق الأوسط الجديد، وتحويل إسرائيل إلى عقدة أساسية في أي مسار تجاري)

أما الكاتب والمحلل فارس الصرفندي فيربط المشروع بالرؤية الأميركية-الأوروبية للمنطقة، معتبراً أن الولايات المتحدة وأوروبا ترغبان في تموضع إسرائيل كنقطة مركزية في المشهد الاقتصادي والسياسي والعسكري، مستفيدة من سيطرتها على موانئ البحر المتوسط وشرايين التجارة الحيوية.

يشير الصرفندي إلى أن دور السعودية يبقى مفتاحياً: (السعودية لن تسمح بمرور السكة دون رؤية سياسية واضحة للقضية الفلسطينية. قد تكون جزءاً من اتفاقيات إبراهيم مستقبلاً، ولكن ذلك مرتبط بمفاوضات جادة مع إسرائيل)

في المقابل، يقلّل المحلل جهاد حرب من فرص خروج المشروع إلى التنفيذ العملي قريباً.

ويوضح أنّ «غياب التطبيع مع السعودية يجعل المشروع قيد الترويج الإعلامي أكثر منه مشروعاً قابلاً للتطبيق. إسرائيل تستخدم هذه التسريبات لتحسين صورة الحكومة بعد الحرب على غزة».

ويضيف حرب أن الربط بين المشروع وزيارة ولي العهد السعودي لواشنطن «لا يتجاوز الصدفة»، مؤكداً أن السعودية ما تزال متمسكة بموقفها: لا تطبيع دون دولة فلسطينية مستقلة.

من الواضح أن إسرائيل تسعى وعلى أكثر من صعيد لتعزيز نفوذها في المنطقة العربية، ولديها مشاريع متعددة منها ما هو سياسي يتعلق بتوسيع اتفاقات إبراهام واقتصادية للسيطرة على المنطقة العربية برمتها .

ورقة بحثية

في الذكرى الـ 18 لرحيل الحكيم :

د. حبش: مدرسة ثورية طليعية وتجربة كفاحية تستدعي البناء عليها

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

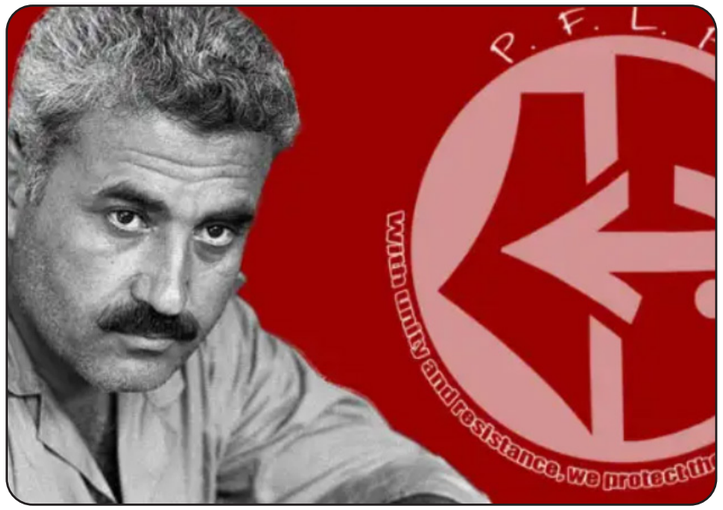

(الكتابة عن الحكيم مسؤولية وطنية كبيرة ، تحتاج إلى مراعاة أدق التفاصيل في مسلكيته الثورية ومواقفه المبدئية وتجربته الكفاحية ، حتى يمكن البناء عليها، في ضوء الظروف المستجدة التي باتت تهدد القضية الفلسطينية ، بعد خذلان الإقليم لمعركة الطوفان ، وما ترتب على هذا الخذلان من تداعيات خطيرة، خاصةً بعد تشكيل مجلس السلام برئاسة زعيم الإمبريالية دونالد ترامب ، وبعد أن تم إخضاع قطاع غزة لوصاية انتدابية أمريكية تذكرنا بالانتداب البريطاني على فلسطين في مطلع عشرينات القرن الماضي ، وبعد أن تم الفصل السياسي بين قطاع غزة والضفة الغربية ، بهدف تصفية الحقوق الوطنية والتاريخية للشعب العربي الفلسطيني).

من هنا كانت البداية

(حركة القوميين العرب)

بعد ثلاث سنوات من عمر نكبة عام 1948، وضع د. جورج حبش نصب عينيه وعلى رأس اهتماماته، السعي الجاد لتشكيل إطار تنظيمي قومي، ببرنامج سياسي وكفاحي للرد على اغتصاب فلسطين، من قبل العصابات الصهيونية مدعومة من الإمبرياليتين البريطانية والأمريكية.

فكان له قصب السبق في إيجاد الآلية التنظيمية التي تربط بين البعد القومي والبعد الفلسطيني، عبر تأسيس حركة القوميين العرب، مع العديد من رفاقه من مختلف الأقطار العربية، حيث لعبت الحركة مبكراً دوراً هاماً، في الحفاظ على الهوية الفلسطينية من خلال تميزها عن بقية الأحزاب القومية وغيرها، ارتباطاً ببرنامج عمل الحركة، الذي جمع منذ البداية وبشكل واضح بين البعدين القومي والفلسطيني، في إطار علاقة الخاص الوطني بالقومي العربي.

وفي إطار بلورة الهوية الفلسطينية الكفاحية كان قرار جورج حبش الحازم، عندما استقر في أواخر عام 1951 في عمان، باتباع أسلوب العنف المسلح ضد (إسرائيل)، ومن هنا شرع ولا سيما بعد التحاق الدكتور وديع حداد به عام 1952 بتأسيس أول نواة فدائية، قام بتسريبها إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948، إلا أن قوات غلوب باشا تمكنت في حينه من وضع العراقيل أمام دخولها للأراضي المحتلة.

وما إن نجح جورج حبش ورفاقه في الحركة في إقامة حلقاتهم السرية الأولى عام 1951 حتى انصرفوا مباشرةً لمعالجة القضية الفلسطينية، ومن ثم أعلنوا في العام 1952 عن قيام منظمتهم هذه تحت اسم «هيئة مقاومة الصلح مع (إسرائيل)»، التي أصدرت نشرة أسبوعية اسمها «الثأر» وكما تشير هاتان التسميتان، فإن درجة انشغال الحركة بالهموم الفلسطينية كانت على قدر كبير من الوضوح والتركز»(1)

تشكيل إقليم فلسطين في إطار حركة القوميين العرب

لقد عمل جورج حبش ورفاقه في الحركة (حركة القوميين العرب) على تشكيل أطر فلسطينية بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة، إلا أنها شكلتها في إطار فهمها القومي العربي للقضية الفلسطينية، الذي يتلخص بعنوان «الوحدة هي طريق تحرير فلسطين»، فلجأت إلى تشكيل لجنة من كل من: الدكتور جورج حبش والدكتور وديع حداد، وأسامة النقيب (من فلسطينيي سورية)، أحمد اليماني، وعبد الكريم حمد (من فلسطينيي لبنان)، زاهي قمحاوي (من فلسطينيي الأردن).

لقد اعتبر الدكتور جورج حبش تشكيل هذه اللجنة، استجابة لواقع جديد، أكثر منها نزعة مسبقة لإقامة تنظيم قطري فلسطيني، وكانت (الحركة) مضطرة لتشكيل هذه اللجنة وتفعيل عملها للقيام بدورها المطلوب، حتى تتمكن من الاتصال «بتشكيل الفدائيين الفلسطينيين» في جيش الإقليم الشمالي (الجيش السوري سابقاً) وبكلام آخر كانت «لجنة فلسطين» لجنة وليس تنظيماً (2)

ودفع جورج حبش لاحقاً مع بقية رفاقه في اللجنة، باتجاه تشكيل إقليم فلسطين عام 1964 في الحركة، وإنشاء تنظيم شباب الثأر والبدء في تخزين الأسلحة في المناطق المحتلة، للبدء في مزاولة الكفاح المسلح بالتنسيق مع جمال عبد الناصر وفق شعار «أعلى من الصفر وأقل من التوريط».

الجبهة الشعبية - البرنامج والنهج الأيديولوجي

وبعد هزيمة 1967، لعب د. حبش دوراً مركزياً ومؤسساً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي لعبت دوراً بارزاً ورئيساً في الكفاح المسلح، وفي العمليات الفدائية النوعية، وكان الحكيم حريصاً، أن تستند البندقية الفلسطينية إلى برنامج سياسي واضح، مستند إلى أيديولوجية الماركسية – اللينينية، وتبدى ذلك في التقرير السياسي والتنظيمي للجبهة (تقرير شباط): (الإستراتيجية السياسية والتنظيمية) عام 1969.

لم يغادر حبش منظوره القومي من خلال التزامه بالماركسية اللينينية، وهناك من رأى أنه منح الماركسية خصوصيتها القومية، ارتباطاً بالواقعين الوطني الفلسطيني والقومي العربي ومن هنا كان تأكيده دائماً، أن القضية الفلسطينية قضية قومية بامتياز، وأن تحرير فلسطين لن يتم بدون شرط البعد القومي.

كما أعطى الحكيم بعداً استثنائياً في التثقيف في الجانب الفكري، وكان في كل محطة من محطات الجبهة يطرح السؤال المتعلق بالمدى الذي قطعته الجبهة في التحول نحو الماركسية اللينينية، غير مكترث للطروحات المضللة والكيدية، حول استحالة تحول حزب ينتمي للبرجوازية الصغيرة إلى الماركسية اللينينية، ناهيك أنه حرص على طرح الفكر بأسلوب مبسط دون إغفال أبسط الأمور المتصلة، بالمادية الجدلية والمادية التاريخية وبشروط إدارة الصراع مع العدو الصهيوني، وعلى قاعدة الاستفادة من تجارب حركات التحرر الوطني التي استندت إلى ذات الأيديولوجية.

الحكيم صمام الأمان في مواجهة نهج التسوية

لقد كان الحكيم دور ضمير الثورة الفلسطينية ، ولم يهادن حيال أي منهج قد يضر باستمرار الثورة حتى تحقيق أهدافها ، لذا كان موقفه السياسي الرافض لبرنامج النقاط العشر الناجم عن دورة المجلس الوطني عام 1974، مثالاً يحتذى في النقاء الوطني المستند إلى إبداع نظري وسياسي في تلك الفترة، عكس حالة غير مسبوقة في قراءة الواقع الناجم عن حرب تشرين، عندما بين في أطروحته النظرية أن ميزان القوى الناجم عن حرب تشرين في ضوء القرار 242 ومع العامل السوفييتي لا يمكن أن ينجز سلطة وطنية بدون صلح أو مفاوضات أو اعتراف بالكيان الصهيوني... أو بدون حدود آمنة ومناطق مجردة من السلاح وقوات دولية ومن ثم فإن المفاوضات والاعتراف بـ (إسرائيل) خيانة وطنية». ورداً على طروحات الموقف من المرحلية والمساومات، قال الحكيم: «كلنا نعرف بطبيعة الحال على ضوء التجارب الثورية الكبرى في العالم، ثورة أكتوبر، ثورة الصين، الثورة الفيتنامية.. كلنا نعرف أن موضوع المرحلية موضوع وارد وعلمي، وموضوع مشروع».

وأضاف: (وكلنا نعرف عبارات لينين وتأكيداته، حول اضطرار أي ثورة لموضوع اسمه المساومات والتراجعات، والتراجعات والمساومات بين وقت وآخر، لكن وكما يقول لينين: «إن هذا الموضوع لا يؤخذ بشكل مجرد»... هنالك فارق بين مساومة ومساومة، وبالتالي كل موضوع يجب أن يؤخذ بشكل ملموس، وبالتالي هنا الإجابة النظرية شيء والإجابة النظرية في حيز التطبيق شيء آخر، وبالتالي من الضروري أن نفهم بعضنا البعض.. ومن ثم ليس من الضروري، إذا رفضت مساومة معينة، أو كان هناك تخوف مشروع جداً من فهم لمرحلة معينة، أو نتائج مرحلة معينة، أن يتهم هذا الموقف بموضوع التفكير المثالي والتفكير الرومانتيكي... أبداً لا يجوز أن يحاكم هذا الموضوع، من خلال أن نأخذ هذه القوانين الثورية وهي أن المرحلية تجوز، والمساومة تجوز، وأن نطبقها على الواقع الذي نحن بصدده في فترة محددة بشكل ملموس»(3)

قضية الوحدة وضوابطها في نهج الحكيم

وبمقدار حرصه على إستراتيجية الثورة وهدف التحرير، كان حرصه الشديد على الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية، المستند إلى برنامج الإجماع الوطني، من هنا كان قبوله بجل جبهة الرفض للحلول الاستسلامية، بعد زيارة السادات للقدس عام 1977 وتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد عام 1978، عبر وثيقة طرابلس الوحدوية عام 1978، التي توافقت الفصائل الفلسطينية فيها، على رفض القرار 242 وعلى النضال من أجل إقامة جبهة تقدمية عربية مناهضة لجميع الحلول الاستسلامية الإمبريالية الصهيونية الرجعية وأدواتها العربية في المنطقة (4)

وعلى امتداد الفترة اللاحقة بعد العدوان الصهيوني على لبنان عام 1982 وخروج المقاومة من بيروت والجنوب، تصدى الحكيم بجرأة لاندلاق القيادة المتنفذة للمنظمة على التسوية المطروحة من قبل النظام السعودي والإدارة الأمريكية (مشروعا فاس وريجان) وبذل جهداً كبيراً لمنع الجسر بين المشروعين السالفين في دورة المجلس الوطني رقم (16)(5). ولعب دوراً مركزياً في صياغة اتفاق عدن-الجزائر عام 1983 لاستعادة المنظمة لخطها الوطني، بعد أن أقدم عرفات على زيارة القاهرة بعد الاقتتال الفلسطيني في طرابلس ولقائه مع نظام كامب ديفيد.

كما قاد د. جورج حبش، جبهة رفض جديدة « جبهة الإنقاذ» بعد الدورة (17) للمجلس الوطني الفلسطيني وما نجم عنها من تغيير خارطة تحالفات المنظمة، وتوقيع اتفاق عمان في 11 شباط 1985، معلناً في وثيقتها التأسيسية: «أنها تقدم مشروعاً للوحدة الوطنية ، يهدف إلى استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية، على أساس معاد للإمبريالية والصهيونية والمشاريع الاستسلامية، استشعاراً منها لأهمية الوحدة الوطنية في مرحلة التحرر الوطني كشرط أساسي لانتصار الثورة وتحقيق أهداف الشعب الفلسطيني، وأن الجبهة ليست بديلاً للمنظمة.,, التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية- الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني- وببرنامجها الوطني السياسي والتنظيمي، وعلى قاعدة الالتزام بالميثاق الوطني، وقرارات المجلس الوطني في دوراته الشرعية، التي تحمي خطها الوطني ومنجزاتها ، وتعزيز العمل الجبهوي في إطارها، ومقاومة جميع الصيغ البديلة التي تنتقص من وحدانية التمثيل لشعبنا سواءً بالإنابة أو التفويض أو المشاركة أو الإلحاق... والنضال لإسقاط اتفاق عمان وما نتج عنه، باعتباره غير شرعي، ولا يمثل إرادة الشعب الفلسطيني، وغير ملزم لمنظمة التحرير الفلسطينية، واعتبار كل من يوافق عليه أو يقبل به خارجاً على الموقف الوطني(6)

وعندما وافقت قيادة فتح على وقف العمل باتفاق عمان وعلى إعطاء المجلس المركزي صلاحيات تقريرية في اتفاقي

الجزائر وطرابلس، انسحبت الجبهة الشعبية من جبهة الإنقاذ، وشاركت في الدورة التوحيدية للمجلس الوطني (الدورة 17) التي انطوت على برنامج سياسي وطني، وضع حداً للمواقف والقرارات الناجمة عن الدورة السابقة للمجلس الوطني.

الحكيم والرفض الصارم لاتفاقيات أوسلو

وفي الدورة (19) للمجلس الوطني « دورة الانتفاضة 1988، خاضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نضالاً شاقاً لمنع الاستثمار المبكر للانتفاضة، بعد أن أدرك الحكيم أنه في حال منح الانتفاضة وقتها المطلوب «فإنها ستكون قادرة على نقل الحقوق الوطنية المشروعة من دائرة الإمكانية التاريخية إلى حيز الإمكانية الواقعية».

ويسجل الحكيم في مذكراته: « في اجتماع المجلس الوطني عام 1988، تم اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالقرارين 242، 338، وكان موضوع الاعتراف بالنسبة إلى الجبهة موضوعاً كبيراً وخطيراً، بحيث كان من المفترض أن تنسحب الجبهة من اللجنة التنفيذية، لكن نظراً إلى الوضع العام، وبخاصة في ضوء استمرار الانتفاضة في فلسطين، وجدت الجبهة أن تكتفي بالتحفظ على القرار دون انسحابها من اللجنة التنفيذية، حفاظاً منها على الوحدة الوطنية، وحرصاً منها على استمرار الانتفاضة» (7)

وفي المراحل اللاحقة بعد الحرب العدوانية على العراق عام 1991، سجل الحكيم موقفاً قومياً لصالح العراق، رغم الخلافات السابقة مع نظام الرئيس صدام حسين قائلاً: «عندما تصبح القوات الأمريكية في المنطقة لمحاربة العراق، فلن نكون إلا في خندق العراق». وبعد مؤتمر مدريد1991 واتفاقيات أوسلو (1993) التي جاءت لاستثمار ما آلت إليه الأمور في العراق وانهيار الاتحاد السوفياتي.

لقد لعبت الجبهة الشعبية بقيادة الحكيم، دوراً أساسياً في رفض هذه الاتفاقيات والتصدي لها ولآثارها المدمرة، ورفض الحكيم العودة تحت مظلتها، مصراً على موقفه المبدئي رافضاً التسوية القائمة على التفاوض مع الاحتلال، والتي وصفها بأنها «خائنة وكاذبة» ولم تخدم القضية.

يقول الحكيم في كتاب» الثوريون لا يموتون أبداً» في إطار حوار موسع أجراه معه «جورج مالبرينو» : لقد شجبنا تلك الاتفاقيات من حيث المبدأ، وكانت معارضة الجبهة الشعبية صارمة لها، فهي لم تقدم الحد الأدنى مما كان يطالب به الفلسطينيون، ففي حين كنا نرمي بكل ثقلنا بعد ست سنوات من انطلاق الانتفاضة، لم نحصل إلا بعض الفتات على المستوى السياسي، كانت أوسلو مثالاً للجبل الذي تمخض فولد فأراً مشيراً إلى أن الاتفاقيات اللاحقة والمشتقة من أوسلو كانت في غاية الخطورة، منوهاً باتفاق الخليل 1997 الذي سمح للعدو بالاستيطان في المدينة. (8)

وشاركت الجبهة الشعبية بفاعلية في الكفاح المسلح وفي انتفاضة الأقصى، حين دعا الحكيم « إلى دعم الانتفاضة بالنار رداً على استخدام العدو الصهيوني القوة المفرطة ضد جماهير الانتفاضة.

يسجل للحكيم؛ أنه ولأول مرة في تاريخ الثورة الفلسطينية منذ عام 1967، يقدم أمين عام تنظيم على تقديم استقالته، فقد تخلى عن منصبه كأمين عام للجبهة في العام 2000 وقال عن سبب تخليه «إنه جاء من منطلق الديمقراطية إيماناً مني بإفساح المجال لقادة غرسوا في النضال، وقناعة مني بأن الجبهة الشعبية لديها القدرة على خلق القيادات».

فرادة الحكيم في نهجه ونقائه الثوري

- إن بوصلته لم تخطئ، هكذا كان الحال، عندما تماثل وتحالف والحركة التي كان على رأسها، مع الخط القومي المبدئي، لخالد الذكر جمال عبد الناصر.

- ما يميزه، عن غيره، من القادة، وضوح الرؤيا، والنهج السياسي الصائب، المستند إلى تشخيص دقيق، لمعسكري الأصدقاء والأعداء، وامتلاك، القدرة على إدارة الصراع والحسم في التفريق، بين التناقض الرئيسي والثانوي، وإخضاع الأخير لمصلحة الأول.

- ما يميزه عن غيره، أن قضية الوحدة الوطنية، لم تكن بالنسبة له، مسألة تكتيكية عابرة بل كانت هاجساً رئيسياً له، ولرفاقه في الجبهة، وأن الدم والاقتتال الفلسطيني خط أحمر.

- ما يميزه، أنه أكد وعبر مدرسة الجبهة الشعبية، على البعدين الوطني والطبقي في معركة التحرر الوطني، وعلى طبيعة التحالفات بالاستناد إلى المنهج العلمي، والمادي الجدلي في إطار الاسترشاد بأيديولوجيا الاشتراكية العلمية، ورفضه الجذري والحاسم، للحلول التصفوية الاستسلامية للقضية الفلسطينية ولكل معاهدات التسوية مع العدو الصهيوني.

- ما يميزه نقاؤه الثوري، وقربه من الجماهير، واندغامه بها، ونظافة كفك ويده ولسانه.

لقد كان الحكيم قائداً وطنياً وقومياً وأممياً بامتياز.

ولكل ما تقدم من مزايا، استحق الحكيم بجدارة، أن يكون حكيم الثورة وضميرها، ورمزاً رائداً، من رموز حركة التحرر العربية.

المراجع:

-1 انظر عيسى الشعيبي، الكيانية الفلسطينية- الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي، -1947 1977، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ص56.

-2 محمد جمال باروت، عرض وتلخيص دائرة الثقافة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص34.

-3 انظر مداخلة د. جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ندوة المقاومة الفلسطينية أمام التحديات الجديدة، التي أدارها محمود درويش، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 30، ص 15-31 – فبراير- شباط1974.

-4 وثيقة الوحدة الوطنية في طرابلس في 4 ديسمبر 1977

-5 عليان عليان، قراءة في ظروف انعقاد وقرارات الدورة 16 للمجلس الوطني الفلسطيني - تحليل مضمون بعض القرارات-، جريدة الخليج، (الحلقة الثانية) عدد 1452، 2 أبريل- نيسان 1983.

-6 نص الوثيقة التأسيسية لجبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني عام 1985.

-7 مذكرات جورج حبش ، صفحات من مسيرتي النضالية ، تقديم وتحرير سيف دعنا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 307 ، 2019

-8 جورج حبش ، الثوريون لا يموتون أبداً حوار جورج مالبرنيو ، دار الساقي، ص 252 ، ط 2 ، 2011

ترجمة

رصد

ترجمة: نور نوارة

بين حديث التهدئة وواقع الخيام: شتاء قاسٍ يطحن نازحي غزة

وكالة رويترز ـ 2026/1/6

تقول الأمم المتحدة إن زيادة المساعدات الإنسانية إلى غزة ما زالت مقيدة، في وقت يتفاقم فيه الضغط على الخدمات الأساسية بسبب التهجير الواسع. وقال مسؤولون إن القصف لم يتوقف فعليًا رغم الحديث عن وقف إطلاق النار، وإن إعادة البناء ما تزال «حديثًا فارغًا» بينما العائلات النازحة تستمر في تحمل المعاناة اليومية. تعرضت مخيمات النازحين في غزة لعواصف شتوية قاسية تشمل أمطار غزيرة ورياح شديدة أدت إلى تدمير آلاف الخيام وتهديد حياة الأطفال وكبار السن في ظل نقص شديد في المأوى والمياه النظيفة والخدمات الصحية.

مجلس السلام وتأثيره الدولي على العلاقات الأوروبية - الأميركية

وكالة أسوشييتد برس ـ 2026/1/20

في خضم دافوس والسياسات الخارجية الأميركية، أثارت مبادرة "مجلس السلام" المعلنة لإعادة إعمار غزة ونزع السلاح جدلاً دوليًا بينما تحذّر دول أوروبية من أن السياسات الأمريكية الأوسع (بما في ذلك ملف غرينلاند) تعقّد الدعم الدولي المطلوب لإنجاح أي خطة سلام، مما يضع مستقبل المجلس على مفترق صعب.

غرينلاند تشعل توتر دافوس

وول ستريت جورنال ـ 2026/1/22

في منتدى دافوس في يناير 2026، أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عن "إطار اتفاق" يتعلق بغرينلاند مع الأمين العام لحلف الناتو، وتراجع عن تهديده بفرض رسوم جمركية على بعض الدول الأوروبية، لكنه شدد على الحاجة إلى تعزيز الأمن في القطب الشمالي. الدنمارك أكدت أن سيادة غرينلاند خط أحمر، بينما الاتحاد الأوروبي بدأ يستعد لحزمة لتعزيز الأمن في المنطقة ونفى إمكانية التنازل عن سيادة الجزيرة.

فنزويلا بعد مادورو: عملية أمريكية مثيرة للجدل

الغارديان ـ 2026/1/3

في يناير 2026، نفذت الولايات المتحدة عملية عسكرية في فنزويلا أدت إلى اعتقال الرئيس نيكولاس مادورو، ونقلته إلى الولايات المتحدة لعرضه أمام محكمة بتهم منها الاتجار بالمخدرات والارهاب المرتبط بالمخدرات. العملية أثارت صدمة واسعة واستنكارًا دوليًا باعتبارها اختراقًا للقانون الدولي ومبادئ السيادة. فيما أوضحت مصادر للغارديان أن ديلسي رودريغيز، رئيسة فنزويلا بالإنابة، كانت على اتصال مسبق مع الولايات المتحدة لتنسيق العملية ومنع الفوضى بعد خروج مادورو.

هل ستُحل أزمة «تيك توك» في أمريكا

وكالة رويترز ـ 2026/1/15

توصلت شركة بايت دانس، المالكة لتطبيق TikTok، إلى اتفاق لتأسيس مشروع مشترك مملوك بأغلبية أميركية (TikTok USDS Joint Venture LLC) يسمح باستمرار عمل التطبيق في السوق الأميركي وتجنّب الحظر الشامل على خلفية مخاوف تتعلق بأمن البيانات. سيترك هذا المشروع التحكم في بيانات المستخدمين والخوارزميات في أيدي جهات أميركية وفق شروط حماية البيانات والسيبرانية، ما ينهي نزاعًا قانونيًا وسياسيًا طال لأعوام.

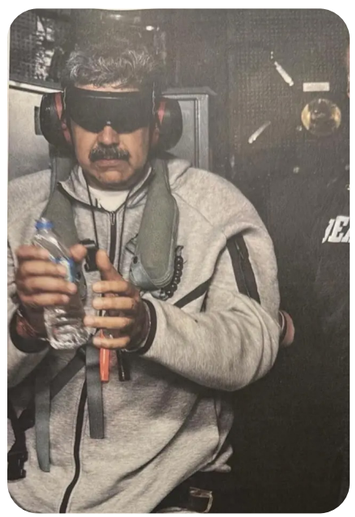

حوار الهدف الثقافي

د. عصام الكوسى

ابن مخيم اليرموك: قصة كفاح ونجاح

حـوار:

وفاء حميد - صحفية فلسطينية ـ سورية

يقول المتنبي على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وهذا هو حال المثقف الفلسطيني، يجتهد لإثبات هويته ويحفر بالصخر الصلد غيرَ آبهٍ بالمخاطر، يقف في وجه التحديات العاصفة؛ لأن الهدف والعقيدة هما دَأْبُه حتى يصل إلى مبتغاه...
ومن الكتّاب الذين تحدّوا العقبات الكأداء ليصبح أحد نجوم الثقافة في مخيم اليرموك عاصمة الشتات، وليكون منارة علمية وثقافية مؤثرة في المشهد الثقافي العام في سورية، الكاتب والباحث د. عصام الكوسى الذي كان معه هذا الحوار الكاشف لبعض المحطات التي مرّ بها:

■ د. عصام، لقد كبرتُ على فاجعة فقدان والدك وأنت في ريعان شبابك، والشاب البكر في عائلته عادة ما يجد صعوبة في متابعة دراسته بسبب اضطراره لإعالة أسرته، أو يذهب إلى اتجاه آخر في حياته. ما الدافع الذي جعل الدكتور عصام يتابع دراسته وبتفوق أيضًا في وقت حرج كالذي مررتَ به؟

رحيل والدي لم يكن نهاية الطريق، بل بدايته القاسية. ولحظة فاصلة في حياتي، زرع في داخلي شعورًا بالمسؤولية لا بالانكسار. أدركت أن العلم ليس ترفًا، بل وسيلة للنجاة كنت أؤمن بأن الاستمرار في الدراسة هو شكل من أشكال المقاومة، وأن التفوق رسالة أوجهها لروحه، ولأسرتي، ولنفسي... وكلما دهمني الفتور وتراخت همتي عادت إلى ذاكرتي مقولة أبي التي كان يرددها دائمًا: (ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر).

■ أكملت دراستك العليا ولم تقف عند حدود الوضع الذي فرضه عليك الواقع الاجتماعي، وأصبحت كتبك تدرَّس في الجامعات، ووصلت إلى المرحلة التي أنت عليها الآن. كيف وصل الدكتور عصام إلى هذا الطريق بتميز؟ ولماذا اخترت قسم اللغة العربية رغم أنك أردت دخول كلية الهندسة الميكانيكية؟ وما النهج الذي خطوته حتى وصلت إلى ما أنت عليه؟

التميّز لم يكن وليد لحظة، بل نتيجة صبر طويل وانضباط والتصاق حقيقي بالعلم. أما اختياري للغة العربية، فعلى الرغم من أن رغبتي الأولى هي دراسة الهندسة، لكن ضيق ذات اليد حرمني إياها، فوجدت نفسي منجذبًا إلى اللغة العربية بوصفها هوية وفكرًا وذاكرة، ولاسيما أن لي محاولات شعرية، فشعرت أنني أستطيع أن أخدم بها أكثر، وأن أترك أثرًا علميًا ومعرفيًا أوسع، فاخترتها عن قناعة لا عن اضطرار.

■ من هو الدكتور عصام الكوسى بعيدًا عن المسيرة الأكاديمية؟

أنا إنسان أحاول ألّا أخون بساطتي، وأؤمن بأن القرب من الناس هو أعلى مراتب المعرفة، وأن التواضع والصدق أساس أي حضور حقيقي. وأرى أن الكلمة الصادقة أهم من أي لقب، وبأن الأخلاق هي السيرة الذاتية الحقيقية للإنسان.

أما على الصعيد الشخصي، فأنا متزوج وأب لخمسة أبناء، اختار كلٌّ منهم طريقه في الحياة وفق قناعته: فابنتي الكبرى إعلامية تعمل في وكالة رويتر، والابنتان الأخريان طبيبتان بشريتان، وولدي الكبير صيدلي، وآخر العنقود يدرس في كلية الهندسة المعمارية.

ولا أنسى الدور الكبير لزوجتي في هذه النجاحات، إذ كانت شريكة الدرب والسند الحقيقي، وركن الاستقرار الذي لا يُرى أثره في العناوين، لكنه حاضر في كل إنجاز.

■ د. عصام، نبتَ وعاش كل لحظات حياته في مخيم اليرموك، وعندما كان عملك في محافظة أخرى عشت متنقلاً بين المخيم وعملك خارجه، لكن السعادة كانت تغمرك كلما رجعت إليه بعد غياب طويل. ما شعورك عندما بدأت الحرب الظالمة على مخيم اليرموك؟

لم يكن الخبر عابرًا، كان كأن الذاكرة نفسها تتعرّض للقصف. المخيم ليس مكانًا نسكنه، بل زمنٌ يسكننا. شعرتُ بأن الطفولة تُستهدَف، وبأنّ البيوت التي حفظت أسماءنا تُهدَم من جديد. كان موقفي صمتًا مثقلًا بالألم، وإيمانًا عنيدًا بأن ما بُني بالوجع لا يسقط بسهولة...

■ هل تفكّر بالعودة إلى بيتك في مخيم اليرموك والإسهام في إعادة الإعمار؟

العودة حلم لا يغادرني، هي ليست قرارًا، بل هي يقين مؤجّل. الأرض التي غادرناها ما زالت تعرف أسماءنا وإن خرجنا منها فهي لا تخرج منا. وأؤمن أن الإعمار الحقيقي يبدأ بإعادة بناء الإنسان، وترميم الوعي، وحماية الذاكرة من النسيان. حين نعود، نعود لنعيد المعنى قبل أن نعيد الحجر. وإن كتب لي أن أعود فسيكون ذلك فعل مسؤولية قبل أن يكون حنينًا....

في ذكرى رحيله:

خالد أبو خالد..

فتى كنعان وشاعر المقاومة

أمينة عباس- صحفية سورية

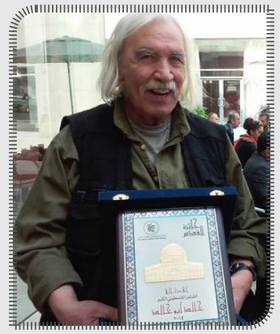

هو واحد من أهم شعراء القضية الفلسطينية والإنسانية وقد لقب بالشاعر المحارب وفتى كنعان وشاعر المقاومة وأحد فرسانها وظل قلبه ينبض حتى اللحظات الأخيرة حباً لفلسطين التي لم تغادره يوماً وبقي لأيامه الأخيرة يحثّ الفلسطينيين على عدم المساومة عليها أو التفريط بها، وهو الذي انخرط في العمل المقاوم والفدائي بعد نكسة حزيران 1967 حتى صار قائداً للثورة الفلسطينية شمال الأردن وحين أراد الكاتب الفرنسي جان جينيه الاطلاع على التجربة الفلسطينيّة التي اجتذبته توجه إلى قواعد الفدائيين للعيش معهم، وفيها التقى بالشاعر خالد أبو خالد في الأردن وهو يقود الفدائيين بروح الشاعر فأعجب بشخصيته وعبّر عن ذلك في كتابه «أسير عاشق» .

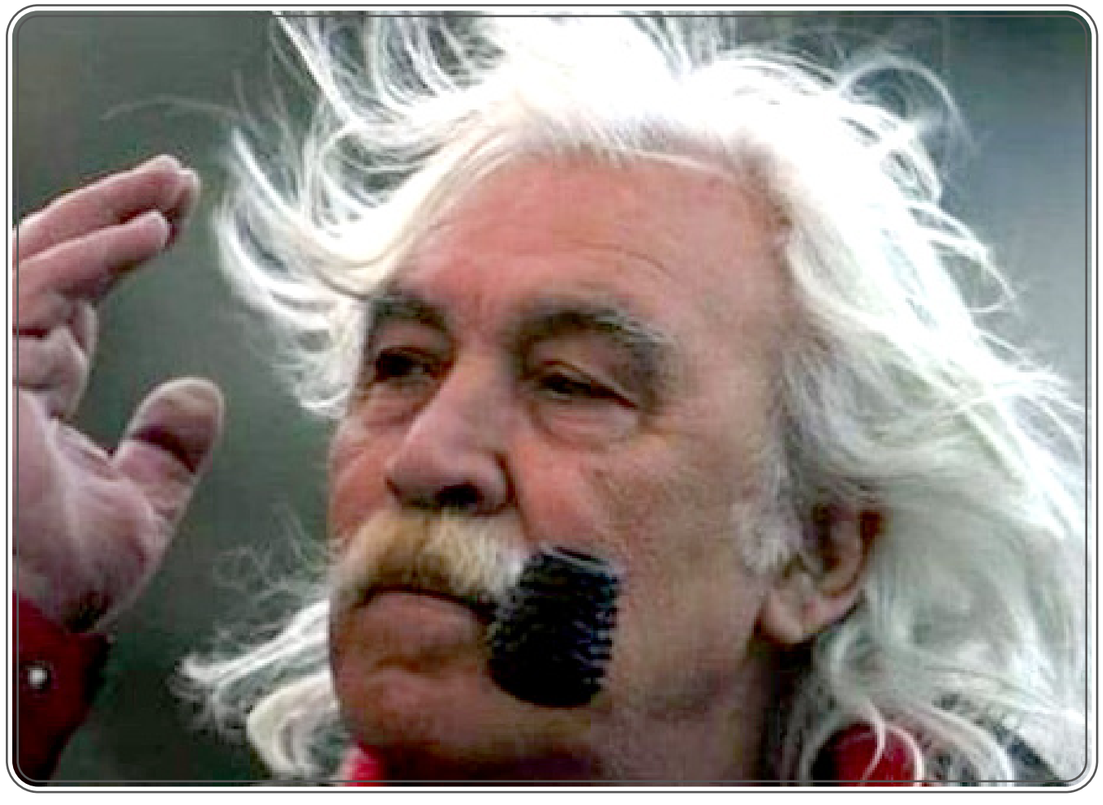

من المسرح الى الشعر

دخل أبو خالد بوابة الأدب من خلال المسرح، فكتب مسرحية بعنوان «فتحي» عام 1969 مكتفياً بها، إذ سرعان ما توجه إلى عالم الشعر، وقد أوضح كثيراً أن عدم تكراره لتجربة الكتابة للمسرح مردّه إلى أن المرحلة حينها فرضت ذلك، إضافة إلى صعوبة ترجمة الكتابة المسرحية لما يتطلبه المسرح من إمكانيات لا تتوفر إلا من خلال دعم الدولة له، لذلك وفي العام 1971 أصدر أولى مجموعاته الشعرية «قصائد منقوشة على مسلّة الأشرفية» ثم تتالت إصداراته لتبلغ 13 مجموعة على مدى أربعين عاماً جُمعت ضمن أعماله الكاملة تحت اسم «العوديسة» واتسمت قصائده برأي النقاد بميلها للحداثة والتجديد وارتباطها بالقضية الفلسطينية .

شاعر ملحميّ

حاول خالد أبو خالد أن يكون شاعراً ملحمياً لرغبته في قول كل شيء عن الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، ويبدو أن لحظةَ الموت التي كانت تقترب منه دائماً كانت تدفعه إلى قول كل شيء قبل أن يغيب، فاتسم شعرُه بالملحمية التي تحاول أن تقدم الصورة المركبة لتاريخ الشعب الفلسطيني ونضالاته وتطلعاته المستقبلية، ويُعدّ ديوانه «تغريبة خالد أبو خالد» مثال عن القصيدة الملحمية وقد صدر عام 1972 وفيه أعاد كتابةَ السيرة الشعبية العربية ووظفها بما يتناسب مع الراهن العربي والفلسطيني، وكانت تلك أول محاولة شعرية تستلهم التراث والموروث وتقدمه إيماناً من أبو خالد أن الصيغة الشعبية هي صيغة ملحمية بالأساس، مبيناً في أحد حواراته أن الشعر الملحمي في مرحلة هو غيره في مرحلة أخرى، حيث لا يمكن أن نطالب شاعراً عربياً أن يكتب اليوم ملحمة هوميروس بصيغتها الهوميرية ولكن يمكن أن نطلب إليه أن يسقط مواصفات ملحمية على قصيدته الراهنة بمقاييس الواقع المستمدة من القصيدة نفسها .

قضية إنسانية

حين اتهِمَت قصيدتُه بأنها مغلقة على فلسطين وليست مفتوحة على الإنسانية أشار أبو خالد إلى أن من اتهمه بذلك تجاهل أن قضية فلسطين هي قضية الظلم في العالم كله، حيث لم يقع ظلمٌ على شعب في التاريخ كالظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني، وهو ظلم تحسسه كافة أحرار العالم في كل مكان عندما قرأ قصائده لهم مترجمة : «لأنني عندما أغلق قصيدتي على فلسطين أغلق قصيدتي على قضية إنسانية شاملة وعادلة، وهي ليست قضية الشعب الفلسطيني والعربي فقط بل هي قضية أحرار العالم أينما وجدوا، وبالتالي هي قصيدة مفتوحة على هذا الأفق» .

شاعر مباشر ومقلّ

على الرغم من اتهام الشاعر المباشر بأنه شاعر لا يصوغ قصيدته فنياً بطريقة عالية لم يتردد أبو خالد في الاعتراف بأنه شاعر مباشر لأن هدفه كان دائماً الوصول إلى المتلقي، وقد استطاع أن يوظف المباشرة في القصيدة توظيفاً فنياً عالياً : «المباشرة في قصيدتي هي مباشرة ذات سوية فنية عالية» ولأنه لم يلهث وراء القصيدة كان شاعراً مقلاً ينتظر قصيدته لتأتيه فيكتبها وتكتبه، وكان يرى أن الشاعر المكثِر يخشى الغياب لهذا يكاد لا ينقطع عن كتابة القصائد، أما هو فلا يصرّ على استحضار قصيدة إلا إذا نادته لأنه شاعر لا يغريه الحضور اليومي في مجالات النشر بمقدار ما يحكمه من ضرورة تقديم الإضافة الشعرية ولقناعته أن تخطّي إغراءات النشر السهل والحضور اليومي ضروري من أجل إغناءِ الشاعر والشعر معاً : «الكتابة سهلة والنشر أسهل، والعلاقات العامة مدرسة لكل من يريد أن يكون شاعراً غير مهم» .

«زغردي يا ام الجدايل»

يُعد أبو خالد من جيل الشعراء الأوائل الذين أنشدوا وغنّوا للمقاومة، وكانت أول القصائد الغنائية التي كتبها «زغردي يا ام الجدايل» وكانت للتعبير عن رحلة النضال المتراكم للشعب الفلسطيني منذ العام 1920 مروراً بالنكبة والنكسة وانتفاضة الحجارة، وقد غنّت له فرقة الجذور في الانتفاضة الأولى 40 أغنية منها «سبّل عيونه، وزغردي، وهلي علينا يا بشايرنا هلي، وفلسطين مزيونة، والبطل نادوا عليه، وعالردى» وغيرها .

جائزة القدس

ولد الراحل في العام 1937 في قرية سيلة الظهر قضاء جنين في فلسطين وكان والده محمد صالح الحمد أحد المناضلين بوجه الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية واستشهد أثناء ثورة العام 1936 وعندما بدأت معارك فلسطين عام 1948 كان خالد أبو خالد في الحادية عشرة من العمر ورأى كيف يذهب المناضلون لخوض المعارك من أجل تحريرِ فلسطين وكيف يعودون شهداء أو جرحى، ولطالما حملَ بعضَ الذخائر الفارغة ليعطيها لهم كي يعيدوا تصنيعها وتعبئتها من جديد، وقد كانت قريته واحدة من بؤر الثورة الفلسطينية، ولعبت والدته التي رفضت مغادرة قريتها بعد النكبة دوراً مهماً في بداياته الشعرية، فهو كان ينام على تهاليلها ويسمع منها مناحات القرية التي كانت تحفظها والتي لها علاقة بالشهداء وودّاعهم وتأبينهم، كما تعلم من الشعراء الشعبيين في قريته والقرى المجاورة الأغاني مثلما تعلم الشعر والأناشيد من الشاعر عبد الرحيم محمود صاحب قصيدة سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى والذي كان مدرساً في كلية النجاح الوطنية في نابلس، حيث كان يدرس خالد ابو خالد، وهكذا عاش أبو خالد طفولته وشبابه في ظروف صعبة واضطر للعمل بمهن عديدة، وبعد أن حاز على الشهادة الثانوية عمل في الإذاعة والتلفزيون في الكويت كمذيع ومعدّ للبرامج، وكان حينها عرّابه صديقه ورفيق عمره الشاعر والمفكر ناجي علوش الذي كان أول من نشر كتاباته ورسومه في جريدة «الشعب» الكويتية، ومن ثم في مجلة «الآداب» وكان حينها أبو خالد في عمر الـ 26 إلى جانب قيامه مع مجموعة من الأصدقاء بتأسيس جريدة «الرسالة» في الكويت والمساهمة في تأسيس مسرح الخليج، وفي العام 1966 توجه خالد أبو خالد إلى دمشق وتابع عمله كمذيع ومعدّ للبرامج، ، كُرّم لمواقفه الوطنية وشعره من مؤتمر شباب الأحزاب العربية في دمشق ومن المكتبة الوطنية الجزائرية ومن مكتب منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم الإقليمي في بيروت عن مجموعاته الشعرية، كما نال جائزة القدس من الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، رحل في شهر كانون الأول من عام 2021.

تحديات الإبداع في عصر الذكاء الاصطناعي

باسمة حامد ـ كاتبة وباحثة سورية

بات الذكاء الاصطناعي فاعلاً رئيسياً ومحركاً أساسياً للعملية الإبداعية بقدراته التوليدية الفائقة وخصائصه الفريدة، ولن يكون التعامل معه مسألة اختيارية بل أصبح أمراً واقعاً لا مفرّ منه خصوصاً وأن العالم بدأ يتجه لإدماجه في كافة الجوانب المتعلقة بالأنشطة الإنسانية بما فيها الجوانب الفكرية والثقافية والفنية، فهل سيشكل الذكاء الاصطناعي بمهاراته الذكية تهميشاً للمبدع وتهديداً للإبداع البشري؟!

الإبداع في مرحلة مختلفة

مما لا شك فيه أن عملية الإبداع انتقلت إلى مرحلة تاريخية جديدة بما وفّرته الخوارزميات من إمكانيات وقدرات إبداعية تفوق الخيال في إشارة واضحة على التوازن المرعب بين العقل الإنساني والعقل الآلي!

ومع هذه التطورات يبدو أن الذكاء الإصطناعي سيعيد تشكيل المشهد الإبداعي على مستوى العالم في غضون السنوات القليلة القادمة، فالتقنيات المعلوماتية والتطبيقات والتصميمات المحوسبة، والتصوير الرقمي والبرمجيات المستحدثة حلّقت بالخيال الإبداعي عالياً وطورته ونظّمته وفتحت أمامه آفاقاً جديدة ومسارات إضافية ومساحات واسعة غير مألوفة خلّاقة وغير تقليدية.

أسئلة مشروعة

وضمن هذا الواقع المستجد والتفاعل المتصاعد بين الإنسان والتكنولوجيا ثمة أسئلة تفرض نفسها حول ماهية المنتج الإبداعي القادم الذي ستولده أدوات الذكاء الإصطناعي من قبيل: كيف سيتشكّل هذا المنتج؟ وما هي ملامحه؟ وماذا عن معاييره النقدية والأخلاقية والمهنية؟ وعلى أي أساس سيتم تقييمه؟

وفي هذا الإطار: كيف يمكن التمييز بين المبدع الحقيقي والمبدع المزيف الذي سيستفيد حتماً من الفرص الذهبية المتاحة له بفضل التقنيات الحديثة ليقتحم عالم الأدب أوالفن؟!

وإلى أي مدى يمكن لمبدع يمتلك موهبة حقيقية لكنه لا يجيد التعامل مع العالم الرقمي أن يصمد أمام هذه الموجة ويواجه تحدياتها ويحافظ على وجوده وبصمته الإبداعية؟!

ماذا عن دور المؤسسات الثقافية في حماية المواهب الفردية وصقلها وتطويرها لمنع جمود العقل الإبداعي والتفرّد الفني؟ وماذا عن القوانين الصارمة والضوابط المهنية والاخلاقية وحماية الملكية الفكرية؟ وكيف نحترم جهود المبدع الموهوب ودعمه لتخطي العقبات والعبور نحو المستقبل بشكل آمن من دون أن يفقد أصالته وشغفه؟!

في الواقع إن البحث عن إجابات لهذه التساؤلات يبدو معقداً ومتشابكاً جداً ضمن ما تقدمه التكنولوجيا الذكية المولّدة للمبدع من إضافات وابتكارات، واحتمالات لانهائية، وخيارات جمالية مدهشة لا سقف لها ولا حدود لتسهيل عمله وإتقانه وتجويده والارتقاء بمستوياته ضمن العملية الإبداعية وشروطها.

المبدعين في موقف صعب

وفي هذا السياق لا بدّ من الاعتراف بأن سطوة التكنولوجيا والانفجار المعرفي وضعت المبدعين حول العالم في موقف صعب خصوصاً وأن منهم من أخفق في مواكبة التسارع التكنولوجي واستثمار أدواته، في حين أن الكثير من مدّعي الإبداع وأنصاف الموهوبين يستغلون هذه الثغرة للولوج إلى عالم الشهرة والانتشار في محاولة لتبوأ مركز الصدارة في المشهد الإبداعي على مستوى: (الكتابة والتأليف، الفلسفة، الصحافة، التصميم، المسرح والدراما، الرواية، الشعر، الفنون التشكيلة.. إلخ).

ولا يملك المبدع اليوم ولا المؤسسات الثقافية رفاهية التغاضي عن هذه التطورات والتحولات الجذرية بالاختباء خلف فرضية «تفوّق العقل البشري على الآلة» أو مقولة: «العمل الجيد يفرض نفسه في النهاية»، فالذكاء الاصطناعي قلّص الفجوة بين المبدعين المحترفين وبين الهواة، والتحديات أصبحت كبيرة والتنافس على أشدّه، والخطورة لا تكمن في توظيف أدواته والاستفادة منها بل في الاعتماد المفرط عليه كشريك في التفكير والنقد والإنجاز.

والذكاء الاصطناعي بتطوراته المذهلة لا يمكنه التفوق على جودة التجربة الإنسانية بعمقها وصدقها، لأن ما ينتجه يستند إلى بيانات رياضية وتعليمات جاهزة تفتقر في مضمونها إلى التلقائية والعفوية والشغف والشفافية والحرية والأصالة وروح الابتكار التي يتميز بها الفنان أو الكاتب أو الرسام أو الشاعر، وهذا التميز بحد ذاته يُعتبر أحد أهم نقاط الضعف لدى أنظمة الذكاء الاصطناعي بينما يُعد أحد أهم نقاط القوة عند المبدعين.

الإبداع فعل إنساني

إن عملية الإبداع تنطلق أولاً من الذات الإنسانية وتعتمد على المكنونات الداخلية ومهارات الشخصية المبدعة وبصمتها الخاصة ولمساتها وانطباعاتها، والعامل الجوهري في تكوين وخلق أي منتج إبداعي هو ثنائية (الفكر والقلب) وليست المؤثرات الخارجية أو المصطنعة، وفعل الإبداع هو ممارسة وجدانية وصناعة جمالية إنسانية بالدرجة الأولى، حيث أن المشاعر والأحاسيس وفلسفة المبدع وعقله وخياله هي ركيزة الموهبة ومفاتيحها الملهمة، والأفكار الإبداعية تتدفق وتتشكل وتتطور وتزدهر وتنمو وتتقدم تلقائياً أثناء عملية الإبداع وهذه ميزة لا توفرها روبوتات الذكاء الإصطناعي مهما بلغت من التقدم التقني، وهي ميزة يستند عليها أي مبدع حقيقي وبها يضمن نجاحه وتميزه كونه ينطلق من تجارب حيّة ومجسّدة ومشاعر واعية، وهي عناصر تشكّل بمجملها بصمة خاصة يعجز الذكاء الإصطناعي عن تقليدها أو الوصول إليها أو الغوص فيها لأنها تتطلب تفاعلاً حيوياً حاضراً وهو ما تعجز عنه البيانات التقنية.

والقراءة المتأنية لهذه المرحلة تُظهِر بوضوح ضرورة الانتباه إلى أن هناك شركات عالمية عملاقة تسوّق لهذه الأفكار (سيادة الآلة، أنسنة التقنية) وتسعى للتطبيع معها بهدف استثمارها مالياً.. إذاً لا يجب القلق من الذكاء الاصطناعي وتقنياته المولّدة على عملية الإبداع رغم حضوره المتزايد في تفاصيل الحياة اليومية، فهو لا يمكنه أن يكون ندّاً للإنسان بأي حال من الأحوال، وذلك بالنظر إلى محدودية دوره ومستوى وعيه المنخفض كآلة مدرّبة تعتمد في ما تنتجه على سياسات منحازة، وتتغذى على قواعد وبيانات ومعلومات معدّة مسبقاً وليست آنية وهي عرضة للخطأ وليست بمنأى عنه أبداً، والإبداع البشري لا يفنى ولا ينتهي ولا يُهزم مهما تغوّلت التقنية وهذا ما أثبتته التجربة الإنسانية على مرّ العصور.

تجليات الداخل والخارج في الكينونة البشرية

محمود علي السعيد
شاعر من فلسطين ـ سورية

كل سهام الانفجارات تتجه نحو الخارج، تفتش عن صيدها الباهظ، من فاكهة بيت عتيق، ؟؟؟ ؟؟، رنين صوت موسيقي متهالك، هضبة من ركام جليد قطبي الجبلة مفردات مستلزمات الحواس بعبقها الصلصالى المجسر، تقتات من الضجيج، وتقيم على أود النفس، المادة هي المادة، سيدة المرضى والموتى والبقية، سيراً على قدم السلب أو الإيجاب، الحضور أو الغياب، المحو أو الإثبات، الجسد هو الجسد، حلية قلامة غصن أحمق، شُذرة طوابق معمار ينطح السحاب بقرنيه، نطفة ريح مشاغبة، أو مضغة جرم بصعوبة تفات من مغنطة الجاذبية، حتى الألفاظ المنطوقة تتشيأ بقوام دوائر مادية غير منظورة تسبح في فضاء الكون، تنتظر اقتناص اللحظة، أما انفجار الذات في فلوات الذات، فهو انفجار داخلي يحلق على أجنحة الروح، يخترق طبقات العمق الغوري الشفاف كطيف الإضاءة، لا أعمار مقروءة لمسيرة الخطوة، لا تاريخ متسلسل الدرجات لشيفرة الوراثة، أو جغرافية ممسوكة التضاريس، لا أعداد ولا أرقام يجدولها حاسوب المسافة، ولا مكعبات ترصفها أصابع الزمن، الوقت اقتراض مفتوح الجبهات على المطلق، والجوهر الأمر الأنقى والأصرم، يمسك بمقود البدء أو الإنتهاء، البدء الرعوي الطيب بسلوكات العفو والتجاوز والصفح، والمالي الأطيب بتوجهات الأمل الحلمي، البدء بهمسات أوكسجين الكينونة المجردة لرئة الطبيعة الفطرية المشخصة، أو الإنتهاء بألطاف مجسات النبض، وعمق الإنشراح الضوئي الصدري، وضباب تثليج الأنفس بالرضا الأكمل الصحي، الكمال منقوص المادة الليلية الظلامية، مكتمل الفيوض النورانية ما بين الإنفجارين الماثلين الخارجي والداخلي، الأفقي أو الشاقولي، انصهار مدنق، أو جحود آبق، غريزة تلح على البقاء الآني اللحظي، أو تحليق يخترق سديم الديمومة المطلقة، كتاب مفتوح يقرأ بلغتين دارجتين فقط، لغة تحضر لفظاً وتغيب مضموناً، وأخرى تحضر مضموناً وتغيب لفظاً، لغة تصفق ملء الضيق لحاسة الحاضر القشور، وأخرى تغتبط ملء السعة لشمائل الآتي الألباب، إختر بدون كوابيس شيطانية، أو كوابح مسطرية، أو أشراك برمجة مسبقة الصنع، بقمة انبجاس حرية روحك وجسدك ومنتهى ذوبان أناك في أناك، الكملة المحور والجذر، أو الهامش الصدى والغلاف.

شهداء الروح الأكاديمية في حرب الإبادة

د. ثائر يوسف عودة - ناقد وأستاذ جامعي من فلسطين ـ سورية

في حرب الإبادة الصهيونية الأخيرة على قطاع غزة، طال الاستهداف عقولاً نيّرة وأقلاماً حرة، من أساتذة جامعيين، وأكاديميين، ومفكرين، فكان استشهاد هؤلاء خسارة شخصية لذويهم، وخسارة مؤسسية لجامعاتهم ومراكزهم العلمية والبحثية على حدّ سواء، وفاجعة وطنية وثقافية تنزف منها الذاكرة الجماعية الفلسطينية، بالإضافة إلى استهداف البنى التحتية والمباني والأحلام، وحتى الكلمات وكلّ أشكال التعبير.

ومنذ السابع من أكتوبر، ارتكب الاحتلال الصهيوني عدواناً شاملاً على الحقل الأكاديمي الفلسطيني، ويشير تقرير الحملة الأكاديمية الدولية لمناهضة الاحتلال حول التدمير والقتل تجاه الحقل الأكاديمي الفلسطيني إلى ارتفاع عدد الشهداء الأكاديميين من باحثين ورؤساء جامعات ومحاضرين وعلماء إلى أكثر من (120) شهيداً وشهيدة. وضمن حرب الإبادة الممنهجة هذه على الثقافة الفلسطينية والمؤسسات الثقافية استهدف الاحتلال مقرات الجامعات الفلسطينية إذ تضررت (19) جامعة وكلية في كافة مناطق قطاع غزة بشكل جزئي وكامل، واستُهدفت الجامعات بشكل مباشر ودُمّرَ الكثير من مرافقها من قاعات الدروس والمكتبات والمختبرات خاصة في الجامعات الكبرى مثل: جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية وجامعة الأقصى وجامعة القدس المفتوحة. ودُمّرَت تدميراً كاملاً عشرات المباني لهذه الجامعات (أكثر من 80% منها)، ومنها مبانٍ حديثة جداً مزوّدة بأحدث التجهيزات والأنظمة التكنولوجية والإلكترونية، وتعذَّر على أكثر من (550) طالباً وطالبة الالتحاق بالمنح الدراسية في الخارج.

وهنالك أسباب عديدة تقف وراء استهداف قوات الاحتلال الصهيوني للحقل الأكاديمي الفلسطيني بشكل مقصود وممنهج، منها: تعطيل وإيقاف عملية إنتاج المعرفة الضرورية للتنمية المستدامة والتطوير، وتعطيل وإيقاف عملية إعادة إعمار قطاع غزة، حيث تناط عمليات إعادة الإعمار عادة بالباحثين والخبراء في الجامعات، بالإضافة إلى توسيع دائرة التهجير القسري للخبراء والباحثين من أجل تسهيل استقبال الدول الغربية لهؤلاء كمهاجرين خبراء تستفيد منهم تلك الدول؛ وبالتالي القضاء على نظرية التعلم كأداة للتحرر وإيقاف الجهود الوطنية الرامية إلى تطوير التعليم الأساسي والعالي في سبيل الوصول إلى كيانية مستقلة.

وفي محاولة التقصي عن بعض الأكاديميين الذين استُشهدوا على يد المجرم الصهيوني، قد يكون من الصعب الإحاطة بكل هؤلاء المنارات/ الخسارات في صفحات قليلة، إلا أنّ ما نقوم به هنا هو إعلان دعوة للأفراد والمؤسسات للحديث عنهم وتوثيق تداعيات فقدهم؛ كيلا يكونوا مجرد أرقام؛ فغزة بشهدائها، على اختلاف مواقعهم، ليست مجرد أرقام، وفي حكاية كلّ شهيد حكاية شعب وقصة مقاومة لا تموت ولن تتحول إلى إحصاء وذكرى.

منذ أن بدأت حرب الإبادة، تحوّلت غزة إلى ساحة رماد، لكن تحت الركام، بقيت الأفكار تردّد أصداءها، لتخبر العالم أن الاحتلال يقتل الإنسان الفلسطيني ويستهدف سرديّته وفكره وهويته الثقافية. وقبل أن نبدأ في سرد بعض الأسماء والرموز الأكاديمية، لا بد من التوقف عند تساؤل جوهري: لماذا يُقتل العلماء والأكاديميون؟ لماذا يُستهدف الكُتّاب والمفكرون والأدباء في كلّ حرب على غزة؟ ويمكن الإقرار بكل ثبات لأنهم حَمَلة الذاكرة والرواية، ولأن الاحتلال يعرف أن البندقية قد تسكت، لكن القصيدة تبقى. والصورة، والمقالة، والقصة، والبحث العلمي أخطر من قذيفة حين تُحفظ في ضمير العالم؛ لذلك، فإن قتل القلم الفلسطيني هو محاولة ممنهجة لاغتيال المستقبل، وقتل الفكرة قبل أن تولد؛ وبالتالي استهدف الاحتلال قادة المؤسسات العلمية الذين لم يكونوا مجرد إداريين وموظفين، وسنحاول أن نتوقف هنا عند أبرز هؤلاء القادة، على سبيل التمثيل لا الحصر:

د. سفيان تايه:

رئيس الجامعة الإسلامية، يحمل درجة الأستاذية في تخصص الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية، شارك في تطوير بيئة التعليم العالي في غزة، ودافع عن استقلالية الفكر الأكاديمي رغم الحصار والحروب المتكررة، وحاصل على جائزة عبد الحميد شومان للعلماء العرب الشبان والعديد من الجوائز العلمية الأخرى، وله إسهامات كبيرة في مجال الدراسات والأبحاث العلمية التي يتم نشرها سنوياً في مجلات علمية مرموقة. عُيّن خلال العام 2023 حاملاً لكرسي اليونسكو لعلوم الفيزياء الفلكية وعلوم الفضاء في فلسطين. اُستشهد د.سفيان (52) عاماً، هو وعائلته في مجزرة (الفالوجا) في جباليا في ديسمبر/ كانون الأول 2023، بعد أن اُستهدف مسكنه بضربة جوية مباشرة من الصهاينة.

د. سعيد الزبدة:

رئيس الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية في غزة، وُلد في حي الزيتون ودرس هندسة الاتصالات، ثم حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في هندسة الاتصالات الإلكترونية وهندسة الحاسوب من جامعة نوتنجهام بالمملكة المتحدة. عُيّن عقب تخرجه بالكلية الجامعية للعلوم التطبيقية، وتدرّج في المناصب بالكلية فتولى إدارة البرامج التنموية، ثم عُيّن رئيساً لحاضنة (يوكاس) التكنولوجية، قبل أن يُعلن مجلس أمناء الكلية تعيينه رئيساً جديداً للكلية الجامعية للعلوم التطبيقية. في 31 ديسمبر/ كانون الأول 2023 شنت القوات الصهيونية هجوماً جوياً على حي الزيتون وقصفت خلال الهجوم عدداً من المباني والمنازل، وكان من بينها منزل د. سعيد الذي قُتل مع عدد من أفراد أسرته.

د. جهاد سليمان المصري

مؤرخ فلسطيني ولد في رفح، حاصل على بكالوريوس التاريخ من جامعة اليرموك في الأردن عام 1987، وعلى درجة الماجستير والدكتوراه في تخصص التاريخ الإسلامي من جامعة آل البيت عام 1999. عمل مديراً في مركز التاريخ الشفوي بجامعة القدس المفتوحة في خان يونس والمساعد الأكاديمي والإداري لمدير جامعة القدس المفتوحة في رفح من عام 2003 حتى عام 2022، ثم نال منصب مدير الجامعة فرع خانيونس حتى استشهاده. ويُعدّ المصري مؤرخاً وأستاذاً جامعياً كان له أثر في الكثير من الأجيال، وله العديد من الأبحاث في التاريخ الإسلامي والشفوي الفلسطيني في مجلات عربية ودولية. استشهد د. جهاد (60) عاماً، في أكتوبر 2023، متأثراً بإصابته خلال قصف جوي للاحتلال الصهيوني على مدينة خانيونس ليلتحق بزوجته وابنته وحفيده.

د. تيسير إبراهيم

عميد كلية الشريعة والقانون في الجامعة الإسلامية منذ عام 2021 حتى تاريخ استشهاده 2023، وهو أحد أبرز الباحثين في الفقه والسياسة الشرعية، أسهم في تأهيل جيل واعٍ ومقاوم بالفكر، وكان من الركائز العلمية في الجامعة، نال درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية في غزة عام 1995، ودرجة الماجستير في الفقه وأصوله من الجامعة نفسها، ودرجة الدكتوراه في الفقه وأصوله من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا عام 2012، كما حصل على دبلوم التربية العام من الجامعة الإسلامية في غزة ودبلوم التربية الخاص من جامعة الأقصى. ونشر العديد من الأبحاث المحكمة، وقدم العديد من الأوراق العلمية في مؤتمرات علمية، بالإضافة إلى الإشراف على الرسائل الجامعية والمشاركة في الندوات العلمية، والمحاضرات واللقاءات المصورة التي تتناول الأحكام الشرعية في المسائل الفقهية المختلفة. استُشهد د. تيسير مع عدد من أفراد أسرته في غارة جوية صهيونية في أكتوبر/ تشرين الأول 2023.

د. محمود خليل أبو دف:

عميد كلية التربية في الجامعة الإسلامية، وأستاذ دكتور في أصول التربية، شغل منصب رئيس هيئة تحرير مجلة الجامعة للدراسات التربوية والنفسية، وصدر له العديد من المؤلفات الأكاديمية والأبحاث في المجال التربوي والنفسي منها: مقدمة في التربية الإسلامية. وأسهم في تأسيس فلسفة تربوية غزية متكاملة. قام طيران الاحتلال الصهيوني بقصف منزله في حي الزيتون في مدينة غزة دون سابق إنذار أو تحذير، ما أدى إلى استشهاده في الأول من ديسمبر/ كانون الأول 2023.

د. ختام يوسف الوصيفي:

عالمة فيزياء وباحثة، عملت أستاذاً لفيزياء الإلكترونيَّات البصريَّة في الجامعة الإسلامية بغزة، ونائباً لعميد كليَّة العلوم في الجامعة نفسها، وتُشير لها بعض المصادر بلقب «شيخة علماء الفيزياء»، كانت تمثّل روح البحث العلمي والتعليم في غزة، وكان لها دور محوري في تعليم آلاف الطلبة رغم الفقر والدمار. قصف طيران الإجرام الصهيوني منزل زوجها د. محمود أبو دف في حي الزيتون في مدينة غزة ما أدى إلى استشهاده واستشهادها في ديسمبر 2023.

د. إبراهيم الأسطل

باحث وأستاذ في مناهج وطرائق تدريس الرياضيات، تدرج بالمناصب في كلية التربية التابعة للجامعة الإسلاميَّة في غزة، فكان رئيساً لقسم المناهج وطرق التدريس، ثم نائباً للعميد، ثم عميداً لفرع الجنوب، وأخيراً عميداً للكلية منذ سبتمبر 2019. وشغل منصب رئيس تحرير «مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية»، كما نشر عدداً من الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية في مجلاتٍ محلية وعالمية. اغتيل هو وزوجته وبناته وعدد من أقاربه في أكتوبر/ تشرين الأول 2023 خلال ضربةٍ جوية نفذتها قوات الإجرام الصهيونية.

د. محمد شبير:

عالم أحياء دقيقة وسياسي فلسطيني، حاصل على درجة الدكتوراه في علم الأحياء الدقيقة من جامعة (وست فرجينيا) الأمريكية، عمل مُحاضراً بالجامعة الإسلاميَّة وتَدَرَّج في مناصبه فيها حتى عُيّن في منصب أستاذ مساعد ومشارك في كليَّة العلوم/ قسم التحاليل الطبية بالجامعة، ثمَّ رئيساً لقسم التحاليل الطبية وبعدها عميداً لكلية العلوم حتَّى تولَّى منصب رئاسة الجامعة في العام 1993. كان طبيباً ومفكراً بالإضافة إلى كونه من القامات الوطنية التي أسهمت في ترسيخ التعليم الجامعي في فلسطين، وقد أنجز خلال فترة رئاسته للجامعة أكثر من (15) بحثاً في مجال التَّحاليل الطبيَّة. ويُعدّ من أبرز الشخصيات الأكاديمية في فلسطين. نجا من محاولات الاغتيال الصهيوني في سنوات سابقة، لكنه استُشهد في حرب الإبادة الأخيرة في نوفمبر/ تشرين الثاني 2023 بضربة جوية على منزله في غزة.

د. أسامة نوفل:

مدير عام السياسات الاقتصادية والتخطيط في وزارة الاقتصاد، كان من أبرز الاقتصاديين في غزة، ركّزت أبحاثه على آثار الحصار والسياسات الاقتصادية للمقاومة، يُعدّ رحيله خسارة للوعي الاقتصادي الفلسطيني. استُشهد د. أسامة بمجزرة مواصي خانيونس التي استهدفتها الطائرات الصهيونية.

غيض من فيض:

إنّ فقدان كلّ اسم من تلك الأسماء الزاهرة لا يمثّل غياباً فردياً بقدر ما هو انهيار جزئي لمنظومة كاملة من الثقافة والمعرفة كانت تبني فلسطين الحلم وسط العتمة، ومعظم هؤلاء الشهداء درّسوا آلاف الطلبة، وأشرفوا على رسائل جامعية وأبحاث علمية، وكتبوا في المجلات الثقافية، وكانوا شهوداً على حروب متتالية حاولوا أن يكتبوا لها تأريخاً نزيهاً ومقاوماً. وفي مجتمع محاصر كغزة، يكون الأكاديمي والمثقف أكثر من مجرد أستاذ أو كاتب، إنه قائد رأي، ومرشد روحي، ومقاوم بالكلمة، وما استهدافهم إلا محاولة لإطفاء النور، وإسكات الصوت، وتعطيل الذاكرة. لكن ما لا يفهمه الاحتلال المجرم هو أن الكلمة، حين تُروى بالدم، تُزهر أكثر، وما كتبه هؤلاء المنارات سيظلّ في ذاكرة فلسطين، وسيبقى طلبتهم يحكون عنهم، وسيكتب جيل آخر عن جيل الأكاديميين الشهداء الذين لم تقتلهم الحرب بل خلّدهم التاريخ.

بناء السرد الإعلامي لليسار الفلسطيني: من « الطوفان» إلى الهدنة

رامي الحاج سعيد ـ إعلامي فلسطيني ـ سورية

على مدار العقود الماضية، شكّل اليسار الفلسطيني أحد الفاعلين الأساسيين في إنتاج الخطاب السياسي الفلسطيني، ليس بوصفه مجرد معبر عن موقف تنظيمي، بل كقوة قادرة على صياغة «إطار معنى» للصراع.

غير أن تجربة اليسار الفلسطيني في بناء الخطاب الإعلامي لم تكن خالية من الأزمات. فمع تحول طبيعة الصراع وتداخل أبعاده العسكرية والسياسية والإعلامية، واجهت الفصائل اليسارية تحدياً مزدوجاً: أولاً، ضرورة الحفاظ على الاستمرارية التاريخية لسرديتها الثورية، وثانياً، الحاجة إلى تجديد اللغة الإعلامية لتكون قادرة على مخاطبة جمهور داخلي متعب، وجمهور عالمي متغير، وميدان إعلامي يتسم بالسرعة والتشويش. وامام هذا التحدي لا بدّ من طرح العديد من الأسئلة ولكنا ربما أهمها هو كيف يمكن لليسار الفلسطيني أن يحافظ على هويته الثورية، دون أن يتحول خطابه إلى خطاب «أرشيفي» لا يقرأ الواقع، أو إلى خطاب «براغماتي» يفرّغ الثورة من معناها؟

تأتي تجربة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أعقاب السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023 كاختبار حاسم لهذا السؤال. فالجبهة، التي تمتلك تاريخاً ثورياً يمتد إلى عقود، لم تكتفِ بالتعامل مع الحدث بوصفه تطوراً ميدانياً، بل حاولت إعادة إنتاج سردية الصراع عبر خطاب إعلامي مركّب، يربط بين التفسير البنيوي للصراع، والانفتاح على جمهور عالمي عبر «التقاطعية النضالية»، وصولاً إلى تأطير هدنة 2025 ضمن منطق «البراغماتية الثورية».

هذا النجاح لا يخلو من إشكاليات فهل يمكن للخطاب أن يظل ثورياً ومرناً في آن واحد؟ وهل يمكنه أن يوازن بين الداخل الفلسطيني المتعب، والخارج الدولي الذي يفرض شروطه؟ وكيف يمكنه أن يحقق تجديداً دون أن يبتعد عن القاعدة الاجتماعية التي تشكل أساس شرعية المقاومة؟

أولاً: السردية بوصفها أداة اشتباك معرفي

في مقاربات تحليل الخطاب الإعلامي، لا يقتصر الفعل التحليلي على تفريغ المحتوى الظاهر للنصوص، أي ما يُقال حرفياً، بل ينصرف أساساً إلى تفكيك آليات القول، وبنية المفاهيم، وما يُفترض ضمناً دون تصريح. فالخطاب، في هذا المعنى، ليس انعكاساً مباشراً للحدث، بل هو حقل اشتباك معرفي تُصاغ داخله دلالات الوقائع، وتُحدَّد من خلاله حدود الفهم والتأويل.

من هذا المنطلق، تعاملت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مع أحداث السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023 بوصفها لحظة اختبار سردي بقدر ما هي لحظة صدام ميداني. لم يكن السؤال المركزي في خطابها: ماذا حدث؟ وإنما كيف ينبغي فهم ما حدث؟ وهنا تظهر نقطة الانطلاق المنهجية في خطاب الجبهة، القائمة على الفصل بين الحدث بوصفه واقعة عسكرية، والحدث بوصفه معنى سياسياً وتاريخياً.

في هذا السياق، شرعت الجبهة في إعادة تأطير الحدث بعيداً عن حمولة التسمية الدينية الرمزية، فعلى الرغم من شيوع توصيف العملية باسم «طوفان الأقصى»، بما يحمله المصطلح من دلالات دينية وتاريخية مرتبطة بالمقدّس، ذهب خطاب الجبهة إلى تحييد هذا البعد، دون إنكاره، لصالح قراءة تقوم على منطق الصراع الكولونيالي الاستيطاني وتناقضاته البنيوية.

ولم يكن هذا التحول مجرد تعديل لغوي، بل انتقالاً مفاهيمياً من تفسير الحدث بوصفه انفجاراً وجدانياً أو فعلاً دينياً، إلى تقديمه كـ»نتيجة تاريخية حتمية لتراكمات القمع والاستعمار والإقصاء السياسي».

يتجلى هذا المنحى بوضوح في البيانات الأولى للجبهة، التي استخدمت تعبيرات مثل "حتمية الصدام" و"انسداد الأفق السياسي"، وهي مفاهيم تنتمي إلى قاموس التحليل البنيوي للصراعات، لا إلى خطاب التعبئة الدينية.

ومن خلال هذه اللغة، سعت الجبهة إلى علمنة الفعل المقاوم، أي نقله من مجال التفسير الرمزي إلى مجال الصراع السياسي-الاجتماعي، دون نفي حضور الدين في الوعي الشعبي، ولكن مع إخراجه من موقع التفسير المركزي للحدث.

بهذا المعنى، جرى تفكيك الرمز الديني وإعادة تركيبه داخل سردية أوسع تتصل بتجارب حركات التحرر الوطني، ومقاومة الهيمنة، واستعادة السيادة. وقد أتاح هذا التحويل للخطاب الجبهوي أن يصبح قابلاً للتداول في سياقات معرفية متعددة، من اليسار العالمي، إلى الدوائر الأكاديمية، وصولاً إلى الحركات المناهضة للاستعمار والعنصرية.

ثانياً: من المحلية إلى العالمية: التقاطعية كاستراتيجية خطابية

ابتداءً من منتصف عام 2024، يمكن رصد تحوّل نوعي في خطاب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تحوّل لا يتعلق فقط بتغيير النبرة أو توسيع دائرة المخاطَبين، بل بإعادة تعريف الجمهور المستهدف ذاته. فبعد أن ظل الخطاب، تاريخياً، موجهاً بالدرجة الأولى إلى البيئة الفلسطينية والعربية القريبة – المخيم، القاعدة التنظيمية، أو دائرة التضامن الإقليمي – بدأ يتجه بوضوح نحو جمهور عابر للحدود، يتشكل من فاعلين أكاديميين ونقابيين وحركات اجتماعية في مراكز الإنتاج المعرفي والسياسي في الغرب.

فلم يعد الخطاب مقتصراً على مخاطبة الفلسطيني بوصفه صاحب قضية مباشرة، بل بات يخاطب الأكاديمي في الجامعات الأميركية، والنقابي في العواصم الأوروبية، والناشط الحقوقي في الفضاءات المدنية العالمية.

هذا التحول يمثل انتقالاً من خطاب مقاومة وطني إلى خطاب مقاومة كوني، دون أن يعني ذلك التخلي عن الخصوصية الفلسطينية، بل إعادة تقديمها ضمن أطر مفهومية عالمية.

الأداة المركزية في هذا التحول كانت تبنّي ما يمكن تسميته بـ « التقاطعية النضالية»، وهو مفهوم نشأ في الأدبيات النسوية والنقدية الغربية لوصف تداخل أنماط القمع (العرقي، الطبقي، الاستعماري)، ثم جرى توظيفه سياسياً من قبل حركات العدالة الاجتماعية.

في خطاب الجبهة، لم يُستخدم هذا المفهوم بوصفه إطاراً نظرياً مجرداً، بل كآلية خطاب تربط المعاناة الفلسطينية بمنظومات القمع العالمية، وبموجب هذه المقاربة، لم تعد القضية الفلسطينية تُقدَّم فقط باعتبارها صراعاً على أرض محتلة، بل باعتبارها نقطة التقاء بين أنماط متعددة من الهيمنة: الاستعمار الاستيطاني، الرأسمالية العسكرية، والعنصرية البنيوية. وهنا حدث انتقال واضح في لغة الخطاب: فبدلاً من التركيز الحصري على أعداد الشهداء والجرحى بوصفهم أرقاماً في سردية إنسانية تقليدية، جرى الحديث عن الجسد الفلسطيني كـ»جسد سياسي»، يتعرض لعنف منظم تمارسه منظومة عالمية، لا مجرد قوة احتلال محلية.

هذا التحول في الخطاب الإعلامي سمح بخلق جسر تواصلي بين السردية الفلسطينية ومشاريع نضالية أخرى، مثل حركات مناهضة العنصرية ضد السود في الولايات المتحدة، أو الحملات المناهضة للعسكرة والخصخصة في أوروبا.

تظهر هذه المقاربة بوضوح في الحملات الإعلامية والبيانات التي ركزت على ربط القضية الفلسطينية ببنية النظام الدولي، لا فقط بسلوك الاحتلال. فبدلاً من تقديم «إسرائيل» كفاعل معزول، جرى توصيفها بوصفها «ذراعاً متقدمة لمنظومة إمبريالية»، وهو توصيف ينسجم مع الخطاب اليساري العالمي، ويجعل من فلسطين جزءاً من صراع أوسع ضد الهيمنة، لا قضية استثنائية خارج السياق.

ثالثاً: الهدنة في 2025: من شبهة الهزيمة إلى براغماتية ثورية

مع توقيع هدنة شباط/فبراير 2025، دخل خطاب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واحدة من أكثر لحظاته حساسية منذ اندلاع المواجهة في تشرين الأول/أكتوبر 2023، فلم يكن التحدي سياسياً أو تنظيمياً فحسب، بل كان تحدياً سردياً بامتياز، فكيف يمكن إعادة تفسير الانتقال من الاشتباك المفتوح إلى التهدئة دون أن يُقرأ ذلك بوصفه تراجعاً، أو تسوية مفروضة، أو هزيمة مؤجلة؟ هذا السؤال لم يكن موجهاً إلى الخصوم فقط، بل إلى القاعدة الاجتماعية والسياسية التي تستمد الجبهة جزءاً أساسياً من شرعيتها منها.

في مواجهة هذا التحدي، بلورت الجبهة استجابة خطابية متماسكة تمحورت حول مفهوم «البراغماتية الثورية»، والمقصود بهذا المفهوم، كما يبدو واضحاً في البيانات والتحليلات الصادرة في تلك المرحلة، ليس التخلي عن المبادئ أو إعادة تعريف الهدف النهائي، بل إعادة ترتيب الوسائل والأولويات وفق قراءة واقعية لموازين القوى، وبما يحافظ على جوهر المشروع الوطني واستمراريته.

يمكن رصد تحول واضح في لغة الخطاب من مفردات الاشتباك الدائم إلى مفردات «الأولوية الوطنية» و»حماية الإنسان الفلسطيني»، ولم يعد الاستمرار في المواجهة العسكرية يُقدَّم كغاية بحد ذاته، بل كأداة من أدوات متعددة، تُستخدم حين تخدم الهدف، وتُعلَّق حين يهدد استمرارها بتآكل القاعدة الاجتماعية أو استنزاف القدرة على الصمود، وضمن هذا الإطار، جرى تقديم الهدنة لا كنقطة نهاية لمسار المواجهة، بل كمرحلة انتقالية في صراع ممتد.

ولعلّ أحد العناصر المركزية في هذا الخطاب كان الإصرار على توصيف الهدنة بوصفها «إنجازاً انتزع انتزاعاً»، لا نتيجة حسن نية من طرف الاحتلال أو المجتمع الدولي.

هذا التوصيف ليس تفصيلاً لغوياً، بل أداة

لإعادة توجيه المعنى: فالإنجاز هنا يُربط بالفعل السابق، أي بالصمود والمواجهة، وليس بالتهدئة ذاتها.

وبهذا، يُعاد وصل الفعل العسكري بالفعل السياسي في سلسلة واحدة، تمنع الفصل القيمي بين «القتال» و«التفاوض».

في هذا السياق، كثّف الخطاب استخدام مفاهيم مثل «حماية الحاضنة الشعبية»، وهي عبارة تحمل دلالات أعمق من بعدها التعبوي. فالحاضنة هنا لا تُفهم فقط كجمهور داعم، بل كشرط مادي وأخلاقي لاستمرار أي مشروع تحرري.

وبالتالي يمكننا القول بأنّ خطاب الجبهة في مرحلة الهدنة لم يسعَ إلى نفي التوتر أو التناقض الكامن في الانتقال من الحرب إلى التهدئة، بل إلى إدارته سردياً.

رابعاً: المآزق البنيوية في الخطاب الإعلامي لليسار الفلسطيني: مساءلة الفعالية والأثر

على الرغم من النجاح النسبي الذي حققه الخطاب الإعلامي لليسار الفلسطيني، والجبهة الشعبية نموذجاً، في إعادة إدراج القضية الفلسطينية داخل فضاءات التضامن والنقاش العالمي بين عامي 2023 و2025، إلا أن هذا النجاح لا يخلو من مآزق بنيوية تُلقي بظلالها على قدرة هذا الخطاب على التحول من سردية تحليلية مؤثرة إلى قوة تغيير جماهيرية واسعة، فبين الفعالية الرمزية والقدرة التعبوية، تظهر فجوات تستدعي قراءة نقدية متعددة المستويات.

1. الاغتراب السردي وفجوة الوعي

تتمثل الإشكالية الأولى في ما يمكن تسميته بـ«الاغتراب السردي» بين الخطاب اليساري وجزء من قاعدته الاجتماعية المفترضة. فمن جهة، يميل الخطاب الإعلامي اليساري إلى استخدام لغة تحليلية عالية التجريد، قائمة على مفاهيم مثل «الاستعمار الاستيطاني» و«التناقضات البنيوية للإمبريالية» و«علمنة الصراع». ومن جهة أخرى، يتغذى الوعي الشعبي الفلسطيني، خاصة في لحظات العنف الوجودي، على منظومات رمزية وعاطفية أكثر مباشرة، تتصل بالدين والهوية والذاكرة الجمعية، مثل الشهادة، والمقدّس، والنصر.

هذا التباين لا يعكس خطأً تحليلياً بقدر ما يكشف فجوة تواصل. فبينما ينجح الخطاب اليساري في مخاطبة الدوائر الأكاديمية والنقابية في الغرب، قد يبدو أقل قدرة على ملامسة التجربة اليومية المباشرة للفلسطيني في المخيم أو تحت الحصار. وعليه، فإن الإفراط في تفريغ الحدث من رمزيته المألوفة، دون توفير بدائل سردية وجدانية، قد يُنتج خطاباً متقدماً نظرياً، لكنه محدود الأثر جماهيرياً، ما يفتح المجال أمام قوى أخرى لملء الفراغ التعبوي.

2. التوحيد السردي وأزمة الشرعية النقدية

المأزق الثاني يرتبط بإدارة التعددية داخل الخطاب نفسه، ففي مرحلة ما بعد الحرب، ولا سيما مع الانتقال إلى خطاب «البراغماتية الثورية» المرتبط بالهدنة، برز ميل واضح إلى توحيد السردية الإعلامية بوصفه أداة لحماية المعنى العام ومنع اختراقه من قبل الخصوم السياسيين، غير أن هذا التوحيد قد يتحول، في بعض السياقات، إلى آلية دفاعية تُقيّد النقاش الداخلي، وتُضعف المساءلة النقدية.

أيضاً فإن تقديم الهدنة بوصفها «إنجازاً انتُزع انتزاعاً» قد ينجح في تحصين الخطاب من اتهامات الهزيمة، لكنه في الوقت ذاته قد يهمّش أسئلة مشروعة تتعلق بالكلفة الإنسانية والسياسية. وهنا يواجه اليسار تحدياً مضاعفاً في فضاء تنافسي حاد: فهو ينافس سردية دينية ذات قدرات تعبوية عالية التأثير (تمثلها حركات إسلامية)، وسردية سياسية- دبلوماسية تستند إلى منطق الدولة والشرعية الدولية (فتح). وفي حال عجز الخطاب اليساري عن إيجاد توازن بين الحفاظ على وحدة السرد، وفتح المجال للنقد الداخلي، فإنه قد يتحول إلى خطاب توصيفي متقدم، دون أن يرتقي إلى مستوى القيادة الرمزية القادرة على توحيد الفعل الفلسطيني.

3. ارتهان السردية وتحولات السياق الدولي

أما المأزق الثالث فيتصل باستدامة الخطاب في ظل تحولات البيئة الدولية. فقد راهن اليسار الفلسطيني بشكل واسع على استراتيجية «التقاطعية النضالية»، وربط القضية الفلسطينية بحركات عالمية مناهضة للعنصرية والاستعمار والرأسمالية، وقد أتاح هذا الرهان توسيع دائرة التضامن وإعادة تسييس القضية في الفضاء الغربي.

غير أن هذا التوجه يحمل في طياته مخاطرة كامنة، تتمثل في ارتهان السردية الفلسطينية لموجات تضامن قد تكون ظرفية أو متقلبة، فمع تغيّر أولويات الحركات التقدمية العالمية، أو انشغالها بملفات أخرى، قد يتراجع الصدى الدولي، ما يترك الخطاب اليساري مكشوفاً إذا لم يكن متجذراً بعمق في بنيته المحلية. التحدي هنا لا يكمن في التخلي عن البعد العالمي، بل في بناء خطاب يمتلك قدرة ذاتية على الاستمرار، بحيث لا تكون شرعيته مرهونة فقط بالاعتراف الخارجي، بل مستندة إلى تفاعل حي مع المجتمع الفلسطيني نفسه.

خاتمة:

في «فقه البقاء» وصراع المعنى المفتوح

لا تكمن عبقرية الخطاب الإعلامي لليسار الفلسطيني بين (2023–2025) في قدرته على تفسير الأحداث، بل في شجاعته على إعادة اختراع نفسه في قلب العاصفة.

واليسار الفلسطيني اليوم، بوقوفه في تلك المنطقة القلقة بين «تراث الثورة» و«ضرورات الواقع»، يضع حجر الأساس لسردية وطنية عابرة للحدود، سردية تدرك أن طريق القدس يمر عبر فهم عميق لمنظومة العالم، وأن الحرية ليست مجرد لحظة عسكرية، بل هي انتصار يومي للوعي على الهيمنة، وللإرادة على اليأس.

أخيراً، يبقى السؤال المفتوح أمام اليسار: هل ستتحول هذه السردية إلى أرشيف جديد نُبجّل فيه صمودنا، أم إلى رؤية إعلامية موجّهة للمستقبل، لا تكتفي بتفسير ما جرى بل تسعى إلى إعادة تشكيل ما سيأتي؟ والإجابة هنا لن تكتبها البيانات الإعلامية وحدها، بل قدرة هذا الخطاب على البقاء حيّاً، نقدياً، ومشتبكاً في وعي الأجيال القادمة، بعيداً عن صخب الميدان وصمت الهدن.

رواية» ماء العروس» لخليل صويلح: شخصيات وأمكنة وأحداث

بسام سفر - صحفي وكاتب من سورية

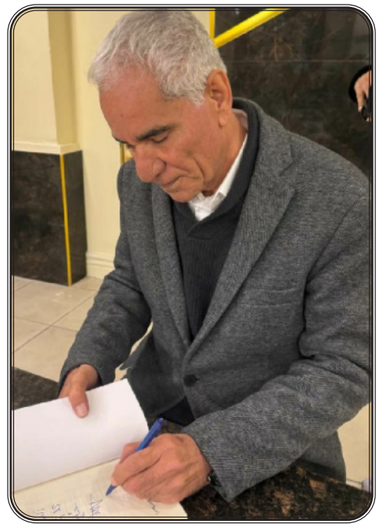

يصور الروائي والكاتب والصحفي خليل صويلح في روايته (ماء العروس)، الصادرة عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت بالعام 2025، مدينة دمشق المثقلة بإرثها التاريخي والعمراني، ولم تستطيع أن تتجاوز العقلية السلطوية الأبوية المسيطرة على فضاءاتها العامة في الشوارع والأبنية والأحياء التاريخية في أسواقها، ودور هذه المدينة في إعادة تشكيل المهاجرين إليها من الفضاءات السورية وغير السورية، إذ تلعب دوراً كبيراً في إعطاء هذه الشخصيات بعداً إنسانياً وحضارياً ذي عمق تاريخي.

فضاءات سورية:

تحتل الأمكنة السورية الرواية منذ الصفحات الأولى حيث الصحراء السورية القاسية، فبعد الإفراج عن ساري البشر، كانت الشمس على وشك الغروب، عندما عزم على الذهاب مشياً إلى مضارب عشيرته بقلب هش، ومعدة فارغة، وشهقة بكاء مكتومة. لم أرغب في أن أقود الأب المحزون للتهلكة في الصحراء.

إذ كانت الصحراء السورية هي مكان الشخصيات الرئيسية في الرواية، فإن دمشق هي مكان السارد الأساسي فيها حيث يذهب لطباعة صورة شخصية لجواز سفر «اتجهت إلى شارع 29أيار حيث استديو العاصمة للتصوير- لفتني الزحام في تراس مقهى العراب عند ناصية الشارع، على الرغم من برودة الطقس».

ويصف شارع29أيار ذاك المساء «فبعد خمسين متراً، كان بائع كتب أرصفة يضع نسخة مقرصنة من رواية (العراب) في أعلى رخام السور المحاذي لمستشفى الشرق لمعالجة العقم وأطفال الأنابيب، ثم من مسافة أقل، سأنتبه إلى محل عصائر يضع على الواجهة أكواماً من البرتقال على هيئة هرم هندسي متناسق.

ومن على سطح بيته يشاهد أنه « لا تيار كهربائياً في هذا التوقيت، فقط أضواء شحيحة متناثرة فوق سفوح جبل قاسيون، وهواء تشرين الثاني القارس، وضجيج موسيقا ينبعث من تراس فندق البلوتاورز على بعد ثلاث مئة متر من السطح.

كان الشارع معتماً كمقبرة، لا أحد سوى القطط وجامعي المخلفات من حاوية القمامة في الناصية.

ليعود إلى بيئة الشخصية الرئيسية في الرواية قرية الجابرية المتاخمة لنهر الخابور، وهو يقف على بوابة قسم الهجرة والجوازات في البرامكة بدمشق للحصول على جواز سفر، بينما ساري البشر يختار منحدر تلة عالية غير بعيدة عن النهر، متسلحاً بعصا وخنجر وأحلام غامضة في تدبير أقل ذلاً مما هو فيه.

بعد أن سمع الراوي شتيمة الطابور من الشرطي أختار أحد معقبي المعاملات لانجاز جواز السفر مع دفع مبلغاً ضخماً غادر المكان مشتتاً وهو يجتاز الشارع نحو جسر الرئيس: هل يكمل طريقة نحو المتحف الوطني؟ أم يعرج على باعة كتب الأرصفة تحت الجسر؟ أم يستقبل تاكسي ليعود إلى البيت.

لكنه ينزل من فوق الجسر إلى كراج الحافلات ليتلقفه أحد بائعي الكتب، ويعرض عليه كتبه الجديدة، في حين ساري البشير يثبت أوتاد خيمته فوق تله تطل حقول القطن على مقربة من ضفة نهر الخابور الشرقية.

ويخوض ساري البشير مغامرة اكتشاف الكامب الفرنسي المهجور منذ أواخر أيام سلطة الانتداب عندما وجد نفسه وسط هنغارات صدئة، فحلقة الأبواب والشبابيك، ومكاتب بأسقف من التوتياء، يغطيها الغبار والرمل، وخرائط وأوراق

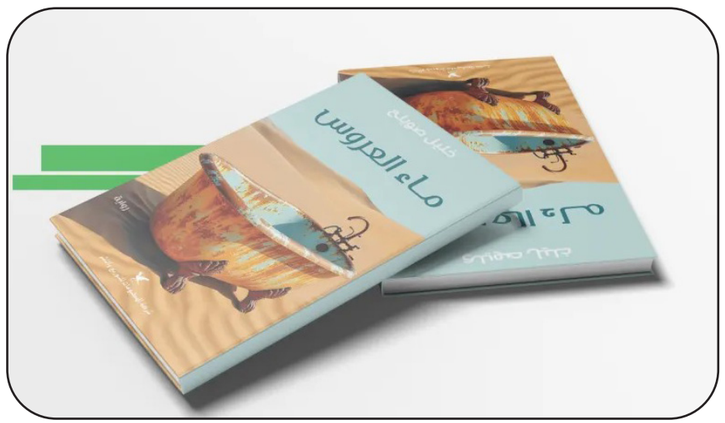

متناثرة على الأرض المكسوة بالسيراميك الأبيض، موزعة على مساحة خمسة أفدنة تقريباً. ويأخذ منه بانيو يضعه في زريبت البيت، ويصبح المكان المفضل لنوم إسماعيل أبنه.

بينما يقص السارد ما عثر عليه في فلاشة الميموري من ملف ضخم مرفق بالصور التي توثق حريق حي ساروجة الأثري في مدينة دمشق، ليلة 16تموز 2023، كآخر نسخة لحرائق أخرى شهدتها المدينة لأسباب مختلفة منذ ألف عام إلى اليوم، ويذهب إلى مكان الحريق ليجد سيارة شرطة أغلقت الطريق، لكن بدورة التفافية يجد نفسه أمام «مركز الوثائق التاريخي» المغلق.

تأمل الأمكنة متجاهلاً ضجيج (سوق الحرمية) وزحام الباعة تحت»جسر شارع الثورة»، والجدران الملطخة بسواد الفحم، وعبر جسراً معدنياً نحو القلعة، وصولاً إلى فضاء الجامع الأموي نحو مقهى النوفرة.

ويلتقي إسماعيل ساري البشر عبود السطام منقذ أبيه من السجن في مقهى الروضة بدمشق دون أن يعيره أدنى انتباه بسبب لقاءه مع مخرج سينمائي من أجل فيلمه بعدما غادر التدريس والقرية عبر القطار المتجه إلى حلب ليلتقي جاسم عطية في دمشق وينام في منزله بعش الورور ليلة واحدة، ويغادرها إلى بيت في حي الديوانية مستأجراً غرفة إلى جانب عدد من المستأجرين.

ويسرد الروائي أماكن جديدة في دمشق مثل حانة «اللاتيرنا»، وصالة كامل بالمزة للفنون الجميلة، ومقام الأربعين في أعلى قمة جبل قاسيون، ومكتبة ميسلون، وشارع الشعلان.

أحداث وشخصيات واقعية:

يصعب فرز خطوط السرد الخيالي عن الواقعي في رواية ماء العروس بسبب التداخل الكبير في الوقائع والشخصيات الإنسانية التي تغص بها الرواية، فالخط الواقعي في الرواية يمثله الراوي السارد من زاويته علاقته بالأمكنة، والأحداث الواقعية منها حريق ساروجا الأثري الذي بررته وكالة الأنباء الرسمية بأنه نتيجة «ماس كهربائي» وتساءل الصحفيين عن مصير نحو خمسة ملايين وثيقة نادرة تعود إلى حقبة العهد العثماني، وفترة الانتداب الفرنسي، وحكومات الاستقلال(سجلات المحاكم الشرعية، ووثائق أصول العائلات الدمشقية، والفرمانات السلطانية، والصحف، والجريدة الرسمية «السالنامة» والمخطوطات النادرة، والصور الفوتوغرافية).

ويزور مقهى «النوفرة» المتاخم لحائط الجامع الأموي من جهته الشرقية، لحضور مشهد الحكواتي الذي غادر كرسيه في المقهى منذ سنوات. لينتقل إلى مقهى الروضة، حيث يعالج حرائق الأراكيل بمشتل من الأشجار، ويضع فوق كل طاولة غصناً أخضر بدلاً من الخرطوم العجائبي للأركيلة، فتهب روائح أوراق ليمون وجوز وصنوبر، متجاهلاً رائحة التنباك والمعسل والفحم التي تحاصره من كل الجهات.

ومن الشخصيات التي يتعرف عليها إسماعيل في بيت الديوانية شاعر الومضة كما يسميه مصعب هاشم، وفي الواقع والحياة هو (الصاعد هاشم)، وكذلك أكثر من مخرج عراقي كان في دمشق خلال تلك الفترة، فمن المخرج (جواد الأسدي، باسم قهار، الراحل هادي المهدي، صلاح هادي، والراحل عوني كرومي). ومن الأسماء الحقيقية التي للشخصيات في الرواية «محمد النجاري ولد سيدي المختار» الموريتاني الذي قطن الشام، وطاب له هواها.

ويذكر معرض «عاريات» للفنان يوسف عبدلكي في صالة كامل بالمزة، والموقف من المعرض بوجود نظام بشار الأسد حيث اعتبره العديد من المثقفين السوريين المقيمين خارج سوريا تطبيع من النظام البائد، لكن الفنان عبدلكي رد على كل ذلك في مقال مطول في صحيفة القدس العربي.

ويوظف الروائي صويلح ذكرى الزلزال الذي حدث في2023/2/6، في سوريا وتركيا من صور سريالية عصية على الفهم، ومشهديات مرعبة غير قابلة للمحو، كما لو أن ذلك حدث في متحف للأنقاض، بشر عالقون بين الموت والحياة، لا أوكسجين يكفي لاكتمال دورة الشهيق والزفير، أوراق نعي جماعي لتوطين الألم. ويكتب عن بار فريدي الذي تحول إلى مطعم للوجبات الجاهزة، وعن قصة حب ضائعة، وعن عرق الريان، وعن سيرة كحولي واضح، عن الحرب والموت والمخيم.

ويعبر عن صعاليك الشام التي فقدوا أثناء الحرب ما بعد 2011، بيوتهم وأراضيهم إذ يقول:» كلانا يحرث التضاريس نفسها، في خريطة ممزقة، منذ أن فقد بيته في مخيم اليرموك بقذيفة عمودية أحالت كل ما فيه حطام منزل وذكريات وصور على الجدران. وهكذا وجد نفسه حارساً لمفاتيح غرف المهاجرين من صعاليك الزمن السعيد الذين غادروا البلاد فجأة، ليستقر أخيراً في غرفة متهالكة في حي ساروجة، كان يشغلها شاعر يدعى «الشنفرى». وقد حاز هذا اللقب بسبب سرعته في العدو هرباً من الدائنين، وليس لفروسية سلفه الجاهلي ونبالته وشعريته.

ويعود الراوي إلى الطريق الذي سلكه في بداية الرواية: شارع العابد، مروراً بمقهى العراب، ثم شارع29أيار ثم بائع الكتب المستعملة، ثم أهرامات البرتقال في واجهة محل العصائر (لا تتوقعوا جريمة قتل أو ورشة تصوير سينمائية)، ثم اجتاز الشارع نحو الرصيف المحاذي للمركز الثقافي الروسي، ثم الرصيف الموازي للجدار الخلفي لسينما السفراء المغلقة منذ سنوات، ثم توقف أمام كشك لبيع السجائر (كان يلصق إعلاناً على الزجاج الأمامي عن غرف للإيجار)، ثم سلك درجاً يقود إلى أو زقاق في الحي، ثم متاهة شوارع ضيقة ومتداخلة ومعتمة.

أخيراً تضفي فضاءات الرواية بعداً جمالياً على المكان السوري من الصحراء إلى نهر الخابور والقرية إلى العاصمة وأحيائها وشخصياتها الواقعية والمتخيلة وأحداثها الواقعية والخيالية في خلطة سردية جاذبة قادرة على جعل القارئ يمشي في زواريب الرواية جرياً خلف إسماعيل والرواي.

فرواية ماء العروس للكاتب والصحف والروائي خليل صويلح تستحق قراءات متعددة تستوعب ما جاء فيها من خطوط روائية.

«سأعود إلى قتالكم»:

مسرحية سورية قاربت القضية الفلسطينية ظهرت في سبعينيات القرن الماضي

جوان جان - كاتب ومسرحي من سورية

شكّلت القضيةُ الفلسطينية منذ عام النكبة 1948 محوراً أساسياً في الحركة المسرحية في سوريا -نصاً وعرضاً- من خلالِ أسلوبين أساسيين لجأ إليهما واستخدمهما المسرحيون السوريون.. الأسلوب الأول هو المباشرة في طرح الفكرة ومعالجتِها وتسمية الأشياء بمسمياتها بعيداً عن أساليب الترميزِ والإسقاط.. الأسلوب الثاني هو اللجوء إلى طرح موضوعِ القضية الفلسطينية بشكل غير مباشر وذي أبعاد رمزيةٍ وإسقاطات بيّنة كاللجوء إلى التاريخ القديم وتجسيد بطولاتِ القادة التاريخيين (صلاح الدين الأيوبي- خالد بن الوليدِ- طارق بن زياد...) أو إلى التاريخ الحديث من خلال المقاربةِ بين الوضع في فلسطين والوضع في البلاد العربية أيامَ الاحتلال العثماني أو الفرنسي.. ومن المسرحيين السوريين الذين برزوا في هذا المجال الكاتب المسرحي حسيب كيالي (1921-1993) الذي قاربَ القضية الفلسطينيةَ بأسلوب غير مباشر في نصّه المسرحي «سأعود إلى قتالكم» الذي كتبه في العام 1975 أي في ذروة النضال الفلسطينيّ والعمليات الفدائية ضد قوات الاحتلال عندما كانت القضيةُ الفلسطينية هي القضية العربية المركزية قولاً وفعلاً.

يعودُ الكاتب حسيب كيالي في هذه المسرحية عقوداً إلى الوراء، إلى السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي لسوريا مُسقطاً الحدث على السنوات الأولى من الاحتلال الصهيوني لفلسطين حيث المقاومة الشعبية في الحالتين في أوج ازدهارها وفتوتِها، وحيث الحسّ الوطني العالي عند المواطنين يدفعهم إلى التضحيةِ بأنفسهم من أجل كرامة بلدهم وعدم وقوعه فريسةً سهلة في فم الاحتلال.

تقدمُ المسرحية جانباً من جوانب النضال الشعبي ضد المستعمرِ من خلال شخصية نجيب الشابّ المقيمِ في قرية وادعةٍ شبه معزولة عن العالم الخارجيّ والذي يبادر إلى تلبية نداءِ أبو محمد الشخصية المحترمة وذات الوزن الاجتماعيّ إلى القتالِ ضدّ الفرنسيين (الصهاينة) الأمر الذي يؤدي إلى وقوع نجيب في الأسر ومحاولته الهرب، فيُعاقَب ببتر قدمه، لكن تصميمه على الهرب لا يلين، وينجح بذلك مصمماً على معاودةِ القتال رغم حالة العجز التي أصابته نتيجة بتر قدمه.

تتألفُ المسرحية من 14 مشهداً يقدم كل واحد منها حدثاً أو أكثر من أحداث المسرحية التي تتتالى مشاهدُها برشاقة مع وجودِ ملاحظات لا بد منها في عمل يأخذ على عاتقه طرحَ موضوعة وطنية هامة من تاريخ المنطقة الحديث.

يعرّفُنا المشهد الأول على حالة الألفة والتعاضد التي يعيشُها سكانُ القرية الذين يكنّون لبعضهم الودّ والمحبة، حيث يدور المشهد الأول في مقهى القرية الذي يلقي فيه الحكواتي قصصَه اليومية عن بطولات الزير سالم وأبو زيد الهلالي وعنترة بن شداد وغيرهم من أبطال الملاحم العربية، ولا يلبث المشهدُ أن يعزز الصورة الإيجابية لهذه القرية عندما يدخل أبو أحمد إلى المقهى مبشّراً أصدقاءه بمولوده الجديد فينبري نجيب إلى التبرّع بـ (الحلوان) لكافة الموجودين في إشارة إلى الحالةِ الأخوية التي تربط بين سكان القرية والتي ستتبلور في مشهدٍ تالٍ عندما يقرر عددٌ كبير منهم الالتحاق بنجيب عندما يقررُ تلبية نداء أبو محمد للثورة دون أن يأخذوا بعين الاعتبار المسؤوليات العائلية الملقاة على عاتقهم تجاه أفراد عائلاتهم، وسرعان ما يتمّ تحريك المشهد من قِبل الكاتب عندما يدخل أبو الناجي ناقلاً لنجيب رغبة أبو محمد بالتسلح وموافاته في منطقةٍ مجاورة.. ويُنهي الكاتبُ مشهده الأول بتساؤل من قبل نجيب عن مدى توفّر القدرة على المواجهة، وهو تساؤل يحسمُه نجيب في المشهد الثاني عندما نراه صبيحة اليوم التالي على وشك الانطلاق باتجاه أبو محمد رغم خوف والدته عليه، وهو خوفٌ طبيعي لا يدينه الكاتب بل يصوّره كما هو وكما يجب أن يكون عند كلّ أمّ تحبّ أبناءها، لكن هذه الممانعة سرعان ما تتلاشى بعد أن يقنعها نجيب بضرورة التحاقِه بالثوار.

حالةُ التعاضد والتآزر التي صوَّرها الكاتب في المشهد الأول على نطاق ضيق وسَّعها في المشهد الثاني عبر تصميم عددٍ من رجال القرية على مرافقة نجيب والالتحاق بالثورة.

في المشهدِ الثالث يحدد الكاتب الدافع الكامن وراء اندفاع الناسِ إلى التصدي لأعدائهم المدججين بمختلف أنواع الأسلحة وأحدثها، وهي النقطة التي تشكل الحجر الأساس في هذا المشهد الذي لا يخلو من المبالغة في الاعتماد على السردِ في الحوار الدائر بين الشخصيات.

ولا يضيف المشهد الرابع شيئاً ذا مغزى إلى الحدث سوى وصول الرجال إلى مقصدهم وتكرار التركيز على روح المبادرةِ لديهم، ويؤخذ على هذا المشهد وجود كمٍّ من الحوارات ذات الأسلوب التلفزيونيّ لجهة الحديث عن تفاصيل لا تضيفُ جديداً.

وأتى المشهد الخامس ليصعّد الحدثَ من جديد حين يتمّ الحديثُ عن مواجهة قادمة بين أصحاب الحقّ والمعتدين، كما أنّ الإشارة إلى رغبة ابنة أبو محمد في الالتحاق بالثورة تترجم الرغبةَ الجامحة التي اجتاحت الجميع -رجالاً ونساء- تطلّعاً إلى القيامِ بمسؤولية أساسية في مقارعة المحتلّ، ورغم أن هذه الرغبة لا تتمّ ترجمتها على أرض الواقع في المسرحية إلا أن مجرّدَ الإعلان عنها يُعدّ أمراً هاماً في ظلّ تأكيد الكاتب على الروحِ الوطنية العالية السائدة زمنَ كتابة نصّ المسرحية.

في المشهدِ السادس يكون القتال بين الطرفين قد نشب وأسفرتْ جولته الأولى عن نصر مؤزّرٍ للثوار أسفر عن أسر عددٍ من المعتدين، في الوقت الذي يعود فيه الحوار إلى رتابتِه وهدوئه.

ولا ينجرفُ الكاتبُ في المشهد السابع من مسرحيته وراء النصرِ الذي تمّ إحرازه في المشهد السابق حين يشير على لسانِ إحدى شخصياته إلى ضرورة تنظيم الثورة وعدم الاعتمادِ على الاجتهادات والمبادرات ذات الطابع الفرديّ.

في المشهدِ الثامن يتخلى الكاتب فجأة عن اللغة الفصحى المبسّطة القريبة من العامية والتي اعتمدها في كلّ مراحل نصّه ليتحول إلى فصحى ذات لمسة أدبية واضحة لا يمكن لشخصياتِ المسرحية البسيطة أن تتلفظ بها.. والواقع أن قارئ المسرحية لن يجد صعوبة في استنتاج أن هذا المستوى اللغوي المقحَم في حوار بسيط التراكيب والجُمل والمعاني والصور لا بد أن يكون هو ذاته مستوى الكاتب اللغوي لا مستوى لغة الشخصيات التي لا توجد المقدمات المنطقية والدرامية لأيّ منها كي تتفوه فجأة بمستوى لغويّ راقٍ، وهذه من الهفواتِ التي كثيراً ما يقع بها كتّابنا المسرحيون حين ينسون المستوى اللغوي لشخصيات نصوصهم ويعودون إلى مستواهم اللغوي الشخصيّ.

في المشهدِ التاسع يتطرق الكاتبُ إلى جانب آخر من جوانبِ الاحتلال الفرنسي لسوريا وهو الجانب القومي حين تشيرُ إحدى الشخصيات إلى استسلام بعض الجنود العرب في جيش الاحتلال للثوار (في إشارة إلى عرب 1948) وانضمامهم إليهم وتخليهم عن كونهم أفراداً في جيش الاحتلال، كما يؤكد المشهد على استمرار المقاومة جيلاً إثر جيل.

في المشهد العاشر يكون نجيب قد وقع في الأسر بعد سلسلةٍ من المعارك التي خاضها ببسالة، لينتقل الكاتب إلى المشهدِ الحادي عشر وفيه يكون نجيب نزيلاً في إحدى المشافي بعد إصابته إصابة بالغة، ولا ينسى الكاتب أن يُبرز جانباً من جوانب اللحمة الوطنية عندما يشير إلى تعاطف الممرضِ مع نجيب دون أن يجرؤ على الإفصاح عن موقفه علناً.

في المشهدِ الثاني عشر يحاول نجيب الهروب من المشفى فيفشلُ في ذلك، ويكون عقابه بتر قدمه حتى لا يفكر ثانيةً بتكرارِ المحاولة ولكي يكون عبرة لسواه، لكن الروح القتالية عند نجيب لا تكبح جماحه نحو التصميم على الهرب، وهو ما ينجح به في المشهد الثالث عشر حين يتمكن من اللجوء إلى بيتٍ لا على التعيين تقطنه امرأة وطفلها، فترحب المرأة به حين تعلم أنه ذلك المقاتل الذي ذاع صيته، وبحسّ شعبي تستقبله وتحميه.

وفي المشهد الأخير يؤكد نجيب تصميمه على الثأر لصديقِه الذي استشهد في المعركة، معلناً عزمه على مواصلة القتالِ ضدّ المحتلين.

مسرحيةُ «سأعود إلى قتالكم» صرخة تذكيرٍ بما يعتلج في نفوسِ المواطنين البسطاء والوطنيين الشرفاء من حبّ لوطنهم ودعوة إلى اقتفاء أثرهم والاقتداء بهم والتأكيد على أنّ تضحياتهم يجب ألا تذهب هباء.

ظهرت هذه المسرحية في العام 1975 في وقت كانت فيه المواجهةُ بين العرب والصهاينة على أشدّها، ولا شكّ أنها اكتسبتْ في ظلّ تلك الظروف أهمية مضاعفة وهي أهمية تكتسبُها الأعمال الفنية والأدبية من درجة اقترابها من نبضِ الشارع.

الحضور الفاعل والمتفاعل للمبدع الفلسطيني

بين مهرجان المسرح العربي والملتقى الدولي لفنون الدمى والعرائس، القاهرة يناير 2026

أحمد طنيش – المغرب

1ـ مهرجان المسرح العربي:

لم يكن الحضور الفلسطيني في الدورة السادسة عشرة لمهرجان المسرح العربي (القاهرة، 10-16 يناير 2026) مجرد حضور رمزي أو مشاركة عابرة، بل كان حضور تأكيد الذات في أهم المحافل وهي صفة وقناعة فنية وثقافية وديبلوماسية، حضور ليس للتأثيث بل حضورا فاعلا مركزيا يجسّد فعالية حقيقية في مفاصل المهرجان: بدء من الحضور الفاعل في هندسته ولجنته المنظمة مرورا بعضوية لجنة التحكيم وباقي فقرات البرمجة النوعية للمهرجان عبر النقاشات الفكرية وإدارة الجلسات والمشاركة فيها، كما الفعل النقدي المصاحب للعروض، وهو حضور يعكس موقع المسرحي الفلسطيني اليوم، ليس كـ«صوت قضية» فحسب، بل كفاعل جمالي وفكري منخرط في المشهد المسرحي العربي، كما تاريخه الأدبي والشعري والروائي والتشكيلية والسينمائي والإبداعي عموما.

ضمن مكونات لجنة التحكيم برز اسم الفنان الفلسطيني المعروف كامل الباشا كأحد أبرز تجليات هذا الحضور من خلال رئاسته لجنة تحكيم جائزة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي لأفضل عرض مسرحي عربي. هذا الموقع لم يكن مجرد وظيفة إجرائية، بل يحمل دلالات عميقة:

• اعتراف بتجربة فلسطينية راكمت عملاً مسرحياً وسينمائياً وإبداعيا متنوعا متميزاً؛

• ثقة الهيئة العربية للمسرح في الحس الجمالي والخبرة النقدية الفلسطينية؛

• انتقال الفلسطيني من موقع التمثيل إلى موقع التقييم وصناعة القرار الفني.

شدد كامل الباشا في تصريحه خلال المهرجان «المسرح العربي في حاجة إلى الصدق قبل التقنيات، وإلى الإنسان قبل الأشكال»، مقولة تختصر رؤية فنان تشكّلت تجربته في تماس مباشر مع الواقع والذاكرة.

من بين مهندسي هذا العرس المسرحي العربي، يبرز الأيقونة غنام غنام (فلسطيني/أردني)، بحضور يعكس قدرة المبدع الفلسطيني على قيادة المشاريع الثقافية الكبرى. ويشهد على ذلك الثقة التي منحتها له الهيئة العربية للمسرح بصفته مبدعا مسرحيا عربيا فلسطينيا، بخبرته مؤلفا وممثلا ومخرجا وكاتبا وخبيرا مسرحيا فوق العادة، ومن خلال ما يتصف به من:

• قيادة وتخطيط وإشراف على المهام التنظيمية والإعلامية الكبرى للمهرجان وعبر دينامية الهيئة العربية للمسرح؛

• إشرافه ومشاركته في كل الجلسات اللوجستيكية وتنظيمية المرتبطة بالمهرجان عبر كل محطاته؛

• حضوره كأحد العقول التنظيمية والفكرية ضمن أطر الهيئة.

صرح غنام غنام، أن «المسرح الفلسطيني لم يكن يوماً معزولاً، بل كان دائماً مختبراً للأسئلة الكبرى: (الحرية، الجسد، الذاكرة، اللغة، والإبداع المستمر)، والتجوال عبر الأقطار العربية وتجاربها وإبداعاتها ومبادراتها، نأخذ المغرب نموذجا حيث تعرفت على غنام غنام في البداية التسعينيات من القرن الماضي وهو الفاعل المسرحي الذي حضر رفقة فرقته المسرحية إلى المغرب وبالضبط الدار البيضاء، من تم تعرف وخبر تجربة رائدة في المغرب تتمثل في المسرح الجامعي، الذي انطلق عندنا في سنة 1988، وبط علاقة مع العميد حسن الصميلي وقدم عروضا مسرحية ضمن هذا المهرجان وكان ضمن أهم الفرق التي مثلت فلسطين والأردن في بداية المهرجان، تم حضر بعد عقد للمهرجان كرئيس لجنة التحكيم، ناهيك عن حضوره كإطار ضمن فعاليات الهيئة العربية للمسرح

بدء من دورة 7 لمهرجان المسرح العربي التي أقيمت بالرباط سنة 2015، كما حضر ضمن مكونات لجنة التحكيم لمهرجان المسرح الوطني المغربي بمدينة تطوان، وحضر ضمن اللجنة التحضيرية للدورة 13 لمهرجان المسرح العربي سنة 2023 والتي أقيمت بالعاصمة الاقتصادية الدار البيضاء المغرب، وزار حينها كلية الآداب بنمسيك الدار البيضاء، التي له علاقة بكل أطرها المؤسسة بدء من الدكتور حسن الصميلي مرورا بكل الفعاليات المتواصلة والحديثة بهذه الكلية، أدرجت هذه السيرة للرجل وعلاقاته معنا بالمغرب لأشير أن نفس العلاقة للرجل تربطه مع كل الأقطار العربية ومع فعالياتها ومؤسساتها، وبذلك فهو القريب من الأسئلة الخاصة والعامة في كل موقع مسرحي، الأمر الذي يؤكد ريادة وطلائعية متطورة.

في كل هذه الفضاءات، لم يكن الفلسطيني مجرد شاهد، بل منتج للمعنى، مشاركاً في تفكيك العروض وطرح الأسئلة الجمالية والفكرية المرتبطة بالمسرح العربي اليوم، وبذلك كرّست الدورة السادسة عشرة تحولاً لافتاً في طبيعة المشاركة الفلسطينية؛ مع مسرح لا يروي المأساة فحسب، بل يسائل الشكل، اللغة، والوظيفة الجمالية، حين يصبح الفعل الثقافي شكلاً من أشكال المقاومة، تظهر فلسطين كحالة إبداع وجمال ودرس مستمر في الأدب والمسرح والنقد والسينما.

تكمن قوة الحضور الفلسطيني بفعالية بلا ضجيج وعمق الأثر واستدامة في الذاكرة المسرحية العربية المبدع الفلسطيني حاضر يساهم في صنع المعنى، والنبش في ذاكرة المسرح العربي نحو تأسيس يجدر الفعل من التأسيس إلى الاستمرارية المتطورة المواكبة للمستجدات والتحولات.

2ـ الملتقى العربي لفنون العرائس والدمى والفنون المجاورة:

من المسرح الحي مع مهرجان المسرح العربي الذي نظمت دورته 16 بالقاهرة، من 10 إلى 16 يناير 2026، إلى الدمية المؤنسنة التي تمثل مسرحا حيا بتمثلات أخرى أثبتت فيه فلسطين مرة أخرى حضور الإبداعي والمهني في الملتقى العربي لفنون الدمى والعرائس والفنون المجاورة، المنظم من طرف وزارة الثقافة المصرية والهيئة العربية للمسرح من 21 إلى 23 يناير 2026 بالقاهرة كذلك.

لا يتوقف هذا الحضور الفلسطيني الفاعل عند تخوم مهرجان المسرح العربي، بل يمتدّ – وبالزخم ذاته – إلى فضاءات تعبيرية أخرى، مع هذا الملتقى في دورته الخامسة، حيث برز المبدع الفلسطيني بوصفه فاعلًا جماليًا ومرجعيًا في أحد أكثر الفنون قربًا من الإنسان: الطفل، والذاكرة، والخيال، من خلال «سر الصنعة» الانفتاح على التجارب ومختبراتها، وتقديم العروض المسرحية من جنس الدمى والعرائس، والتأثيث معرض الخاص، والمشاركة الفاعلة في كل أطوار فعاليات الملتقى العربي.

في هذا الملتقى، لم تكن الدمية الفلسطينية أداة ترفيهية أو وسيطًا تبسيطيًا، بل تحوّلت إلى جسد رمزي ناطق، يحمل سرديات المكان، وأسئلة الهوية، وأوجاع الذاكرة الجمعية، بلغة بصرية وشعرية قادرة على مخاطبة الطفل والراشد معًا. وقد كشفت المشاركات الفلسطينية – سواء عبر العروض أو النقاشات أو الورشات – عن وعي عميق بدور فنون العرائس في التربية الجمالية، والتحسيس الإنساني، ومقاومة النسيان.

الحضور الفلسطيني في الملتقى العربي لفنون الدمى لم يكن عددياً بقدر ما كان نوعيًا؛ إذ تميّز بالمساهمة في النقاشات الفكرية حول:

- أنسنة الدمية وتحويلها من كائن جامد إلى ذات درامية؛ ووسيط تقني وبيداغوجي؛
- دور مسرح العرائس في السياقات المأزومة والنزاعية؛
- علاقة الدمية بالذاكرة والصدمة والشفاء الثقافي؛
- وظيفة هذا الفن في بناء وعي جمالي مبكر لدى الأجيال الجديدة.

في سياق هذا الحضور الفلسطيني اللافت داخل المنتدى العربي لفنون العرائس والدمى والفنون المجاورة، برز عرض «الخجول» – فلسطين، من إخراج خليل عسكري، عن قصة للأديب أحمد هيبي، مستوحاة من واقعة إنسانية حقيقية لطفل صغير كان والده يحمّله عبئًا يفوق سنّه، مرددًا» اوعك تقول إنك خايف، أنا ابني زلمة» عرض يلامس بعمق سؤال الطفولة المهدَّدة، ويكشف، عبر لغة دمى شفيفة، مخاوف الطفل حين يُجبر على التصرّف كالكبار، فيفقد حقه الطبيعي في التلقائية واللعب، قبل أن يصرخ في لحظة صدق موجعة «بابا أنا مش زلمة... بابا أنا ولد» وقد تخللت مشاهد العرض كوميدية طفولية بريئة، خفّفت من ثقل الموضوع، دون أن تُفرغه من حلمه الإنساني العميق.

يكتمل هذا الحضور الفلسطيني بتكريم المبدع عبد السلام عبدة من فلسطين، أحد الوجوه المرجعية في مجال مسرح الدمى عربيًا ودوليًا، وعضو المنظمة العالمية للدمى. المولود بجبل المكبر – القدس سنة 1964، راكم تجربة تفوق ثلاثين سنة في الفنون المسرحية وصناعة وتحريك الدمى، قدّم خلالها عروضًا محلية ودولية، وأسهم بشكل واسع في نشر ثقافة الدمى في فلسطين والعالم العربي. تولّى إدارة دائرة الطفل والإخراج الفني بالمسرح الوطني الفلسطيني (1998–2013)، ثم إدارة مسرح الطفل بجمعية «قدس آرت» (2013–2025)، وأخرج أعمالًا بارزة من بينها «عطسة الساحر»، «القدس والأمير الصغير»، «حورية البحر»، و»الطبيب بهلول». تجربة تُجسّد التزامًا فنيًا وإنسانيًا واضحًا بقضايا الطفل، وتجعل من مسرح الدمى أداة للوعي، والحماية، وبناء الخيال المقاوم.

هكذا، يثبت المبدع الفلسطيني مرة أخرى قدرته على الاشتغال في المناطق المتميزة للفن، تلك التي تمتحن جوهر الإبداع بعيدًا عن الاستعراض، وتُعيد الاعتبار للفن كفعل تربوي، إنساني، ومجتمعي. فإذا كان المسرح الحي فضاءً لمساءلة الواقع مباشرة، فإن مسرح الدمى يصبح في التجربة العربية وضمنها الفلسطينية مختبرًا لإعادة صياغة الحلم، واللغة، والصورة، والبراءة والمقاومة.

بهذا المعنى، يكتمل المشهد: من خشبة المسرح العربي في دورته السادسة عشرة، إلى فضاءات المنتدى الخامس للدمى والعرائس والفنون المجاورة، يظلّ الفلسطيني حاضرًا حيث يُعاد تعريف الفن بوصفه معرفة، وموقفًا، ومسؤولية. حضور لا يستجدي التعاطف، بل يفرض الاحترام، ويمارس المهنية والإبداع لأنه قائم على الفعل والمعرفة والاشتغال والإضافة النوعية في جسد وجغرافية الثقافة العربية المعاصرة.

وطنُ الصغيرةُ
تحبو على شاطئِ غزّة

كميل أبو حنيش ـ عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

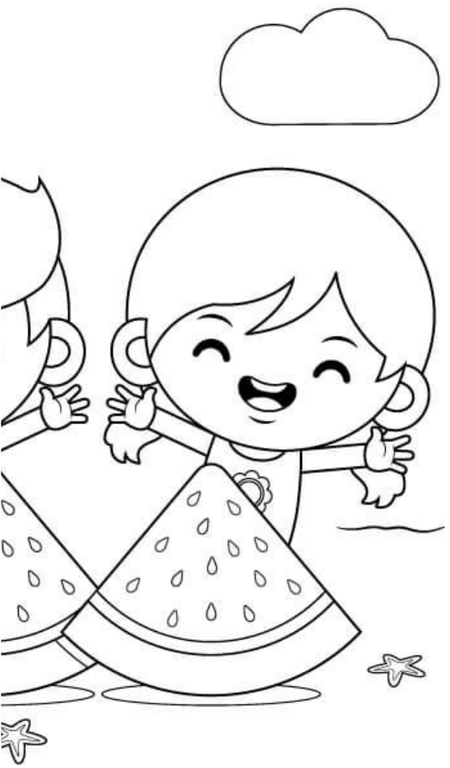

هَتفَتْ على إيقاعِ موجاتِ الأثيرْ
وقدْ تغلَّفَ صوتُها بِنعاسِ ما بعدَ الظَّهيرةْ:
أَفِرُّ من ضَجَرِ الحياةِ
والاختناقِ مِنَ الْحِصارْ
وأغذُّ سَيْرِيَ بشاطئِ البحرِ المُكَبَّلِ بالطُّغاةْ
بِرِفْقَتي وَطَنُ الصَّغيرة
فَهَتَفْتُ في شَغَفٍ وَفي شوقٍ:
صِفي لِيَ البَحْرَ المُكابِرَ يا فتاةْ
أَكادُ أَسْمَعُ ضَجَّةَ الأمواجِ
زقزقةَ النَّوارسْ
وَأَشُمُّ رائحَةَ النَّسيمْ
راحَتْ تُحَدِّقُ مِثْلَ حالمةٍ
بِبَحرٍ يكتسي بِكآبَةِ الأملِ المُحاصرْ
واحتمالِ ظهورِ أَدْخِنَةِ الْحُروبْ:
البحرُ أزرقُ هادئٌ
وَبِهِ نِداءٌ للرحيلِ عن الدِّيارْ
وَلَقَدْ مَلَلْنا من تفاصيلِ الحصارْ
وشاطئٍ يكتظُّ بالأطفالْ
قد أَضْناهم سأمُ التَّرَقُّبِ
في غمارِ الانتظارْ
وطنُ الصغيرةُ أَفلتت منِّي
تحبو على الرملِ المبلّل
قد تكلّلَ وجهُها بالانبهارْ

*

وَسهمْتُ منتشيًا
بما أوتيتُ من ظَمَأٍ
ومن شَغَفٍ
وَشَرَدْتُ في «وطن» الصغيرةْ
وَبِعَيْنِ قلبي رُحْتُ أَرْقُبُ
حينما تحبو البراءةُ في الرمالْ
وطنُ البريئةُ عالَمٌ
لُغْزٌ وجوديٌّ يَضِجُّ بكلِّ ألوانِ المعاني
والجمالْ
وَتُواصلُ الحَبْوَ المُثابرْ
لا تُساوِرُها المتاعبُ والهواجسْ
لا السلامَ ولا القتالْ
وكلُّ ما تحفَلُ به
أَلَقُ الجمالْ أمامَها
في الأزرقِ الممتدّ
يخفقُ في هدوءٍ
موَجّهِ فيه المهابةُ
والجلالْ

*

في غزةَ انتصرَ الأملْ في
غزةَ انتصرَ الصّمودُ على الْحِصارْ
هذه بلادٌ لا تدومُ بها الدولْ
كم من غَريبٍ حلّ في أرجائها
أدْمَتْ سنابِكُ خيْلِه أزْهارَها
ثمّ ارتحلْ
دأبَ الغُزاةُ -بكلّ أشكالِ الغزاةِ-
على احتلالِ ترابِها
يأتون من كلّ الجهاتْ:
فيَقتلُون ويُقتلَون
ويَصلبون ويُصلبون
ويَقصِفون ويُقصفون
يَشيدون ويَهدمون
يأتونَ من كلّ الجهاتِ
ويَرحلون
لا شيءَ يبقى مِنهُمْ
إلا الحجارةُ والطّلْلْ

*

يا غزةَ التكوينِ
والجوعِ المُكابِرِ
والخَنادِقْ
وبلاغةَ الشرفِ الرفيع
وصورةَ الإعجازِ في لغةِ البنادقْ
في غزةَ تَعلو البَيارِقْ
لن نرفعَ الراياتِ بَيضا
لن نساومْ
بل نقاومُ آخرَ الصّفقاتِ في غرفِ الفنادقْ
ونشيدُنا نَتلوه من فوقِ المشانقْ
ونواصلُ الحفرَ المقدسْ
لن نكلَّ ولن نَمَلَّ
نأتيكمُ من تحتِ هذي الأرضْ
نأتيكمُ من قلبِ هذا البحرْ
نأتيكم بالجَوّ بالصاروخِ
والبالونْ
وبطائراتٍ من ورقْ
نأتيكمُ في صَحْوِكم
في نومِكُم
في حُلْمِكم
يا دولةً مصنوعةً
من كلِّ ألوانِ
الهواجسِ والقلقْ
يا غزةَ الشهداءْ
لا تَخْشَيْ الضّياع
أو الغرَقْ
يا غزةُ
يا سيفَ عزٍّ قد نَطَقْ
هذا الحصارُ سَيَنْدَحِرْ

هذا العدُوُ سَيَنْتَحِرْ
هذا الصّمودُ سَيَنْتَصِرْ
في كلّ مرةٍ يَنْبَحُ الأعداءُ
بصوتٍ يساورُه الأرَقْ
وَيُدجِّجونَ سلاحَهُمْ
وَيُكَثِّفونَ حصارَهمْ
وَيُواصلونَ دمارَهُمْ
وَيُسَلّطون جَحيمَهُمْ
ويَقصِفون ويُقصَفون
ويَقتُلون ويُقتَلون
وَيَأسِرون وَيُؤسَرون
وَيُنَكِّسونَ رؤوسَهم
ويغادِرون في كلِّ مرةْ:
تَنهَضُ العَنْقاءُ من وَسَطِ الرّمادْ
في كلِّ مرةْ
غزةُ لا تعرفُ السَّكَناتِ
أو طعمَ الرُّقادْ
يُلملِمون أشلاءهم
ويشيِّعونَ شُهَداءَهمْ
وَيُضَمّدون جِراحَهمْ
وَيُلَمّعونَ سلاحَهُمْ
وَيظلُّ يعلو نداءٌ:
حيَّ على الجهادْ
*
هي غزةُ التكوينِ
والجرحِ المكابرْ
والرجالِ على الجيادْ
يواصلونَ حياتَهم
فَوْقَ السّروج
في البدءِ كانتْ غزة
لا أَرْضَ ميعادٍ لَدَيْنا
غيرُها
حتى نُغادِرَها
وكي نُمْلِيَ
لأنْفُسِنا الوعودَ الخُضْرْ
في سِفْرِ الخروجْ
لا ليْسَ معجزةً لدينا
ولا عصا
حتى نَشُقَّ البحرْ
نَقْتَحِمُ اللّجوجْ
في غزةَ
ظهرتْ كبارُ المعجزاتِ
وَإلى السَّماءِ
يُواصِلُ الشهداءُ قافلةَ العروجْ
*
وطنُ الجميلةُ في الرمالْ
تواصلُ التّحديقَ في الأفُقُ البعيدْ
بِيَدِها الصغيرةِ
قبضةٌ من طينِ غزَّة
هِيَ الرسالةُ والبريد،
ناجَتْ بِقَبْضَتِها السماءْ
ورتَّلَتْ هذا النشيدْ:
يا اللهُ
بَعْدَ فَسادِ آدَمِكَ القَديمْ
وَنَسْلِهِ
خُذْ قَبْضَةَ الطّينِ الطريَّةَ
من يَدي
واخلُقْ بهذا الطينِ
آدمَكَ الجَديدْ
*
هذا الحصارُ المستمرُّ
ولا اكتراثَ لدى العروبةْ
لا وعيدَ ولا نذيرْ
لا
لمْ يَعُدْ بطلٌ عروبيٌّ
يجرِّدُ سيفَه
وخيبرُ باتَتْ تُحاصرُ يَثربا
ولا شفيعَ ولا نَصيرْ
وقريشُ ما فَتِئَتْ
تجدِّدُ حِلفَها المَشؤومَ
في غُرَفِ الفنادِقِ
مع رجالِ بني قُرَيْظَةَ والنّضيرْ
وَيُخطِّطون وَيسْكِرون
وَيُبْرِموا الصّفَقاتِ
في لَيْلِ العواصِمِ
والنوادي
وابتساماتِ الخيانةِ والفجورْ
سَيفتِحون لخيبرَ أرضَ الحجازْ
ويدشنوا
دربَ التجارةِ والحريرْ
وقريشُ ترْفَعُ رايةَ الإسلامِ
في أرضِ الجزيرةْ
وَتُرَتِّلُ القرآنَ
بالعبريّةِ الفُصحى
بلا جِنانٍ ولا سعيرْ
وبلا جِهادٍ ولا نفيرْ
وبلا حصانٍ ولا بعيرْ
يتلون زورًا سورةَ الإسراءْ
في كذبٍ
وفي تزويرْ:
«وسُبْحانَ الذي أسْرى
بِهذا العَبْدِ
من مَكَّةَ إلى أَكْنافِ أورشَليمَ
وَبارَكْناهَ
كيْ يَمْضيَ
وَيعقِدَ آخِرَ الصّفَقاتِ
في هذا القَرْنِ
وَآتَيْنا لبنيامينَ من بركاتٍ
ويا أبناءَ إسرائيلَ
أَنتم ديدنُ الإصلاحُ
والإعمارُ
والخيراتْ
ونحن العربُ
دَيْدَنُنا هو الإفْسادُ والنَّكَباتْ
نسَلِّمُكُم لهذي الأَرْضَ
كلَّ الأرضِ
والساحاتْ
وسُبْحانَ الذي يَسْري ببنيامينَ
مِن أَكنافِ أورشليم
إلى أرضٍ بها تَغْفو
حُقولُ النَّمْط والغازاتْ»
أهلًا إذنْ
عادتْ قريشُ لِحلفِها
مع خيبرَ
وبني قُرَيْظةَ والنضيرْ
يا غزةُ
قد صِرتِ أنتِ كيثربْ
فَلتَحفري
حولَ المدينةِ خندقًا
وَلْتَستَعِدي لغزوةِ الأحزابْ
فاصلةِ الحروبْ
هي الدفاعُ عن المصيرْ
لا صلحَ بعدَ اليومِ
إلا بالقضاءِ على الحصارْ
وَزُمْرَةِ اللُّقطاءِ
في الحلفِ الأخيرْ
*
لا عربَ بَعدَ اليوم
في هذا الزمانِ
المُدلَهِّمْ
هذا المبشِّرِ بالكوارثِ
والمنونْ
إنْ مرّروا الصَّفقات
هذا القرنِ
سوفَ يمزَّقونْ
وَيَخضعونَ
لسائرِ الصَّفَقات
في كلِّ القرونْ
هي غزةُ التكوينِ
والشرفِ المصونْ
هي قلعةُ العربِ الأخيرةُ
والبحرُ خَلْفَ أَسودِها
الأعداءُ
حولَ حدودِها
ويحاصِرون سماءَها
لكنّهم
في وحْلِ غزةَ يغرقونْ
برصاصِ أَبطالِ الوَغى
يَتَساقطونْ
ويَحملون جِراحَهم
ويُهَرولونْ
وَيَتْرُكونَ جنودَهم
فَوْقَ الرمالِ
ويهربونْ
وَيَجمعونَ خيامَهُم
ويغادرونْ
*
يا بني صهيونَ
لنْ نَنْهارَ
أَوْ نَرْكعْ
راياتُنا البيضاءُ
رغْمِ الجوعِ والخذلانِ
لن تُرفَعْ
ونواصلُ الثَّوراتِ
والصّوْلاتِ
والجوْلاتِ
كي نرجعْ
يا بني صهيونَ
يابْنَ خُرافَةِ التّوْراةِ
فَلْتَسمعْ
لا ليسَ فينا الْيَوْمَ
مَنْ يَنْصاعُ
أو يَخْضَعْ
لا لنْ نَخافَ الطائراتِ
ولا الزوارقَ
لن نخافَ القصفَ
والنيرانَ
والمدفعْ
*
يا عابرينَ على المكانِ
يا قادمين من الأساطيرِ القديمةِ
في خرافاتِ الزمانِ
لن تَعبروا
إلّا على أجسادِنا
يا قادمينَ وذاهبينَ
كما الدخانِ
ستكونُ غزةُ قلعةً
لن تَدخُلوها
ليسَ فيها مثالٌ
ابنِ العَلْقَميّ
ولا جبانْ
هي غزةُ
ليست كما طُروادة
كي تَدخلوها في حصانْ
*
وطنُ الصّغيرةُ
لا تزالُ على الرّمالْ
تَتأَملُ البحْرَ الفسيحْ
ولا تزالُ تُسائلُ الموجاتِ:
هَلْ من خلفِ هذا البَحرِ يابسةٌ
لكنْ نَرحَلْ
آهٍ يا وطنُ البرَيئةُ
لستِ جدّتكِ القديمةَ
عندما ركبتْ هذا البحرْ
كي تَبنيَ لنا قرطاج
لن نَرْضى بهذا الحَلّ
توراتُنا
ليسَ بها سِفْرُ الخروجِ
وَلَيْسَ هناكَ
مِنْ مَنٍّ وَلا سَلوى
بهذا التيه
أو مَنْهَلْ
دِيارُنا
سَتَظلُّ عامرةً
ولن نقبلَ
بهذا الحلِّ
لن نقبلْ
ليس فينا
مَن يَدْعو إلى التّفْريطِ
رغمَ الحربِ والتّجويعِ
رغم مرارَةِ الحَنْظل
*
هي لحظةٌ
في عُمْرِ هذا الدهرِ
يا وطنُ الجميلةُ
وبِعَينِ قلبي قد رأيتُكِ
في المكانِ بُعَيد
عِقْدٍ في الزمانِ
تُمَشِّدينَ على الجديلةِ
فواصلي اللّهوِ البريئةِ
تنسمي بنَسائمِ البحرِ العَليلةِ
يا بنتُ لكنْ حاذِري
فأمامكِ الأَوْغادُ
ما فَتئوا هُناكَ
يحدّقون فيكِ
بِمِرْقابِ زَوْرقِهم
مُتَفحِّصين حراكَ أَذْرُعِكِ النّحيلةْ
فَلَربما
قد تَحْمِلينَ رصاصةً
أو تَحفُرين على الشّواطئِ
خندقًا
وَلَربما
قد يحقدونَ عَلَيْكِ
جرّاءَ ابتِسامَتِكِ الظّليلةْ
وَلْترفعي يدك الطّريّة
واهتفي:
باقون مثل الرملِ في الشُّطآنِ
كالأحجارِ في الوديانِ
لن نرحلْ
باقونَ مثل العِطْرِ في الأزهارِ
مثل الزيتِ في الزيتونِ
مثل الماءِ في الجَدْوَلِ
*
هي غزةُ ليستْ كما قرطاجةَ
حتى تُغرقوا بالملحِ
كلَّ حقولِها
هي غزةُ
ليست كما طروادةَ
كي تدخلوا بحصانِكم في ليلِها
هي غزةُ
ستُمرَّغونَ بطينِها وَبِوَحلِها
هي غزّةُ
دامَتْ لَنا ولِأَهلِها
هي غزةُ
سَلِمَتْ لنا أبدًا وَيَسْلَمُ أهلُها

فعاليات أكاديمية دار الثقافة

أطلقت أكاديمية دار الثقافة في سوريا بالتعاون مع مجلة الهدف عرضا جماهيريا للفيلم الوثائقي(الهدف) تدشينا لافتتاح النادي السينمائي في الأكاديمية، وذلك بتاريخ٢٠٢٦/١/٣٠، بمقر الأكاديمية بمخيم اليرموك، وبحضور حشد جماهيري كبير من المثقفين والسينمائيين والمهتمين ونخبة من المناضلين والقياديين الذين واكبوا مسيرة مجلة الهدف، بعد ذلك تحدث الزميل د. حسن حميد عن السياقات السياسية والفكرية التي شكلت حوامل الفيلم، كما لفت إلى الجهود التي بذلتها أسرة الفيلم في سبيل إنجازه، والدور الذي لعبه مخرج ومعد الفيلم الزميل السينمائي محمد أبو شريفة.

واستجابة للحراك العالمي لمساندة الأسرى في سجون الاحتلال أقام اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين فرع سوريا وأكاديمية دار الثقافة ولجنة الدفاع عن الأسرى في سجون الاحتلال وقفة تضامنية رمزية وذلك بتاريخ 2026/1/31، في مقر أكاديمية دار الثقافة بمخيم اليرموك قدم لها الزميل الدكتور ثائر عودة عضو أكاديمية دار الثقافة، عضو أمانة فرع اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين. حيث ألقيت كلمة باسم الأسرى الفلسطينيين، ألقاها الرفيق خالد خليل اشار فيها إلى قضية الأسرى ونضالاتهم التي أعطت درسا للعالم أجمع، ومثلت نموذجا للثائرين، بعد ذلك ألقى الأسير المحرر وعضو لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الرفيق عبد القادر قريشي كلمة أكد فيها على أن قضية الأسرى هي جوهر الصراع مع الاحتلال، وعنوان كرامة شعبنا وأحد أعمده نضاله المتواصل من اجل الحرية والعودة والاستقلال.

واختتمت الوقفة التضامنية بكلمة الاسير المحرر ورئيس لجنة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين الرفيق تحسين الحلبي حيث أكد في كلمته على مقاومة شعبنا الفلسطيني وأجياله للاحتلال وعلى خصوصية وطبيعة قضية الأسرى الذين حولوا السجون إلى جبهات حرب ضد السجان والاحتلال وتحولوا إلى قادة بعد تحريرهم من الأسر بفضل عمليات تبادل الأسرى وأن العدو عجز عن هزيمة المقاومة التي تمسك بها الشعب دفاعا وطنه. فأسرانا الأبطال يشكلون قوة معنوية وأملا للعودة إلى ميادين المقاومة وتخللت الكلمات مشاركة من الأسير المحرر كميل أبو حنيش تحدث عما يعانيه أسرانا الأبطال داخل سجون الاحتلال وطالب بدعم وإسناد وقضيتهم عبر كل الوسائل المتاحة من أجل حياتهم ونيلهم لحريتهم المشروعة فقضيتهم هي قضية إنسانية عادلة تتطلب المزيد من الوقفات والتحركات العاجلة على كل المستويات الإعلامية وغيرها.

الحَكيم وجرس السّياسة

مروان عبد العال

على مدى يومين كاملين، لم يهدأ صوت الحكيم. كان يحاور في اجتماعٍ صاخبٍ للجنة المركزية العامة بلا انقطاع، كأن الزمن نفسه عالق في قاعة الاجتماع. لم يكن غضبه انفعالاً عابراً، بل معرفةً مُرّة، قالها بوضوحٍ لا يحتمل اللبس: اتفاق أوسلو ليس تسوية، بل مشروع فتنة داخليةٍ، صُنع ليُصفّي القضية الفلسطينية ويُدمّر المشروع الوطني الفلسطيني من جذوره، كان صوته يرتفع حيناً ويهبط حيناً، لكن حدّته ثابتة؛ حدّة من يرى أبعد من اللحظة ويخاف مما بعدها.

لم يكن غضبه محظوراً، بل مباحاً إلى حدّ الخوف، خوفٌ صريح من أن يقود الاتفاق إلى حرب أهلية فلسطينية، وإلى انقسام عمودي للشعب الفلسطيني، يقطع الناس إلى معسكرات لا يلتقي ظلّها، دار النقاش حول المفردات: هل ما جرى خيانة أم تصفية؟ قال الحكيم إن "الخيانة" تعبير أخلاقي، يجرح الضمير قبل السياسة، بينما "التصفوي" توصيف سياسي يُعرّي الفعل من زخرفته. اختلفوا في التسمية، لكنهم اتفقوا على خطورة ما يحدث.

ثم جاء السؤال الأصعب، السؤال الذي يخلخل الرؤوس والكراسي معاً: ما العمل؟، تعددت المداخلات، من قال بمقاطعة حركة فتح، ومن رأى أن المقاطعة يجب أن تطال المفاوضين الذين وقّعوا الاتفاق، هنا شدّد الحكيم، بإصرارٍ لم نعهده، على خيارٍ أثقل من الجميع: مقاطعة القائد العام، ياسر عرفات (أبو عمار) شخصياً، ووقف أي تواصل معه، مهما كان نوعه، إلى حين التراجع عن الاتفاق الذي وُصف بشتى النعوت، لم يكن القرار سهلاً، لكنه بدا، في نظره، الطريق الوحيد لوقف الانزلاق.

عند التصويت، رفع الحكيم يده بالموافقة، وقال بصرامة إن أي خللٍ أو تراخٍ في تنفيذ القرار، وأي خرقٍ له، ستكون العقوبة بانتظار من يرتكبه، حينها بدا الإرهاق واضحاً على وجهه: عينان متعبتان، حاجبان معقودان، وملامح تشبه شتاءً طويلاً، استأذن بالمغادرة، خرج معه الرفيق "نصّار" من اللجنة المركزية، ومن المقرّبين له ومدير مكتبه، وأوصله إلى البيت. هناك، لم يكن الحكيم على ما يرام، فطلب منه أن يدخل معه.

بعد ساعتين من مغادرة الحكيم جورج حبش، انتهت الجلسة التي أكمل إدارتها نائب الحكيم، الرفيق أبو علي مصطفى. طُلب من الرفيق "نصّار"، عند عودته، أن يطمئننا عن صحة الحكيم. ذهبنا إلى استراحة مخيم اليرموك، وجلسنا ننتظر، عاد الرفيق ضاحكاً، يكاد لا يستطيع الكلام. هدّأنا ضحكته وسألناه: ما بك؟ كيف حال الحكيم؟ هل ما زال غاضباً أم متعباً؟ قال: لم أتوقع ما حدث. وألححنا: حدّثنا.

قال: دخلنا البيت، وطوال الطريق لم ينطق الحكيم بكلمة. جلس على الكنبة، طلب كوب عصير برتقال، شرب منه جرعة... وإذا بجرس الهاتف المنزلي يرن. مددت يدي لأرفع السماعة، فسبقني وقال: ألو... نعم... وفجأة تغيّر وجهه، انقلب على عجل إلى حالة أخرى. كان يردّ على تهنئة بعيد ميلاد المسيح، يشكر ويتمنى أن يعيده الله على شعبنا بالخير والنصر. وضع السماعة، والابتسامة تملأ وجهه. قلت له: سامحنا يا حكيم، نسينا العيد ولم نهنئك. صمت، عيناه مغرورقتان، وخدّاه محمران، والابتسامة ما زالت على ثغره.

سأله الرفيق نصّار: ومن كان على الطرف الآخر؟

قال الحكيم بهدوءٍ مدهش: لقد تفاجأت حقاً... كان الأخ ياسر عرفات، أبو عمار. ثم أضاف مبتسماً: قال لي: أخي جورج، عيد ميلاد مجيد وينعاد علينا بالقدس وفي كنيسة القيامة. فتذكّرت قرار المقاطعة، وكدت أُسقط السماعة من يدي، لكنني أجبته.

ضحكنا معاً، وفي تلك اللحظة، فهمنا أن السياسة قد تقسو حتى الصلابة، لكن جورج حبش حين يرنّ الجرس يظلّ إنساناً.

ومع ذلك المسؤولية المؤجَّلة ما زالت تُلاحقنا: انقسامٌ قائم، وشرخٌ مفتوح، ووطنٌ يُباد فيما يُدار الخلاف كأن الدم الفلسطيني تفصيلٌ ثانوي، والنزيف لم يتوقف بعد!

الهدف
AL-HADAF
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية